

الإبانة عن أصول الديانة

لأبي الحسن الأشعري

بمقدمة تجزم بعزوه لصاحبه ..
وتعليقات تتضمن:
الرد على من يخالفونه ويدعون شرف الانتساب إليه
من متأخري الأشعرية

تحقيق
أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر بالقاهرة
الرابطة العالمية لخريجي الأزهر

مراجعة
فضيلة الشيخ
عادل السيد
مدير إدارة الدعوة بجماعة أنصار السنة المحمدية
بمصر - عابدين - القاهرة

محمد عبد العليم الدسوقي

مكتبة زهران







الإبانة عن أصول الديانة

لأبي الحسن الأشعري

بمقدمة تجزم بعزوه لصاحبه
وتعليقات تتضمن:
الرد على مَن يخالفونه ويدّعون شرف الانتساب إليه من متأخري الأشعرية

تقديم وتحقيق
د/محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف
الرابطة العالمية لخريجي الأزهر

مراجعة
فضيلة الشيخ/عادل السيد
مدير إدارة الدعوة والإعلام بجمعية أنصار السنة المحمدية بمصر – عابدين – القاهرة

إهـــــداء

- إلى الأزهر الشريف.. جامعًا وجامعة.
- إلى كل مَعْـنيٍّ بتصـحيح معتقـده في توحيد الله في ذاته وصفاته وأفعاله.
- إلى كل طـــــالب علم يريد لنفسه النجـــــاة من تحريف المبطلين وتأويل المبتدعين.
- إلى كل مســـلم يريد لنفسه خاتمة حســـنة كتلك التي ختم بها إمام المذهب أبو الحسن الأشـعري حياته.

من كنوز الحكمة:

* يقـول أ.د. أحمد الطيب شـيخ الجـامع الأزهر والـرئيس الأسـبق لجامعة الأزهر ورئيس مجلس حكماء المسلمين: "مـذهب السـلف الصالح رضوان الله عليهم في مسألة صـفات الله تعـالى، هـو: أن نثبت لله تعـالى كل صـفة أثبتها لنفسه في القـرآن من صـفات، أو وردت بها الأحاديث الصحيحة، وأن ننفي كل صــفة نفاها عن نفسه أو نفاها رسـول اللـه، من غـير أن نكلف أنفسـنا عنـاء البحث في كيفية هذه الصفات؛ لأن البحث في كيفياتها لا ينتهي إلا إلى المزيد من الحيرة والغموض، وكما أن العقل قاصر وعاجز عن البحث في كيفية الـذات الإلهية فهو بنفس القـدر عـاجز عن البحث في كيفية الصفات الإلهية، وإذا كانت ذات الله تعـالى لا تشـبه سـائر الـذوات الأخــرى فكــذلك صــفاته لا تشــبه صــفات المخلــوقين"إ.هــ من (مقومـات الإسـلام) هدية مجلة الأزهر ص64 بعـددها الصـادر في شوال من العام 1442 الموافق لشهر مايو من العام 2021.

* ويقـول فضـيلة الشـيخ صـالح بن عـثيمين عضو هيئة كبـار العلماء بالمملكة السعودية والأستاذ في فـرع جامعة الإمـام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم في كلية الشريعة وأصول الـدين: "إن مذهب السلف هو المذهب الصحيح.. من وجهين:

أحدهما: أن مذهب السلف دل عليه الكتاب والسنة، فإن من تتبع طريقتهم بعلم وعدل، وجـدها مطابقة لما في الكتـاب والسـنة جملة وتفصيلًا.. ولا ريب أن أقرب النـاس إلى فهم آياته وتصـديقها والعمل بها، هم السلف، لأنها جاءت بلغتهم وفي عصرهم، فلا جرم أن يكونوا أعلم الناس بها فقهًا وأقومهم عملًا.

الثـاني: أن يقـال إن الحق في هـذا البـاب: إما أن يكـون فيما قاله السلف أو فيما قاله الخلف، والثاني باطل، لأنه يلـزم عليه أن يكون الله ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصـار قد تكلموا بالباطل تصريحًا أو ظاهرًا ولم يتكلمـوا مـرة واحـدة بـالحق الـذي يجب اعتقـاده لا تصـريحًا ولا ظـاهرًا، فيكـون وجـود الكتـاب والسنة ضررًا محضًا في أصل الدين، ويكون ترك النـاس بلا كتـاب ولا سنة خيرًا لهم وأقوم.. وهـذا ظـاهر البطلان" إ.هــ من فتح رب البرية بتلخيص الحموية ص75.

* ويقـول الحافظ ابن عسـاكر **ت571 في (تبـيين كـذب المفــتري) ص152** بحق أبي الحسن الأشــعري إمــام أئمة السـلف: «إذا كـان أبو الحسن كما ذُكر عنه من حُسن الاعتقـاد، مستصْوَبَ المذهب عند أهل المعرفة بـالعلم والانتقـاد، يوافقه في أكـثر ما يـذهب إليه أكـابر العبـاد، ولا يقـدح في معتقـدِه غـير أهل

الجهل والعنـاد، فلا بد أن نحكي عنه معتقـده على وجهه بالأمانـة، ونجتنب أن نزيد فيه أو نُنقص منه تركًا للخيانـة، لتَعلمَ حقيقة حاله في صحة عقيدته في أصول الديانة، فاسمع ما ذكره في أول كتابه الذي سماه بـ (الإبانـة)، فإنه قـال:.."؛ ثم استمر ابن عسـاكر في إيراد الكلام على نصه وفصه من أوله إلى بـاب: (الكلام في إثبـات الرؤية لله بالأبصـار في الآخـرة)، حرفًا حرفًا كما شـرط.. ثم قـال عقيب ذلك:

«فتـأملوا - رحمكم الله - هـذا الاعتقـاد، ما أوضـحَه وأبينَـه!، واعترفوا بفضل هذا الإمام العادل الذي شرحه وبينه، وانظـروا إلى سهولة لفظه، فما أفصحه وأحسـنه!، وكونـوا ممن قـال الله فيهم: ﴿**الذين يسـتمعون القـول فيتبعـون أحسـنه**﴾ [الزمر:18]، وبيِّنوا فضل أبي الحسن واعرفوا إنصافه، واسمعوا وصـفه لأحمد - ابن حنبل - بالفضل واعترافـــه، لتعلمـــوا أنهما كانا في الاعتقـــاد متفقَين، وفي أصول الدين ومذهب السنة غير مفترقَين» إ.هـ

* **ويقول الـزِّركلي** في الأعلام: "إن مصـنفات أبي الحسن الأشـــعري تزيد عن الثلاثمائة مؤلـــف".. والســـؤال: أين هي تلك المؤلفــات؟؛ ولمــاذا يتجاهل الأزهر ما جــاء منها مــؤخرًا بعد أوبة الأشعري مع فخره بالانتساب إليه وإلى تراث الأمة؟

المقدمة

إن الحمد لله نحمـده ونسـتعينه ونسـتغفره، ونعـوذ بالله من شـرور أنفسـنا ومن سـيئات أعمالنـا، من يهـده الله فلا مضل لـه، ومن يضلل فلا هادي لـه، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شـريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنـوا اتقـوا الله حق تقاته ولا تمـوتن إلا وأنتم مسلمون [آل عمران: 102].

يا أيها النـاس اتقـوا ربكم الـذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثـيرًا ونسـاءً واتقـوا الله الـذي تسـاءلون به والأرحـام إن الله كـان عليكم رقيبًا [النساء:1].

يا أيها الذين آمنوا اتقـوا الله وقولـوا قـولًا سـديدًا. يصـلح لكم أعمـالكم ويغفر لكم ذنـوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا [الأحزاب:70-71].

أما بعد..

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمـور محـدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضـلالة وكل ضـلالة في النار.. وبعد:

فـإن من أعظم ما خلَّفه لنا الأوائـل: ما تعلق بصـحيح معتقد الأمـة، ويـأتي في مقدمة ذلك ما ألهم الله به أبا الحسن الأشـعري الـذي اختـاره - سـبحانه - من بين عبـاده الصـالحين - فيمن اختارهم[1] - لحفظ السنة وقمع البدعـة، وقد تم له ذلك عن طريق رؤيا صالحة وبإيعاز من النبي ﷺ.. يقول ابن فرحـون اليعمـري برهـان الدين إبراهيم بن علي بن محمد المدني المـالكي ت799هـ في كتابه (الدِّيباج المُذَّهَب في معرفة أعيان علماء المَذهَب) صفحة 193:

«كان أبو الحسن الأشعري في ابتداء أمره معتزليًـا، ثم رجع إلى هذا المذهب الحق مذهب أهل السنة، فكثُر التعجب منه! وسُـئل عن ذلك فـأخبر أنه رأى النـبي ﷺ في رمضـان فـأمره بـالرجوع إلى الحق ونصره، فكان ذلك والحمد لله تعالى».

---

[1] (?) وإنما كان له ذلك لما حباه الله من ذكـاء مفـرط، ورجاحة عقـل، واسـتيعاب تام لما عليه المخـالفون من أهل الزيـغ، وتلاحظ ذلك إبـان رده عليهم، وسـبحانه **يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا**.

وتحدثًا بنعمة ربه يحكي الأشعري نفسه أثناء خطبة كانت له بعد صلاة الجمعة على منبر المسجد الجامع بالبصرة، ما كان من أمره من حيرة أذهلته حتى غيَّبته عن الناس، أعقبتها هداية ألحف في طلبها، فيقول فيما ذكره ابن عساكر في كتابه (تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري) ص39:

"(معاشر الناس إني إنما تغيبت عنكم في هذه المدة لأني نظرتُ فتكافأتْ عندي الأدلة ولم يترجح عندي حق على باطل ولا باطل على حق، فاستهديت الله تبارك وتعالى فهداني إلى ما أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنتُ أعتقده، كما انخلعتُ من ثوبي هذا)، وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به ودفع الكتب إلى الناس، فمنها كتاب (اللمع) وغيره من تواليفه.. فلما قرأ تلك الكتب أهلُ الحديث والفقه من أهل السنة والجماعة أخذوا بما فيها وانتحلوه، واعتقدوا تقدمه واتخذوه إمامًا حتى نُسب مذهبهم إليه، فصار عند المعتزلة ككتابيٍّ أسلم وأظهر عوار ما تركه فهو أعدى الخلق إلى أهل الذمة»[1].

أ- لغط المغرضين الناشئ والمستمر حول عزو (الإبانة) للأشعري.. ودحض أسبابه:

وصدق – والله – ابن عساكر، فعلى الرغم من ثناء "أهل الحديث والفقه[2] من أهل السنة والجماعة" على الأشعري، وتسليمهم لما هداه الله إليه وغِبطتهم به واتخاذهم إياه "إمامًا حتى نُسب مذهبهم إليه".. فإنه، ومن يومها صار مناوئو الأشعري ومعتقده في (الإبانة) بالذات - ليس المعتزلة فحسب وإنما كل من شاركهم في هذا من متأخري الأشعرية[3] - " ككتابيٍّ أسلم وأظهر عوار ما تركه، فهو أعدى الخلق إلى أهل الذمة".. ونذكر من هذا العداء المستحكَم:

---

[1](?) وما يكاد كتاب من كتب التراجم لأبي الحسن يخلو من حكاية ما ذكرناه هنا، وجميعهم ما بين متوسع في سرده وما بين متوسط وما بين مختصِر.

[2](?) وبالطبع فإن هذا يشمل فقهاء وأئمة المذاهب الأربعة وتلامذتهم.. وينظر كلامهم في سلامة المعتقد بشيء من التفصيل: كتاب (العلو) للحافظ الذهبي و(اجتماع الجيوش) لابن القيم، وقد أتبعاه - بعد كلام الصحابة والتابعين - بجملة ما قاله (أئمة أهل الحديث والتفسير واللغة والكلام والشعر) في رد عادية أهل الباطل من المعطلة

[3](?) كون مذهبهم أقرب لمذهب المعتزلة من مذهب أهل السنة ولذا سماهم شيخ الإسلام مخنثة المعتزلة

1) ما كـان من الأهـوازي ت446[1] في اتهامه أبا الحسن أنه ما ألف كتـــــــــــــــاب (الإبانـــــــــــــــــــــــة) إلا تقيّـَة من الحنابلة وأنه غيرُ معتقدٍ لما فيه، وقد رجع عنه.

فكـان كتـاب (تبـيين كـذب المفـتري) لابن عسـاكر ت571 لـرد عاديته.. **وقد ذكر ذلك ابن القيم في اجتماع الجيوش إبان ســرده لما عليه الأشــعري، قــائلًا**: "نــذكر كلامه – يعــني: الأشعري- فيما وقفنا عليه من كتبه كـالموجز والإبانة والمقـالات، وما نقله عنه أعظم الناس انتصارًا له: الحافظ أبا القاسم بن عساكر في الكتاب الذي سماه (تبيين كذب المفتري)".

وكــانت رســالة أبي إســحاق إبــراهيم بن عيسى بن دربــاس الشافعي ت622، التي جعلها في (الذّب عن أبي الحسن الأشعري)، للرد على نفس الشخص ولنفس السبب، حيث جمع فيها شهادة عدد من العلماء، أوضحوا فيها حكمهم بـبراءة أبي الحسن مما نسـبه إليه الأهـوازي وغـيره.. **يقـول** رحمه الله **في مقدمة رسـالته تلك**: «اعلمـوا معشر الإخـوان أن كتـاب (الإبانة عن أصـول الديانـة) الـذي ألفه الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، هو الـذي اسـتقر عليه أمـره فيما كـان يعتقـده، وبه كـان يـدين الله ً بعد رجوعه من الاعتزال بمَنِّ الله ولطفه، وكل مقالة تنسب إليه الآن مما يخـالف ما فيه، فقد رجع عنها[2] وتبرأ إلى الله - سبحانه - منها، وكيف وقد نص

---

[1] (?)هو أبو علي الحسن بن على بن إبـراهيم الفارسـي، قـال عنه ابن عسـاكر: "كان على مذهب السـالمية يقـول بالظـاهر، ويتمسك بالأحـاديث الضـعيفة الـتي تقوّي رأيـه، وسـمعت أبا الحسن بن قـبيس عن أبيه قـال: لما ظهر من أبي علي الإكثــار من الروايــات في القــراءات اتُّهم"، وقــال: "لا يســتبعدن جاهل كــذب الأهوازي فيما أورده من تلك الحكايـات، فقد كـان من أكـذب النـاس فيما يـدعي من الروايات في القراءات"، وقـال عنه الخطيب: "أبو علي الأهـوازي كـذاب في الحـديث والروايـات جميعًـا"، وقـال عنه الـذهبي في المـيزان: "وصـنّف كتابا في الصفات لو لم يجمعه لكان خيرا له؛ فإنه أتى فيه بموضـوعات وفضـائح، وصـنّف كتابا يحط على الأشعري".

وقد أقذع ابن عساكر في الرد عليه ووصفه في (التبيين) بكل قبيح فقال: "وكيف يَتّهم أولادُ المجوس بالإلحـاد والزندقـة، أبنـاءَ ذوي الهمـة، ولاشك أن الأهـواز من جملة البلدان التي افتتحها أبو موسى الأشعري جـدّ أبي الحسن الأشـعري، وذلك عندي هو: السبب الموجب لهذه الجفوة، والمورث للغلظة على ولـده والقسـوة، والمؤثر في شدة النفوس عن معتقده والنّبْوة، لأنه أدخل على أسـلاف الأهـوازي من المجوس بلية ومحنة، وأورثت قلبه لنسله عداوةً وإحنة، فلهذا استفرغ جهـده في الازدراء على أبي الحسن والتشــنيع، ورمــاه بكل ما أمكنه ذكــره من الأمر الشنيع، لأن البغض يتوارث والوُدُّ يتوارث".

[2] (?) وفي هذا دلالة واضحة على أن من ادعى على أبي الحسن أن له في مسألة الصــفات رأيين، أو ادعى عليه ما كــان منه قبل رجوعه إلى آخر ما اســتقر عليه أمــره.. هو كــاذب عليه وغــاش له وللأمة ومفــتر عليه وعليها بالبهتــان ومخــالف لمذهبه.. قال ابن تيمية فيما نقله عنه ابن القيم في (اجتماع الجيــوش) ص113:

على أنه ديانته التي يدين الله - سبحانه - بهـا، وَرَوى وأثبت أنه ديانة الصـحابة والتـابعين وأئمة الحـديث والماضـين وقـول أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين، وأن ما فيه هو الـذي يـدل عليه كتـاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فهل يسـوغ - والكلام لا يـزال لابن دربـاس - أن يقـال: إنه رجع عن هذا إلى غيره؟!، فإلى ماذا يرجع؟!؟[1] أتراه يرجع عن كتـاب الله وسنة نبي الله؛ خلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون وأئمة الحـديث المرضـيون وقد علم أنه مـذهبهم ورواه عنهم؟!، هـذا لعمـري ما لا يليق نسبته إلى عوام المسلمين، فكيف بأئمة الدين؟!، أو هل يقـال: إنه جهل الأمر فيما نقله عن السلف الماضـين مع إفنائه جُـلّ عمـره في استقراء المذاهب وتعرف الديانات؟!، هذا مما لا يتوهمه منصف ولا يزعمه إلا مكابر مسرف».

وفي رد شبهة الأهوازي الـتي ادّعى فيها على الأشـعري أنه ألّف (الإبانــة) تَقيَّةً من الحنابلـة، **يقـول ابن عسـاكر ص388**: «كيف يُصَنِّف المسلم كتابًا يخلده، وهو لا يقول بصحة ما فيه، ولا يعتقــده»، **وقال في ص389:** «ولم يزل كتاب (الإبانــة) مستصـوبًا عند أهل الديانة» إ.هـ

2) وما وقع حديثًا ممن يُدعى بـ (زاهد الكـوثري الجركسـي) ت1952، **فقد قـال في تعليقه على تبـيين كـذب المفـتري ص28، 392:** «إنما ألف أبو الحسن الإبانة على طريقة المفوضة من السلف، وأراد به انتشال المتورطين في أوحال التشـبيه من الـرواة، والتدرج بهم إلى مستوى الاعتقاد الصحيح الذي هو مذهب الخلف».

والكوثري - مع هذا الذي ادعاه من أن الأشـعري ألف (الإبانـة) تَقيَّة من الحنابلة لما دخل بغـــــــــــــــــــــــــــــــداد - يدّعي أيضًـــا ضـــمن ما يـــدعي، أن (الإبانـــة) لم يكن آخر ما ألفه أبو الحسن، وكأنه يرى أن أبا الحسن كـان يعتقد ما فيها ولكنه ألف كتابًا أو كتبًا أخرى بعدها ينقض ما فيها.. وهذه دعـوى عريضة لا نكـاد نجد أحدًا من أهل الإنصاف يسانده فيها[2].

"والأشـعري وأئمة أصـحابه متفقـون على إثبـات الصـفات الخبرية كـ (الاسـتواء والوجه واليدين) وإبطال تأويلها، وليس للأشعري في ذلك قولان أصلًا، ولم يَـذكر أحدٌ عن الأشعري في ذلك قولين".

[1] (?) إي والله.

[2] (?) وهكذا ما كاد ناصر السنة وقامع البدعة أبو الحسن الأشـعري ينجو من تحت مطرقة فـرق المعتزلة والجهمية والحرورية والـروافض والمرجئة الـذين طفقـوا يشنعون عليه وينسـبون إليه الأباطيل ويكيلـون له التهم، حـتى وقع فـوق سـندان المتكلمة الـذين لم يقلـوا في تشـنيعهم عليه ونسـبة الأباطيل إليه وكيل التهم له عن سابقيهم.. وهذا هو شأن أهل الحق دائمًا وأبدًا، وصدق الله القائل: ﴿**وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرًا**﴾ [الفرقـان:20].. والـذي يبـدو الآن أن هـذا اللغط والخلط الـذي وقفنا على تفاصـيله، قد وجد صـداه في قلوب كثير من المتعصبين لرأي الأشعري الذي تراجع عنه دون ما رجع إليـه، وقد ذكرنا ما به تقام الحجة على مدعيه سلفًا وخلفًا، وإلى الله المشتكى.

ومعلوم بالضرورة أن أبا الحسن ما كان مفوضًا للصفات قط، وإنما كان مُثبتًا لها، وقد فارق رحمه الله منذ البداية طريقة (المفوضة) في: إثباته لمعاني صفات الله الخبرية والفعلية مع إمرار كيفياتها، خلافًا للمفوضة الذين فوضوا مع كيفية صفاته تعالى: معانيها، وعدُّوا ذلك هو الأسلم.. بينا الأسلم في الحقيقة هو ما ذكرناه للأشعري ووافق فيه أهل الحديث وجماعة أهل السنة وسلف الأمة.

وكان الشيخ الألبانيُّ في (مختصر العلو) قد عرض لشبهة اتهام الكوثري الأشعريَّ بالتفويض، وأشبعها ردًا ونقدًا ودحضًا ونقضًا، **وكان مما قاله في مختصر العلو ص239:** "وفي قول الأشعري - يعني: في (الإبانة) بشأن إثبات الصفات - دليل واضح على بطلان قول الكوثري في تعليقه على (تبيين كذب المفتري) ص 28 (أن كتاب الإبانة هذا هو على طريقة المفوضة في الإمساك عن تعيين المراد، وهو مذهب السلف!)، فإن كلام الأشعري الذي نقله المصنف – يعني: الذهبي في كتابه (العلو) - عن (الإبانة) وأشرنا إلى محله منه، صريح في تعيين المراد، وهو أن (الاستواء) بمعنى: (العلو)، فأين التفويض والإمساك عن تعيين المراد الذي زعمه الكوثري؟!، ولا شك أن قول الكوثري: (وهو مذهب السلف)، كذب أيضًا كما يعلمه من درس أقوالهم في كتب أصول السنة التي جمعها المصنف في كتابه (العلو) فأوعى، ثم قرّبتُها إليك في (مختصره) هذا، منبهًا على ما صح إسناده منها كما ترى" إ.هـ[1].

ومن يظن أن معركة متأخري الأشعرية بالذات وعسكرهم - وهم في زماننا وفي أرجاء المعمورة كثيرون كثرة فاحشة - مع أبي الحسن نفسه متبني مذهب أهل السنة[2]، قد انتهت؛ فهو واهم.. إذ هي معركة قديمة حديثة.. وهي معركة حامية الوطيس يصل الأمر فيها إلى أن يُتَّهم فيها ما كان عليه النبي ومذهب الصحابة وتابعيهم من أهل السنة بأنه مذهب (التجسيم والتشبيه)، وأن من يتبنوه (مجسِّمة مشبِّهة).

الأمر الذي يعني: وجوب التركيز على شبهاتهم لردها ودحضها، ومن قبل صاحب المذهب نفسه ناهيك عن غيره من جموع أئمة أهل السنة، وهذا ما يهمنا بالمقام الأول بعد أن أفل نجم المعتزلة والجهمية والحرورية وغيرهم ممن كان جُل رد الأشعري عليهم.

كما يعني في النهاية: أن المسألة ليست مسألة عزو؛ ولا كمْ من النسخ الخطية تم الرجوع إليها؛ ولا كمْ من الجهد بذل في تخير أفضلها أو أدقها[3].. وإنما هي مسألة انتصار للباطل بالباطل.

---

[1](?) وينظر في ردود الألباني على الكوثري "المعروف - على حد قول الشيخ الألباني - بعدائه الشديد لأهل السنة والحديث"، صفحات: 12، 15، 16، 34-40، 45، 46، 74، 123، 132، 136، 140، 156، 157، 207، 239، 256، 255 وغيرها من (مختصر العلو).

[2](?) نسأل الله أن يحيينا عليه ويميتنا عليه ويبعثنا يوم القيامة عليه.

ويعني كذلك بل ويؤكد: أن المعركة من قِبَل أصحاب الهـوى من العامة والخاصة[1] الصـــراع فيها بين باطل يريد أن يســـتعلي، وحق راسخ رســـوخ الجبـــال لا ولن تهـــزه العواصف ولا ولن تنـــال منه الأعاصير، وأن الأمر سيظل هكذا إلى يوم القيامة بعد أن بـدا واضحًا أن القضيةَ قضيةُ هوى متبع وشحٌّ مطاع ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، وأن أصحاب الهوى لن يعدموا الذرائع للتشـكيك في عـزو (الإبانة) لصاحبها، وفي الدفاع عن باطلهم بكل الحيل والوسائل.

ولأجل كل هذا أراني أردد وأكرر، وأقول ولا زلت وسأظل: "إن من شأن المخالفين للمعتقد الصحيح للأشـعري الـذي ختم به حياتـه، أن ينكروا ويشككوا في كلامه الذي رجع إليه، وأن يشككوا كذلك في تأليفه التي يأتي على رأسها كتـاب (الإبانـة) الـذي سـجل فيه تراجعه لمذهب السلف ومعتقد أحمد بن حنبل إمـام أهل السـنة، وأوضح فيه ما كان يعتنقه مـؤخرًا، لأنهم لو سـلّموا بهـذا، لكـان في تسـليمهم به اعــترافٌ بمخــالفتهم مــذهب أهل الســنة ونقضٌ لتــأويلاتهم الباطلة ولمــذاهبهم المنحرفة في النفي وذكر الســلوب، والــتي هي أقــرب لمـذهب الجهم والمعتزلة منها إلى مـذهب أهل الحـق، بل بينها وبين الأخير بُعد المشرقين".

والـذي يعنينا هنـا، هـو: شـهادات السـابقين من الأئمة الثقـات العـدول من جماعة أهل السـنة، لعـزو (الإبانة في أصـول الديانـة) للأشـعري، ذلك أنه وبعد أن عكف على تحرير مـادة هـذا الكتـاب العلمية عـددٌ غـير قليل من جهابـذة المحققين، لم يعد ثمة مطعن في نسبته إليه رحمه الله إلا لـدى من أطلق لنفسه عنـان الهـوى.. حيث أضحى الطعن في هذا الأمر بعد تيك الجهـود المضـنية ضـربًا من العبث والهذيان[2].. لكن لما كانت هذه الإشـكالية متأصـلة عند

---

[3](?) ولذا واختصارًا للوقت وحتى نفـرغ لما هو أهم، رأينا أن نكتفي بـالرجوع إلى النسخ الــتي اعتمــدها جُــلُّ المحققين وعوَّلــوا عليها وبخاصة نســخة د.حمــاد الأنصاري، وكلها – بالمناسبة – قريبة قربًا يكاد لا يجعلك تفرق بين بعضها البعض، وجميعها تم مطابقتها مع العديد من النسخ المخطوطة في أنحاء العالم.

[1](?) وأخص بالــذكر منهم أســاتذة أقســام العقيــدة بجامعة الأزهــر، وغيرها من الأقسام المناظرة بباقي الجامعات

[2](?) ونذكر من تلك الجهـود الـتي بـذلت في تحقيق كتـاب (الإبانـة): ما قـامت به [دائرة المعارف النظامية] بحيدر اباد الـدكن الهنـد، حيث جـاء الكتـاب في طبعته الأولى ضمن مجموعة من كتب أخرى، ويقال: إن هذه النسخة مصحفة ومحرفة، وأن الأيدي الأثيمة قد تلاعبت بها ومن ثم وجب إعادة طبعها من أصل وثيق.. وما قامت به د. فوقية حسـين محمـود، وقد جعلَتْه موضـوعًا لرسـالتها الـتي حصـلت بموجبها على الدكتوراه [ط. دار الأنصـار].. وما قـام به أبو عمـرو محمد بن علي بن ريحان حيث قام بتحقيقه وشرحه في مجلدين كبيرين [ط. دار الإبانة].

وممن عكف على تحقيقه: فضيلة الشيخ صالح بن مقبل العصيمي العتيبي عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة السعودية سابقًا.. وفضيلة الشيخ حماد الأنصاري [ط. الجامعة الإسلامية] بالمدينة المنورة ضمن مطبوعـات الجامعـة.. ومحمد بن عبد الهادي [ط. دار العلياء] وعليها تعليقات لابن تيمية.. ونبيل صـلاح سـليم [ط.

من ذكرنا من المخالفين، والمعاصـرين منهم بخاصـة، ونريد للحجة أن تكتمـــل؛ اكتفينا بما كـــان من ذلك من رجـــوع إلى أصـــول (الإبانــة)تحقيق وتحرير مادتها، وآثرنا الحـديث عن شـهادات لفيف من أئمة أهل السـنة الأعلام – سـواء من كـانوا قريبي عهد بالأشـعري أو غـير ذلك – ليهلك بعـدُ من هلك عن بينة وليحيا من حي عن بينة.

كما أن الذي يعنينا هنا أيضًا، هـو: التركـيز على ما ابتلينا به من عقيـدة (أشـعرية متـأخرة) زائفة تريد أن تفـرض نفسـها بـالقوة، عقيدة تبرأ صاحبها منها ومن المعتنقين لها والمتمسـكين بتلابيبهـا، وهـذا يسـتلزم مزيـدًا من الـرد عليها وعلى من ادعـوا ولا يزالـون شرف الانتساب لصاحبها كذبًا وزورًا وبهتانًا.

ب - شهادات أئمة أهل السنة بشأن عزو (الإبانة) للأشعري:

وحـول مـدى صـحة نسـبة هـذا الكتـاب لصـاحبه، وشـهادة الأئمة الأعلام لهذه النسبة، نذكر ممن شهد بهذا فيمن شهدوا:

1- **الإمامَ الأستاذ الحافظ أبا عثمـان إسـماعيل بن عبد الـرحمن بن أحمد[1] الصـابوني** ت449، فقد ذكر له نَقل ابن درباس نقلاً عن ابن عساكر أنه «ما كان يخرج إلى مجلس درسه إلا وبيـده كتـاب **(الإبانة)** لأبي الحسن الأشـعري ويُظهر الإعجـاب بـه، ويقول: ما الذي يُنكَر على مَن هذا الكتـاب شـرحُ مذهبـه»[2].. يقـول ابن عساكر عقب ذكره هذه الحكاية: «فهذا قول الإمـام أبي عثمـان، وهو من أعيان أهل الأثر بخراسان»[3].

2- **والإمـام الـبيهقي ت458؛ قـال في كتابه** (الاعتقـاد والهداية إلى سبيل الرشاد) في باب القول في القـرآن ص85: «ذكر الشـافعي ¬ ما دل على أن ما نتلـوه من القـرآن بألسـنتنا ونسـمعه

دار البصيرة] وقد طابقها على مخطوطة الشيخ حماد، وضـمَّنها: (صـريح السـنة) للطـبري.. ومحمـود بن الجميل [ط. مكتبة الأنصـار].. د.عبـاس صـباغ [ط. دار النفائس بيروت].. ومحب الـدين الخطيب في غـير ما طبعة [المكتبة السـلفية].. وعبد الله محمود محمد عمـر[ط. دار الكتب العلمية بـيروت].. و د. بشـير محمد عيـون [ط. دار المؤيـد].. ومحمد حامد محمـد.. ناهيك عمن قـاموا بطبعه بـدون تحقيق، ومن قـاموا بشـرحه من المعاصـرين من نحـو: محمد بن شـمس الـدين، ومحمد هشام طاهري، ومن قاموا بالتعريف به من نحو: د.عبد الرحمن بن صالح المحمود وغيره، ومن قاموا بعمل دراسات حوله وما أكثرهم!.

[1] (?) النيسابوري، شيخ الإسلام الواعظ المفسر المصـنف، أحد الإعلام.. روى عن زاهر السرخسي وطبقته تـوفي وله سـبع وسـبعون سـنة، وكـان أول ما جلس للوعظ وهو ابن عشر سنين، وكان شيخ خراسان في زمانه.. العبر3/219.

[2] (?) الذب عن أبي الحسن لابن درباس ص105.

[3] (?) السابق.. وينظر تبيين كذب المفتري لابن عساكر ص389.





بآذاننا ونكتبه في مصاحفنا يسمى كلام الله، وأن الله كلم به عباده بأن أرسل به رسوله، وبمعناه ذكره أيضًا علي بن إسماعيل في كتاب **(الإبانة)**».

وقال في ص22 من نفس الكتاب: «قال أبو الحسن علي بن إسماعيل في كتابه– يعني: **(الإبانة)**-: (فإن قال قائل: تقولون إن كلام الله في اللوح المحفوظ، قيل له: نقول ذلك؛ لأن الله قال: ﴿**بل هو قرآن مجيد. في لوح محفوظ**﴾ [البروج:21، 22]، فالقرآن في اللوح المحفوظ وهو في صدور الذين أوتوا العلم، وهو متلو بالألسنة، قال تعالى: ﴿**لا تحرك به لسانك**﴾ [القيامة:16]، والقرآن مكتوب في مصاحفنا في الحقيقة، محفوظ في صدورنا في الحقيقة، متلو بألسنتنا في الحقيقة، مسموع لنا في الحقيقة، كما قال تعالى: ﴿**فأجره حتى يسمع كلام الله**﴾ [التوبة:6]».

3- وممن شهد بعزو الإبانة للأشعري الإمام أبو الفتح نصر[1] المقدسي، ت490 **قال ابن درباس:** «وجدت كتاب **(الإبانة)** في كتبه ببيت المقدس، ورأيت في بعض تأليفه في الأصول فصولًا منها بخطه»[2].

4- والإمام الفقيه أبو المعالي مُجلِّي[3]، صاحب كتاب (الذخائر) في الفقه ت550، **قال ابن درباس:** «أنبأني غير واحد عن الحافظ أبي محمد المبارك بن علي البغدادي، ونقلته أنا من خطه في آخر كتاب **(الإبانة)** قال: نقلت هذا الكتاب جميعه من نسخة كانت مع الشيخ الفقيه المجلي الشافعي، أخرجها من مجلد فنقلتها وعارضتُ بها، وكان رحمه الله يعتمد عليها وعلى ما ذكره فيها، ويقول: (لله درَّ مَن صنفه!)، ويناظر على ذلك مَن ينكره، وذكر ذلك لي وشافهني به، قال: (هذا مذهبي وإليه أذهب، نقلت هذا سنة 540 بمكة، وهذا آخر ما نقلتُ من خط ابن الطباخ رحمه الله)»[4].

---

[1] (?) ابن إبراهيم بن نصر النابلسي، صاحب التصانيف شيخ الشافعية بالشام، كان إمامًا علامة فقيهًا مفتيًا محدثًا زاهدًا متبتلًا ورعًا كبير القدر عديم النظير، عاش أكثر من ثمانين سنة، وسمع الحديث الكثير وأملى وحدث وأقام بالقدس مدة طويلة، توفي يوم عاشوراء.. العبر 3/328.

[2] (?) الذب عن الأشعري لابن درباس ص106، 107.

[3] (?) هو مُجلِّى بن جُميع قاضي القضاة بالديار المصرية، القرشي المخزومي الشافعي، كتابه (الذخائر في المذهب) من المصنفات المعتبرة.. العبر 4/179، وسير أعلام النبلاء.

[4] (?) الذب عن أبي الحسن ص119 وابن الطباخ هو: أبو محمد المبارك بن علي بن الحسين بن عبد الله بن محمد الطباخ البغدادي، نزيل مكة وحافظها في زمانه، المحدث المشار إليه بالعلم بها، وإمام الحنابلة بالحرم، سمع الكثير ببغداد من ابن الطيوري وابن كادس وغيرهما، وتفقه بالقاضي أبي الحسين بن الزاغوني، كان صالحًا دينًا ثقة ت575.. العبر4/226، شذرات الذهب 4/253.





5- والحافظ أبو محمد بن علي البغـدادي نزيل مكة ت562، **قال ابن درباس**: «شاهدت نسخة من كتـاب **(الإبانـة)** بخطه من أوله إلى آخــره، وهي بيد شــيخنا الإمــام رئيس العلمــاء الفقيه الحافظ العلامة أبي الحسن ابن المفضل المقدســي، ونســخت منها نســخة وقابلتها عليها بعد أن كتبت نسخة أخرى مما وجدته في كتاب الإمــام نصر المقدسي بــبيت المقــدس، ولقد عرضــها بعض أصــحابنا على عظيم من عظماء الجهمية المنتمين إلى أبي الحسن الأشعري بــبيت المقــدس، فأنكرها وجحــدها وقــال: ما ســمعنا بها قط ولا هي من تصنيفه، واجتهد أُخرُ في إعمـال رويته ليزيل الشـبهة بفطنتـه، فقـال بعد تحريك لحيته: لعله ألفها لما كان حشويًا»[1].

قــال ابن دربــاس: «فما دَرَيتُ مِن أي أمريه أعجب، أمِن جهله بالكتاب مع شهرته وكثرة مَن ذكره في تصـانيفه من العلمـاء، أو مِن جهله بحال شـيخه الـذي يفـتري عليه بانتمائه إليـه، واشـتهاره([2]) بين الأمـة، عالمها وجاهلهـا؟!.. فـإذا كـانوا بحـال من ينتمـون إليه بهـذه المثابـة، فكيف يكونــون بحـال السـلف الماضـين وأئمة الـدين من الصـحابة والتـابعين وأعلام الفقهـاء والمحـدثين، وهم لا يلــوون على كتبهم ولا ينظرون في آثارهم، وهم والله بذلك أجهل وأجهل؟!»[3].

6- **والحافظ ابن عساكرت571، قال في كتابه (تبـيين كـذب المفـتري) ما نصه**: «إذا كـان أبو الحسن - كما ذكرنا عنه من حُسن الاعتقـاد - مستصْـوَبَ المـذهب عند أهل المعرفة بــالعلم والانتقـاد، يوافقه في أكـثر ما يـذهب إليه أكـابر العبـاد، ولا يقـدح في معتقـدِه غــير أهل الجهل والعنـاد، فلا بد أن نحكي عنه معتقـده على وجهه بالأمانــة، ونجتنب أن نزيد فيه أو نُنقص منه تركًا للخيانــة، لتَعلمَ حقيقة حاله في صحة عقيدته في أصول الديانة، فاسمع ما ذكره في أول كتابه الذي سماه بـ **(الإبانة)**، فإنه قال:

الحمد لله الواحد الأحد العزيز المتفـرد بالتوحيـد..»، ثم اسـتمر ابن عسـاكر في إيـراد الكلام على نصه وفصه من أوله إلى بـاب: (الكلام في إثبات الرؤية لله بالأبصار في الآخرة)، حرفًا حرفًا كما شرط.. ثم قال عقيب ذلـك: «فتـأملوا - رحمكم الله - هـذا الاعتقـاد، ما أوضحَه وأبينَه!، واعترفوا بفضل هذا الإمام العادل الذي شرحه وبينه، وانظروا إلى سهولة لفظه، فما أفصحه وأحسنه!، وكونوا ممن قال الله فيهم: **الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** [الزمر:18]، وبيِّنوا فضل أبي الحسن واعرفــوا إنصــافه، واســمعوا وصــفه لأحمد - ابن حنبل - بالفضل واعترافــه، لتعلمــوا أنهما كانا في الاعتقـــاد متفقَين، وفي أصول الدين ومذهب السنة غير مفترقَين»[4].

---

[1] (?) ويلاحظ أنها نفس الاتهامــات الــتي يفــوه بها الأشــعرية في زماننا وتلوكها ألسنتهم، فهم والجهمية قديمًا - وكذا المعتزلة - ينزعان عن بئر آسن واحد.

[2] (?) يعني: قبل توبته من الاعتزال

[3] (?) الذب عن أبي الحسن لابن درباس ص120، 121.

وقـــال في ص128 من التبـــيين: «وتصـــانيف أبي الحسن الأشــعري بين أهل العلم مشــهورة معروفـــة، وبالإجــادة والإصــابة للتحقيق عند المحققين موصوفة، ومن وقف على كتابه المســمى بــ **(الإبانة)** عرف موضعه من العلم والديانة».. وذكر في صــفحة 171 جملة أبيات نسبها لبعض المعاصرين له.

ولاحظ معي تواريخ هؤلاء الأئمة الأعلام القريبة العهد بوفاة الأشعري ت324، والدالة على أنهم كانوا أقرب زمنًا للأشعري، وأعرف منا بحاله وبما كان منه وبما جرى له، وبما صح نسبته إليه وما تخلى هو عنه وتبرأ منه.. وتأمل بعد، تعاقب الأئمة على صحة نسبة الإبانة لأبي الحسن على مر العصور والدهور.

7- **وممن ذكر أن (الإبانـــة) من تـــأليف أبي الحسن الأشعري**: أبو إسحاق إبـراهيم بن عيسى بن دريـاس الشـافعي ت 622، قال في رسالته (الـذب عن أبي الحسن الأشـعري): «اعلمـوا معشر الإخوان أن كتـاب **(الإبانة عن أصـول الديانـة)** الـذي ألّفه الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، هو الذي اســتقر عليه أمـره فيما كـان يعتقـده، وبه كـان يـدين الله تعـالى بعد رجوعه من الاعتزال بمَنِّ الله ولطفه، وكل مقالة تنسب إليه الآن مما يخـالف ما فيه، فقد رجع عنها وتبرأ إلى الله - سبحانه - منها" إلى آخر ما سبق أن نقلناه عنه.

يقـــول ابن دربـــاس: «قد ذكر **(الإبانـــة)** واعتمد عليها وأثبتها للإمام أبي الحسن الأشعري، وأثنى عليه بما ذكره فيها وبرأه من كل بدعة نسبت إليـه، ونقل منها إلى تصـنيفه.. جماعـةُ من الأئمة الأعلام من فقهاء الإسلام وأئمة القراء وحفـاظ الحـديث وغـيرهم»[1].. وذكر ابن درباس طائفة ممن سبق ذكرهم، وزاد عليهم:

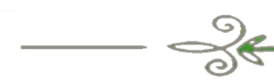
8- الحافظ أبا العبـــاس أحمد بن ثـــابت بن محمد الطَّرْقي[2]، فإنه قال: «رأيت هؤلاء الجهمية ينتمون في نفي العـرش وتأويل الاسـتواء إلى أبي الحسن الأشعري، وما هذا بأول باطل ادعوه وكذب تعاطوه، فقد قرأت في كتابه الموسوم بـ **(الإبانة عن أصول الديانة)** أدلة من جملة ما ذكرتـه، على إثبـات الاسـتواء»، ثم قـال: «ومن حَلِفِهم

---

[4](?) وينظر مع التبيين ص152 وما بعـدها، الـذب عن أبي الحسن الأشـعري لابن درباس ص107 وما بعدها.

[1](?) الــذب عن أبي الحسن الأشـــعري لابن دربـــاس ص99، 100 ت د. علي الفقيهي.

[2](?) الأصبهاني، كان حافظًا متقنًا مكـثرًا من الحـديث، سـمع بأصـبهان أبا الفضل المطهر بن عبد الواحد وعبد الله بن البســري وأبا على التســتري وغــيرهم ت 520.. اللباب في تهذيب الأنساب 2/280.




جميعًا قولهم: (لا، والذي احتجب بسبع سماوات)، هـذا آخر ما حكـاه، وهو في **(الإبانة)** كما ذكره»[3].

9- وممن ذكر (الإبانة) ونسبها إلى أبي الحسن الأشـعري: ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ت728 ، **قال في الفتـوى الحموية الكـبرى ص70:** «قـال أبو الحسن الأشـعري في كتابه الـذي أسـماه **(الإبانة في أصـول الديانـة)**، وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صـنفه وعليه يعتمـدون في الـذب عنه عند من يطعن عليه، فقـال: فصل في إبانة قـول أهل الحق والسـنة».. وذكر ما في أول كتاب (الإبانة) بحروفه.

وقال في الفتاوى الكبرى 5/ 334، 335 حاكيًا ما جرى له مع أهل نيســابور: "وأما أهل بغــداد فقد كــانت الأشــعرية منتسـبة إلى الإمـام أحمد وسـائر أئمة المسـاجد كما ذكـره الإمـام الأشعري في كتاب **(الإبانة)**، وهذا هو الـذي اعتمد عليه الحافظ ابن عساكر في وصف اعتقـاد الأشـعري".. وكـان قد نقل عن بعض أئمة العلم نتفًا من كتـاب (الإبانـة) في (الفتـاوى الكـبرى) 5/ـ 49، 112، 287، 341 وغيرهـا.. كما فعل ¬ الشـيء ذاته في عديد من كتبه من غير ما ذكرنا

10، 11- وممن أشار إلى (الإبانـة) وعزاها لأبي الحسن الأشـعري: الحافظ الذهبي ت748، والإمام النووي ت676، **يقول الـذهبي في كتابه (العلو للعلي الغفـار) ص160:** «وقـال الأشـعري في كتاب **(الإبانة في أصول الديانة)** له، في باب الاستواء: فـإن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيـل: نقـول: إن الله مسـتو على عرشه كما قال: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[طـه:5]، إلى آخر ما في **الإبانة**».. ثم قال: «وكتاب **(الإبانة)** من أشهر تصـانيف أبي الحسن الأشــعري، شــهره الحافظ ابن عســاكر واعتمد عليه ونسـخه بخطه الإمـام مُحـيي الـدين النـووي».. وذكر الـذهبي عن الحافظ أبي العبـاس أحمد بن ثـابت الطُّرْقي أنه قـال: «قـرأت في كتاب أبي الحسن الأشعري الموسـوم بــ **(الإبانـة)** أدلة على إثبـات الاستواء».

12- وممن عزاها إلي أبي الحســن: شــمس الــدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيـوب الـزرعي المعـروف بـابن القيم الحنبلي الدمشــقي ت751، **قــال في كتابه (اجتمــاع الجيــوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهميـة) ص112:ـ** «قـال شـيخ الإسـلام ابن تيمية - يعـني في الموافقة 2/ــ 11 -: ولما رجع الأشعري عن مـذهب المعتزلـة، سـلك طريق أهل السـنة والحـديث، وانتسب إلى الإمام أحمد بن حنبل كما قد ذكر ذلك في كتبه كلها، كـ (**الإبانة** والموجز والمقالات) وغيرها».

---

[3] (?) الــذب عن أبي الحسن الأشــعري لابن دربــاس ص103وينظر الإبانة ت د. حماد الأنصاري ص115.





قـــال ابن القيم معلقًـــا: «وأبو الحسن الأشـــعري وأئمة أصـــحابه كالحسن الطـــــــبري وأبي عبد الله بن المجاهد والقاضي أبي بكر البـاقلاني، متفقـون على إثبـات الصـفات الخبرية الـتي ذكـرت في القـــرآن كالاســـتواء والوجه واليـــدين، وعلى إبطـــال تأويلها وليس للأشعري في ذلك قولان أصلًا، ولم يذكر أحد عن الأشـعري في ذلك قولين».

كما عزاه له في مختصر الصواعق المرسلة ص28 فقـال ما نصـه: "وقد اسـتدل السـلف على إثبـات العيـنين له تعـالى بقولـه: (تجـري بأعيننا) [القمر: 14]، وممن صرح بـذلك إثباتًا واسـتدلالًا: أبو الحسن الأشـعري في كتبه كلها فقـــال في كتـــاب (المقـــالات) و(الإبانـــة) و(والموجز) وهذا لفظه فيها: (وأن له عينين بلا كيف كما قال: (تجري بأعيننا)"، وعقب ابن القيم يقول: "فهـذا الأشـعري وغـيره لم يفهمـوا من الأعين أعينًا كثيرة، ولا من الأيدي أيديًا كثيرة على شق واحد"إ.هـ

وكان مما نظمـه - رحمـه اللـه - في قصـيدته النونيـة الـتي سـماها الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ص 68، 69 **قوله:**

والأشعري قـال: تفسـير	بحقيقة (اسـتولى) من
هو قـول أهل الاعـتزال	بـــاعٍ لجهم وهو ذو
في كتابه قد قال ذا من	و(**الإبانـة**) و(ومقالـة)
وحكا ابن عبد الـــبر في	وكتاب (الاستذكار) غير
إجمـــــاع أهل العلم أن	ق العــرش بالإيضـاح
واتى هنــاك بما شـــفى	لكنه مــــرض على
وكذا على الأشعري فإنه	في كتابه قد جـــاء
من (مــوجز) **و(إبانــة)**	و(رسـائل للثغر) ذات
وأتى بتقرير اســــــتواء	ق العــرش بالإيضـاح
وأتى بتقرير العلو	تقرير فـــانظر كتابه

-13 **والحافظ ابن كثير ت774 في (طبقات الشافعية) في الطبقة الثالثة، فقد قال عن ثالث مراحل الأشـعري التي مر بها:** «والحالة الثالثـة: إثبـات ذلك كله من غـير تكـييف ولا تشـبيه جريًا على منـوال السـلف، وهي طريقته في **(الإبانة)** الـتي صنفها آخرًا».

-14 **وممن نســبها إلى أبي الحسن الأشـــعري: ابن فرحـون المـالكي ت799 قـال في كتـاب (الـديباج) ص 193، 194:** «ولأبي الحسن الأشـــعري كتب، منها كتـــاب (اللمع




الكبــير) وكتــاب (اللمع الصــغير)، وكتــاب **(الإبانة في أصــول الديانة)**»أ.هـ

15- **والعلامة مـرعي بن يوسف الكـرمي المقدسي ت 1033، قــال في كتابه (أقاويل الثقــات) ص145 عن الأشعري ما نصه:** "وأطال الكلام في هـذا وأمثاله في كتابه الـذي سـماه: **(الإبانة في أصـول الديانــة)**، وقد ذكر أصـحابه – أي: الأشعري – أنه آخر كتاب صـنفه، وعليه يَعتمـدون في الـذَّبِّ عنه عند من يطعن عليه" إ.هـ.

16- **وأبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ت1098، قـال في الجـزء الثـاني من كتـاب (شـذرات الـذهب في أعيان من ذهب) 2/ 303:** «قال أبو الحسن الأشعري في كتابه: **(الإبانة في أصول الديانــة)** وهو آخر كتـاب صـنفه، وعليه يعتمد أصـحابه في الــذب عنه عند من يطعن عليــه»، ثم ذكر فصــلًا من الإبانة.

17- **والسيد مرتضى الزبيدي ت1145، قال في (إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار علـوم الـدين) 2/2:** «صـنف أبو الحسن الأشــعري بعد رجوعه من الاعــتزال (المــوجز) وهو في ثلاث مجلــدات، كتــاب مفيد في الــرد على الجهمية والمعتزلــة، و(مقالات الإسلاميين)، وكتاب **(الإبانة)**».

18 - **وممن عزاها لأبي الحسن الأشــــعري من المعاصرين: محب الدين الخطيب، وذلك في تعليقه على (المنتقى) مختصر (منهــاج الســنة) لابن تيميــة، قــال بهـامش ص41، 43:** «إن الأشـعرية منسـوبون إلى أبي الحسن الأشعري، وقد عَلِمتَ أن أبا الحسن الأشعري كانت له ثلاثة أطوار:

أولها: انتماؤه إلى المعتزلة.

والثــاني: خروجه عليهم ومعارضــته لهم بأســاليب متوســطة بين أساليبهم ومذهب السلف.

والطور الثالث: انتقاله إلى مذهب الســلف وتأليفه في ذلك كتابه **(الإبانة)** وأمثاله، وقد أراد أن يلقى الله على ذلك».

19- والدكتورة فوقية حسـين فقد ذكـرت الكثـير ص74 عن كتـاب (الإبانة) الذي حققته وكان موضوع رسالتها في الدكتوراه.

20- ونختم من نسبوا الإبانة لأبي الحسن الأشعري، بالإمــام العلامة الآلوسي مفتي بغداد ومرجع أهل العراق ت1270، لِمَا يحمله كلامه

من عتب على كل من اختلط عليه الأمر وقصد الحق وأخطأه.. **قال في (روح المعاني)1/ 103:**

«والأشـعري إمـام أهل السـنة، ذهب في النهاية إلى ما ذهبـوا - يعني: أهل السنة من سلف المسلمين وأئمة الـدين - إليـه، وعـوَّل في **(الإبانــة)** على ما عوَّلــوا عليــه، فقد قــال في أول كتــاب **(الإبانة)** الذي هو آخر مصنفاته:

(إن قــال قائــل: قد أنكــرتم قــول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئـة، فعرِّفونا قـولكم الـذي به تقولـون وديانتكم التي بها تدينون، قيل له، قولنا الذي نقول به وديانتنا التي نــدين بهــا: التمسك بكتــاب الله وســنة النــبي ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون وبما كــان عليه أحمد بن حنبل - نضر الله وجهه ورفع درجته وأجــزل مثوبته - قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون)"[1].

يقول الآلوسي معلقًا على ما أوقعه أهل الكلام سـلفًا وخلفًا على الأشعري من حيف عندما تجاهلوا عن قصد ما آل إليه أمر شيخهم: «والعجيب من علماء أعلام ومحققين فِخَام، كيف غفلوا عما قلناه، وناموا عما حققناه؟!، ولا أظنك في مرية منه وإن قل ناقلوه وكـثر منكروه"[2].

ومن البداهة بمكــان: القــول بــأن اعــتراف أولئك الفضــلاء بعــزو (الإبانــة) لأبي الحسن الأشـعري، هــو: اعــتراف ضــمني برجوعه عن مــذهبي الاعــتزال والكُلاَّبية اللــذَين ظل ردحًا من الــزمن يــدين بهما

[1] (?) الإبانة ص47: 50.

[2] (?) ونــذكر ممن لم ينــاموا من الأعلام المحققين عما أشــار الآلوسي إليه هنــا، فــراح - من غــير من ذكرنا - يكشف عن نســبة الإبانة للأشــعري وأنه كــان آخر مؤلفاته: شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (5/ 93، 6/359، 16/ 91)، والفتاوى الكـبرى (6/ـ 369، 646)، ونقض التأسيس (1/83)، ومنهاج السنة النبوية (2/ 224، 600)، ودرء التعارض (2/ 146، 328، 3/ 344، 5/ 342)، والعقيدة الواسطية (ص8) وبيان تلبيس الجهمية (1/ 420، 2/ 27).. وابن قيم الجوزية في مختصر الصواعق 2/ 136.. والشيخ إبراهيم بن مصطفي الحلبي ت 1190 هـ في كتابه (اللمعة في تحقيق مباحث الوجود والحـدوث والقـدر وأفعـال العباد) ص36.. والشيخ إبـراهيم بن حسن الكـوراني ت1101 هــ كما في القـول الجلي ص36 لسـالم الـدخيل، وذلك في بحث بمجلة كلية أصـول الـدين العـدد الثـاني 1399/ـ 1400 وهو ص216 في تـرقيم صـفحات المجلـة.. والشـيخ خالد النقشـبندي الشـافعي شـيخ مشـايخ الآلوسي كما في جلاء العيـنين ص157 ط/ المدني.. والشيخ نعمان خير الدين الآلوسي في كتابه جلاء العينين ص462.. وأما الـذين ذكـروا الإبانة ونسـبوها إلى الأشـعري من غـير أن ينصُّـوا على أنه آخر ما صنفه، فكثيرون.




رحمه الله قبل رجوعه لمـذهب أهل السـنة وسـلف الأمـة، وأن هـذا الأخير هو الذي مات عنه وكان آخر ما آل أمره إليه.

يقــول الحافظ الــذهبي شـمس الــدين محمد بن أحمد بن عثمـان الدمشـقي الشـافعي والمتـوفى سـنة 748، **يقـول في كتابه (العلو للعلي الغفار) ص163 -:** «كان أبو الحسن أولًا معتزليًا أخذ عن أبي علي الجبـائي، ثم نابـذه ورد عليه وصـار متكلمًا للسـنة، ووافق أئمة الحــديث، فلو انتهى أصـحابنا المتكلمــون إلى مقالة أبي الحسن ولزموها، لأحسنوا ولكنهم خاضوا كخـوض حكمـاء الأوائل في الأشياء، ومشوا خلف المنطق فلا قوة إلا بالله».

والسؤال الآن: أيصح - أخي القارئ الكريم المنصف - الطعن في شـهادة كل هـؤلاء الأفـذاذ من أئمة أهل العلم، وكلهم يعـزو كتـاب (الإبانة) - كذا بصـريح اسـمه – للأشـعري رحمه الله؟!، ومـاذا بقي لنا من ثقة في نقلة ديننا إذا لم يوثق في هؤلاء؟! وإذا كانت الأمور المتنازع عليها يُكتفى فيها شرعًا بشهادة رجلين عـدول، فما يكـون الحـال بأولئك العشـرين من أئمة الهـدى؛ وثمة غـيرهم من علمـاء الأمة وأرباب التراجم وأئمة أهل السنة والجماعة الكثير والكثــير؟! [1].

[1] (?) ونذكر ممن اكتفى بالإقرار برجـوع الأشـعري لمـذهب السـلف دون أن ينص على عزو الإبانة إليـه: أبا القاسم القشـيري، قـال فيما نقله عنه ابن عسـاكر في التبيين ص95: «اتفق أصحاب الحديث أن أبا الحسن كان إمامًا من أئمة أصـحاب الحـديث، ومذهبه مـذهب أصـحاب الحـديث، تكلم في أصـول الـدين على طريقة أهل الســنة ورد على المخــالفين من أهل الزيغ والبـــدع، وكــان على المعتزلة والمبتدعين من أهل القبلة والخارجين عن الملة سيفًا مسلولًا، ومن طعن فيه أو قدح أو لعنه أو سبه فقد بسط لسان السوء في جميع أهل السـنة».. وأبا الحسن القيرواني المعروف بابن القابسي، قال فيما نقله عنه ابن عساكر في التبيين ص 89: «لقد مـات الأشـعري يـوم مـات وأهل السـنة بـاكون عليـه، وأهل البـدع مستريحون منه».

ومن المعاصرين: د. راجح عبد الحميد الكردي أستاذ العقيدة في الجامعة الأردنيـة، وذلك في كتابه (علاقة صـفات الله تعـالى بذاتـه)، وحكمي في (معـارج القبــول) (1/346)، وابن حجر آل بوطــامي في (العقائد السـلفية) (1/143)، والعــثيمين في (القواعد المثلى) (ص: 80-81)، ود.مصــطفي حلمي في (ابن تيمية والتصـوف) (ص: 16) وفي (قواعد المنهج السـلفي) ط الثانية (ص: 30).. ومن البـاحثين: هـادى طـالبي في رسـالته: (أبو الحسن الأشـعري بين المعتزلة والسلف) (ص: 39) وما بعدها، وخليل إبـراهيم الموصـلي في رسـالته: (بين أبي الحسن الأشـعري والمنتسـبين إليه في العقيـدة) (ص: 39) وما بعـدها، ومحمد باكريم باعبد الله في (مقدمة تحقيقه لكتاب الرد على من أنكر الحرف والصـوت للسجزي) (ص: 8) من الدراسة وما بعدها.. وغيرهم كثير.

جـ-الأشعري يدحض بأدلة العقل والنقل شبهات مدعي الانتساب إليه:

ونتخير من بين ما تبناه متأخرو الأشاعرة وكان رد الأشعري عليه تبعًا لأهل السنة فاحمًا، وفيه بدا عوار الأشعرية العقدي في باب توحيد الله في صفاته: (صفة الكلام) وهي صفة من صفات الله الخبرية والفعلية.. ففي تقرير مذهب متأخري الأشعرية، **يقول البيجوري عن صفة كلامه تعالى**: إنها "صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، ليست بحرف ولا صوت، منزهة عن التقدم والتأخر والإعراب والبناء".. إلى أن قال:

"واعلم أن كلام الله يطلق على الكلام النفسي.. وعلى الكلام اللفظي بمعنى: أنه خلقه.. ومع كون اللفظ الذي نقرأه حادثًا لا يجوز أن يقال: (القرآن حادث إلا في مقام التعليم).. ويصح أن يدل الكلام اللفظي على النفسي دلالة عقلية التزامية بحسب العرف، وقد أضيف له تعالى كلام لفظي كالقرآن، فإنه كلام الله، بمعنى: أنه خلقه في اللوح المحفوظ، فدل التزامًا على أن له تعالى كلامًا نفسيًا.. وهذا هو المراد بقولهم: القرآن حادث ومدلوله قديم" إ.هـ.

ولأجل أن الأشاعرة لم يُثبتوا لله من الكلام سوى (النفسي) منه، لم يدرجوا هذه الصفة ضمن (صفات الأفعال)، بزعم أن اللفظي من هذه الصفة منفصلة عنه وأن كلامه يتضمن معنى قائمًا بذاته هو ما خلقه في غيره، فنفوا بذلك أن يكون متكلمًا متى شاء وأين شاء وإذا شاء وكيف شاء.. ولأجله كذلك لم يَعُدُّوا القرآن كلام الله؛ وأحالوا عليه تعالى الكلام اللفظي لمشابهته - باعتقادهم- بالحوادث، ونزهوا كلامه عن الحرف والصوت بحجة أن كلامه ليس ألفاظًا مرتبة، إذ الألفاظ لا بد فيها من الترتيب فلا يُنطق بالحرف الثاني إلا إذا انقضى الحرف الأول وهكذا، ولا بد فيها من الإعراب والبناء ليُفهم المقصود، كما لا بد فيها من السكوت بين بعض الكلمات وبعضها، وكل ذلك منفي عن (الكلام النفسي).. وفي ذلك يقول البيجوري - في شرح ما نظمه اللقاني بقوله:-

ونـزِّه القـرآن أي كلامه	عن الحـدوث واحـذر
فكل نص للحـدوث دلا	احمل على اللفظ الذي

"أي: واعتقد أيها المكلف؛ تنزه القرآن - بمعنى كلامه تعالى بالمعنى المجازي - عن الحدوث، خلافًا للمعتزلة القائلين بحدوث الكلام زعمًا منهم أن من لوازمه: الحروف والأصوات وذلك مستحيل عليه تعالى، فكلام الله عندهم مخلوق؛ خلقه الله في بعض الأجرام، ومذهب أهل السنة - يقصد الأشاعرة- أن القرآن

بمعنى الكلام النفسـي- ليس بمخلـوق، وأما القـرآن بمعـنى اللفظ الـذي نقـرؤه، فهو مخلـوق، لكن يمتنع أن يقـال ذلك إلا في مقـام التعليم".

كـذا بما يعـني: إحالة أن يكـون القـرآن كلام اللـه، كونه بـالحرف والصــوت واللفــظ، وهي أمــور حادثـــة، وبحجة أن هــذا مــذهبٌ للمعتزلة، وادعاء أن أهل السنة على التفرقة بين كلام الله وقرآنه؛ وأن القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرأه مخلـوق، وأن المـنزَّل منه هو المعـنى؛ وقد "عبّر عنه جبريل بألفـاظ من عنـده، وقيـل: عـبر عنه النبي ﷺ بألفاظ من عنده" وتلك عبارة البيجوري ص104.

وهو وإن ساقها بحق النـبي عليه السـلام بطريق التمـريض إلا أن المؤدى واحد، وهـو: القـول بالتفرقة بين كلام الله النفسي المـنزَّه عن الحـــدوث وعن الحـــرف والصـــوت، وبين قرآنه المـــنزَّل بهما وباللفظ والمعنى، إذ الأخير منهما عنـدهم وعلى حـدِّ قولـه، "خلقه الله أولًا في اللــوح المحفــوظ، ثم أنزله في صــحائف إلى ســماء الدنيا.. ثم أنزله على النبي مُفرَّقًا بحسب الوقائع.. وأن كـلَّ ظـاهر من الكتــاب والســنة دل على حــدوث القــرآن، هو محمــول على اللفظ المقروء لا على الكلام النفسي، لكن يمتنع أن يقـال القـرآن مخلوق إلا في مقام التعليم".

وهذا كلام له خطورته ويستوجب نسف مـذهب الأشـعرية بالكلية ونبـذه، والاستعاضة عنه بمعتقد أهل السـنة.. إذ لا يعـني ما ذكـره أولئك المُنَظِّرون واعتقـدوه واعـترفوا بـه، سـوى اتفـاق الأشـاعرة والمعتزلة في نفي أن يكـــون الله متكلمًا بمشـــيئة، وأن القـــرآن المنزَّل - وهو عبارة عنه- مخلـوق، وأن الكلام اللفظي محـال عليه تعالى لحدوث ذلك بزعمهم، وأن الخلاف فيما بينهما هو في إثبــات الكلام النفسي أو نفيه، فلو اعترف المعتزلة به لانتهى الخلاف.

وكلُّ هذا يَردُ عليه:

1-دحض الأشــعري نفسه لقــول أولئك الــذين ادعــوا شــرف الانتساب إليه؛ إذ هو منهم براء براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

2-وإجمـاع أهل السـنة على أن القـرآن بمعانيه وألفاظه هو من كلام الله.

3- وعلى عدم تفريقهم بين ما إذا قيل ذلك في مقام التعليم أو غيره.

4- وعلى أن عبـارات: (لفـظُ القـرآن مِن خلق اللـه)، (الألفـاظ المتلوة مخلوقة لله فهي حادثة)، (مخلوقة له سـبحانه)، (خلقه في

اللوح المحفوظ)، (القرآن حـادث)؛ من البـدع المنكـرة لما يعتورها من الإلباس والإيهام.

وسيأتي بيان أن الأشـاعرة قلـدوا المعتزلة في أن القـرآن بلفظه مخلوق، وأنهم لم يستوعبوا كلام أهل السنة في هذه القضـية، وأن القرآن في عقيدة أهل السنة هو المنزل من عند الله على محمد بواسطة جبريل عليه السلام.. والذي يعنينا هنا هو:

= دحض الأشــعري - وهو على مــذهب أهل الســنة - لقول من ادعوا شرف الانتساب إليه:

ففى كتابه الإبانة ص46 يُجمل الأشـعرى قـول المنكـرين لصـفة الكلام وغيرها من صـفات الخـبر والفعـل، ويُرجع ذلك إلى الهـوى وتقليد من سبقوهم، فينص على "أن كثيرًا من الـزائغين عن الحق من المعتزلة مـالت بهم أهـواؤهم إلى تقليد رؤسـائهم ومن مضى من أسـلافهم، فتـأوَّلوا القـرآن على آرائهم تـأويلًا لم يُـنزل الله به سلطانًا، ولا أوضح به برهانًا، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ولا عن السـلف المتقـدمين.. ودانـوا بــ (خلق القـرآن) نظـيرًا لقـول إخوانهم من المشركين الذين قالوا: **إن هذا إلا قــول البشر** [المدثر :25]، فزعموا أن القرآن كقول البشر".

وفى تفاصـيل ما ذكـره أولئك الزائغـون يسـتعرض الأشـعرى مقولاتهم، فيذكر فى (مقالات الإسلاميين) ص40 اختلاف الروافض فى (القرآن)، ويوضح أنهم كانوا فى ذلك فرقتين: "الفرقة الأولى: منهم هشام بن الحكم وأصحابه، يزعمـون أن القـرآن لا خـالق ولا مخلوق.. والفرقة الثانية منهم: يزعمون أنه مخلوق مُحْدَث لم يكن ثم كان، كما تزعم المعتزلـة"، وهو ما آل إليه كلام الأشـاعرة على نحو ما أوضحنا.. كما حكا بعدُ ص124 عن الخوارج قـولهم: "بخلق القرآن".

ثم راح ص186، 191، 225، 516، 582 يسـتعرض أقـوال المعتزلة، ويكشف أنهم قد اختلفـوا فى صـفات الأفعـال على ثلاث فـرق.. واختلفـوا فى كلامه تعـالى هل هو جسم أم ليس بجسـم؟ على سـتة أقاويـل، وهل هو حـروف أم لا؟ على مقـالتين.. وهل القراءة حكاية للقرآن أم لا؟ على قولين.. وفى صحة أن يقـال أن البارى متكلم أو مُكلِّم على أقوال.. وفى أن القـرآن مُحْـدَثٌ، كـان بعد أن لم يكن؟ إلى آخر هذه التشقيقات الـتي لا طائل من ورائها والتي تأثر الأشاعرة -ولا يزالون- بكثيرٍ منها.

وعما كـان عليه أمر أولئك المعتزلة -الـذين فرّقـوا بين اتصـافه تعالى بـ(العلم) واتصافه بـ(الكلام)، فأثبتوا الأول ونفوا الثانى تـارة، وأثبتوهما ونفـوا عنهما أن يكـون - سـبحانه - عالمًا بعلم متكلمًا

بكلام، تـــارة أخـــرى - **طفق الأشـــعري في الإبانة ص96 يكشف عوارهم قـائلًا:** "ويقـال لهم: خبِّرونا عمن زعم أن الله (متكلم) (قائل)، (آمر) (ناه)، (لا قول لـه، ولا كلام، ولا أمر لـه، ولا نهى)، أليس هو منـاقض خـارج عن جملة المسـلمين؟؛ فلا بد من: (نعم)، يقال لهم: فكذلك من قال: (إن الله عالم ولا علم له)، كـان ذلك مناقضا خارجا عن جملة المسلمين".

قال: "وقد فرقوا بين (العلم) و(الكلام).. فيقـال لهم: أليس الله عالِمًـــا، والوصف له بأنه عــــالم أعم من الوصف له بأنه متكلم مكلِّم؟، فلم لا قلتم: إن الكلام لا ينفي أن يكـــون لله علم، كما لم ينف بخصوص الكلام أن يكون الله عالِمًا؟" إ.هـ

على أن قـــول الأشــعري في مقـــالات الإســلاميين ص298 عن أصحاب ابن كلّاب: (إنهم يقولون بأكثر ما ذكرناه عن أهل الســنة)، إنما يعـني به ما وافق الكُلّابية فيه أهل الســنة من إثبـات ما نفـاه المعتزلة من أسـماء الله وصـفات المعـاني، غـير أن الأشـعري زاد على ذلك: ما أقره السـلف من نفي مجمل وإثبـات مفصل لسـائر ما ثبت لله من الصفات الخبرية والفعلية، وهو ما استقر عليه أمره بعد تراجعه عن مـــذهب شـــيخه ابن كُلّاب من أن "أهل الســـنة وأصـحاب الحـديث.. لم يقولـوا شـيئًا إلا ما وجـدوه في الكتـاب أو جاءت به الرواية عن رسول اللـه"، كـذا في (مقـالات الإسـلاميين) ص211، وبنحوه في ص217.

وكما هو ملاحظ فإن هذا جاء منه على وجه الإجمال، وبنحـوه في الإبانة ص50، قولـه: "ونقـول: إن كلام الله غـير مخلـوق، وأنه - سبحانه - لم يخلق شيئًا إلا وقد قال له (كن).. ونقول: إن من قـال بخلق القرآن فهو كافر".

أما تفصيل ذلك، فهو: ما حكاه الأشعري في (المقـالات) ص290 وما بعدها، من (جملة قـول أصـحاب الحـديث وأهل السـنة)، وفيها بعد إثبات جميع ما أثبته تعالى لنفسه وأثبته له رسوله: "أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن من قـال باللفظ والوقف فهو مبتـدع، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق"إ.هـ.

وما سطره في الباب الثاني ص65 وما بعـدها من كتابه (الإبانـة) فيما عنون له بباب (الكلام في: أن القرآن كلام الله غير مخلـوق)، إذ يقول: "إن سأل سائل عن الدليل على أن القرآن كلام الله غـير مخلـوق، قيل لـه: الـدليل على ذلك قوله تعـالى: ﴿**ومن آياته ان تقوم السماء والأرض بأمره**﴾ [الروم :25]، وأمرُ الله - الذي هو قوله: (كن)- كلامُه، فلما أمرهما بالقيـام، كـان قيامهما بـأمره.. وقال: ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾ [الأعراف :54]، فالخلق جميع ما




خلق، ولما قال: (والأمر) ذكر أمرًا غير جميع الخلق، فـدل على أن أمر الله غير مخلوق، وأبان الأمر من الخلق، وأَمْرُ الله كلامُه، وهذا يـوجب أن كلام الله غـير مخلـوق.. وقـال: ﴿**لله الأمر من قبل ومن بعد**﴾ [الروم :4]، يعـني: من قبل أن يخلق الخلق ومن بعد ذلك، وهذا يوجب أن (الأمر) غير مخلوق"، إلى آخر ما سـنذكره له في كتابه الموسـوم بـــ (الإبانة عن أصـول الديانـة)، محل هـذا التحقيق.

د-عبارات أئمة أهل السنة في ذم (الأشعرية) بالاسم، وفي ردِّ ترهاتهم ودحض حججهم:

ونقتطف من عبـارات السـلف في نقض معتقـدات (الطائفة السّبعية) الباطلة:

(1)ما ذكره ابن سريج إمام الشافعية في وقته والذي إليه - على حد قـول الـذهبي - المنتهى في معرفة المـذهب ت306، قـال[1]: "قد صح وتقرر واتضح عند جميع أهل الديانة والسنة والجماعة من السلف الماضين والصحابة والتابعين من الأئمة المهتدين الراشدين المشهورين إلى زماننا هـذا، أن جميع الآي الـواردة عن الله تعـالى في ذاته وصفاته، والأخبار الصادقة الصـادرة عن رسـول الله ﷺ في الله وفي صـفاته الـتي صـححها أهل النقل وقبِلها النقـاد الأثبـات، يجب على المرء المسلم المؤمن الموفـق، الإيمـان بكل واحد منها كما ورد، وتسـليم أمـره إلى الله كما أمـر.. وجميع ما لفظ به المصطفى من صفاته.. اعتقادنا فيه:

أن نقبلها ولا نردُّها، ولا نتأولها بتأويل المخـالفين، ولا نَحْمِلهَا على تشبيه المشبهين، ولا نزيد عليها ولا ننقص منها، ولا نفسرها - يعني تفسيرًا يخرجها عن ظاهر معناها كما كـان يفعل جهم وأتباعه - ولا نكيفهـا، ولا نـترجم عن صـفاته بلغة غـير العربيـة، ولا نشـير إليها بخـواطر القلـوب ولا بحركـات الجـوارح، بل نطلق ما أطلقه الله ونفسر ما فسره النبي وأصحابه والتـابعون والأئمة المرضـيون من السلف المعروفين بالـدين والأمانـة، ونُجمع على ما أجمعـوا عليـه، ونُمسك عما أمسـكوا عنـه، ونُسـلم للخـبر الظـاهر والآية الظـاهر تنزيلهـا، لا نقـول بتأويل المعتزلة والأشـعرية والجهمية والملحـدة والمجسـمة والمشـبهة والكرّامية والمكيفـة، بل نقبلها بلا تأويل ونؤمن بها بلا تمثيل، ونقـول: الإيمـان بها واجب، والقـول بها سـنة، وابتغاء تاويلها بدعة"أ.هـ.

---

[1](?) فيما نقله عنه ابن قدامة في (ذم التأويـل) ص29 والحافظ الـذهبي في (العلو) ص152 وبمختصره ص226 وهو بتمامه في اجتماع الجيوش ص62: 64




(2)وما ذكــره الإمــام الجويــني ت438 حاكيًا عن تجربته وما آل إليه أمره، قـال: «كنت متحـيرًا في الأقـوال المختلفة الموجـودة في كتب أهل العصر من تأويل الصـفات وتحريفهـا، أو إمرارها والوقـوف فيهـــا، أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشـــبيه ولا تمثيـــل، فأجد النصوص في كتاب الله وسنة رسـوله صلى الله عليه وسـلم ناطقة منبئة بحقـائق هـذه الصـفات.. ثم أجد المتـأخرين من المتكلمين في كتبهم، منهم من يــؤول (الاســتواء): بـــ (القهر والاســتيلاء)، ويــؤول (النزول): بـ (نزول الأمر)، وأمثـال ذلـك، ثم أجـدهم مع ذلك يجعلـون كلام الله معـنى قائمًا بالـذات بلا حـرف ولا صـوت ويجعلـون هـذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم، وممن ذهب إلى هذه الأقوال أو بعضـها قـوم لهم في صـدري منزلـة.. ولي فيهم الاعتقـاد التـام لفضلهم وعلمهم.

ثم إنني مع ذلك أجدِ في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلـبي إليهـا، وأجد الكـدَر والظُلمة منهـا، وأجد ضـيق الصـدر وعـدم انشراحه مقرونا بهـا.. وكنت أخـاف من إطلاق القـول بإثبـات العلو والاستواء والنزول مخافة الحصر والتشبيه، ومع ذلك فـإذا طـالعت النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله أجدها نصوصًـا تشـير إلى حقائق هـذه المعـاني.. ثم لا أجد شـيئًا يَعْقُب تلك النصـوص لا نصًـا ولا ظـاهرًا مما يصـرفها عن حقائقها ويؤولها كما تأولها هـؤلاء المتكلمين، ولم أجد عنه صـــلى الله عليه وســـلم أنه كـــان يُحـــذّر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صــفته لربه من الفوقية واليدين وغيرهـا، ولم يُنقل عنه مقالة تـدل على أن لهـذه الصـفات معـــانٍ أخر باطنة غـــير ما يظهر من مـــدلولها، وأجد الله يقـــول: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ [طه:5]"، وذكر النصوص في ذلك، ثم استطرد يقول:

"والذي شرح الله به صدري في حال هـؤلاء الشـيوخ الـذين أولـوا.. هو: علمي بأنهم ما فهموا في صفات الـرب إلا ما يليق بـالمخلوقين، فما فهموا عن الله استواءً يليق به، ولا نزولًا يليق بـه، ولا يـدين تليق بعظمته بلا تكـييف ولا تشـبيه، فلـذلك حرفـوا الكلم عن مواضـعه، وعطلوا ما وصف الله نفسه به"[1] إلى آخر ما جـاء في حكايته الـتي فصلنا القول فيها بكتابنا (سيرًا على خطا الأشعري)، فلتراجع هنالك.

(3) وما ذكـــــره القاضي أبو يعلى ت458 في كتابه (إبطـــــال التأويلات) ص26، 42، 43، قال - إبان سوقة لعبارات أئمة السنة

---

[1](?)ينظر رسـالته (في إثبـات الاسـتواء والفوقيـة) ضـمن (مجموعة الرسـائل المنيرية) 1/ 176- 184 مجلد1، أو (النصيحة في صفات الرب سبحانه وتعالى) ت زهير الشاويش.




في إثبات الصفات وحملها على ظاهرها، وقد نقله عنه الذهبي في (العلو) ص183 وهي بمختصر ص270-:

إنه "لا يجـــوز رد هـــذه الأخبـــار على ما ذهب إليه جماعة من المعتزلـــة، ولا التشـــاغل بتأويلها على ما ذهب إليه الأشـــعرية، والـــواجب حملها على ظاهرها وأنها صـــفات لله تعـــالى لا تشـــبه صفات الموصوفين بها من الخلق، ولا نعتقد التشـبيه فيهـا، لكن ما روي عن أئمة أصحاب الحديث: أنهم حملوها على ظاهرها.. ويـدل على إبطـال تأويلها أن الصـحابة ومن بعـدهم حملوها على ظاهرها ولم يتعرضـوا لتأويلها ولا صَـرفِها عن ظاهرهـا، فلو كـان التأويل سائغًا لكانوا إليه أسـبق لما فيه من إزالة التشـبيه.. كما يـدل على إبطاله: أن من حمل اللفظ على ظـاهره حمله على حقيقتـه، ومن تأول عَدَل به عن الحقيقة إلى المجاز، ولا يجوز إضافة المجـاز إلى صـفاته"، "يعـني: على زعم من قـال: إن (ظاهرها تشـبيه)" وتلك عبارة الذهبي الذي علق يقول:

"المتـأخرون من أهل النظر قـالوا مقالة مُوَلَّدة، ما علمتُ أحـدًا سـبقهم بهـا، قـالوا: هـذه الصـفات تمر كما جـاءت ولا تـؤول، مع إعتقاد أن ظاهرها غـير مـراد، فتفـرع من هـذا أن الظـاهر يُعْنَي به أمران:

أحدهما: أنه لا تأويل لها غـير دلالة الخطـاب كما قـال أئمة أهل السـنة: (الاسـتواء معلـوم)، وكما قـال سـفيان وغـيره: (قراءتها تفسـيرها)، يعـني أنها بينة واضـحة في اللغـة، لا يُبتغى لها مضـايق التأويل والتحريف، وهذا هو مذهب السلف، مع اتفـاقهم أيضًـا على أنها لا تشبه صفات البشر بوجه، إذ البـاري لا مثل له لا في ذاته ولا في صفاته.

الثاني: أن ظاهرها هو الذي يتشكل في الخيال من الصـفة، كما يتشـكل في الـذهن من وصف البشـر، فهـذا غـير مـراد، فـإن الله تعالى فرد صمد ليس له نظير، وإن تعددت صفاته فإنها حق، ولكن ما لها مثل ولا نظـــير، فمن ذا الـــذي عاينه ونعته لنـــا؟! ومن ذا يستطيع أن ينعت لنا كيف سمع كلامه، ووالله إنا لعاجزون، وكالّون حائرون باهتون في حد الـروح الـتي فينـا، وكيف تعـرج كل ليلة إذا توفاها بارئها وكيف يرسلها وكيف تستقل بعد الموت؟»[1] إ.هـ.

---

[1](?) على أن كلام الذهبي هذا الذي يمثل القول الفصل في قضية الصفات، حجة على الأشاعرة، ذلك أنهم وإن كانوا يعتقدون بأن ظاهرها لا يتشـكل في الخيـال، إلا أنهم حرَّفوها وابتغوا لها مضايق التأويل، وإنما أردنا بهـذا: التنبيه على أنهم في ذلك على خلاف مع السـلف، وألا يحتج علينا أحد بـــأن ما بينهما مجـــرد خلاف لفظي.




(4)ولابنه أبي الحســـين محمد بن أبي يعلى صـــاحب (طبقـــات الحنابلة) ت526 قوله في كتـاب (الاعتقـاد): "أول ما نبـدأ بـذكره، ذكر ما افترض الله على عباده وبعث به رسـوله وأنـزل فيه كتابـه، وهو الإيمان بالله.. ثم الإيمان بأن الله واحد لا يشـبهه شـيء.. وأن ما وقع في الـوهم فالله وراء ذلـك"، إلى أن قـال ص41 وبعد ذكر جملة من الصـفات وأمـور الاعتقـاد: "ويجب هجـران أهل البـدع والضـلال كالمشـبهة والمجسـمة والأشـعرية والمعتزلة والرافضة والمرجئة والقدرية والجهمية والخوارج.. وبقية الفرق المذمومة".

(5) وفي كلام له أهميته يقول الأصبهاني إمـامُ الشـافعية في وقته ت535، في كتابه (الحجة) 1/ 429 ما نصه: "القرآن كلام الله منزَّل غير مخلوق، منه بدا وإليه يعـود، تكلم به في القِـدم بحـرفٍ وصـوت، حـرفٌ يُكتب وصـوتٌ يُسـمع ومعـنىً يُعلم، وقـالت المعتزلـة: القـرآن مخلوق، وقالت الأشعرية: كلام الله ليس بحرف ولا صــوت، وإنما هو معنى قائم في نفسه لم يَنزل على نبينا ولا على غيره، وما نقرأه هو عندهم مخلوق، فالدلالةُ على بطلان قول المعتزلة – وكـذا الأشـعرية النـافين عن كلامه تعـالى اللفـظ، والـذاهبين إلى أن الله خلقه في اللـــوح ثم ألهمه جبريل الــذي نــزل به على محمد عليهما الســلام، والمنكرين أن يكون بلفظ وصوت وحرف -:

قولُه تعالى: ﴿**إنما قولنا لشيء إذا أردنـاه إن نقـول له كن فيكون**﴾ [النحل :40]، فأخبر تعالى أنه كـوّن الأشـياء بــ (كن)، فلو كانت (كن) مخلوقة لاحتاجت إلى (كن) أخرى تُخلق بهـا، وأخـرى إلى أخرى إلى ما لا نهاية، فيُفضِـي إلى قِـدَم المخلوقـات.. وقولُه تعـالى: ﴿**وإن احد من المشـركين اسـتجارك فـأجره حـتى يسـمع كلام الله**﴾ [التوبة :6]، والمســموع إنما هو الحــرف والصــوت لا المعــنى، لأن العــرب تقــول: (ســمعتُ الكلام وفهمتُ المعــنى)، ولا تقول: (سمعتُ المعنى)، فلما قال: (حتى يَسمع) دل على أنه الحرف والصـوت، ولو كـان ما سـمعوه من النـبي ليس بكلام الله لم تحصل الاستجارة لهم.. ولأنه تعالى قال: ﴿**فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن**﴾ [القصص :30]، والنداء عند جميع أهل اللغة لا يكون إلا بحرف وصوت"، إلى أن قـال: "وقد أجمع أهل العربية أن ما عــدا الحروف والأصوات ليس بكلام حقيقة"، وســاق على ذلك المزيد من الأدلة.

وبنحو ما سبق فيما جرى بين الأشعرية والمعتزلة من لغط في حـدِّ الكلام، أفضى بــالجميع إلى إنكــارهم كلام الله على حقيقتــه؛ جعل الأصبهاني يكرر ويؤكد في الحجة 2/ـ 516 ما سبق أن قـرره بشـأن اختلاف المتكلمين في حـدِّ المتكلم، فيقـول: "اختلف المتكلمـون في حدِّ المتكلم، فقـال الأشـعرية: (حـدُّه: مَن قـام الكلام بذاتـه)، وقـالت

المعتزلة: (حدُّه: مَن وُجِد منه الحرف والصوت)([1])، واتفق أهل العلم فيمن حلف بالطلاق ألاَّ يتكلم فقرأ القرآن، لم يحنث"، يعني: لكون القرآن المقروء ليس بكلامه وإنما هو كلام الله، ولكون القراءة التي هي من فعل القارئ غير المقروء.

كما اتفقوا على أنه لا يصح أن يكون المتكلم متكلمًا بكلام يقوم بغيره[(2)]، وأن لو صح ذلك للزم أن يكون ما أحدث من الكلام في الجمادات كلامه! وكذلك ما خلقه في الحيوانات، ولا يُفَرَّق حينئذ بين (نطق) و(أنطق)، وإنما قالت الجلود: ﴿**أنطقنا الله**﴾ [فصلت :21]، ولم تقل نطق الله، بل يلزم أن يكون متكلمًا بكل كلام خلقه في غيره، زورًا كان هذا الكلام أو كفرًا أو هذيانًا.

ثم إنه لو صح أن يوصف أحد بصفة قامت بغيره، لصح أن يقال للبصير: (أعمى)، وللأعمى: (بصير)، لأن البصير قد قام وصف العمى بغيره، والأعمى قد قام وصف البصير بغيره، ولصح أن يوصف الله تعالى بالصفات التي خلقها في غيره من الألوان والروائح والطعوم والطول والقِصَر ونحو ذلك[(3)]، تعالى الله عن كل ذلك علوًا كبيرًا.. ورَدُّ أهل العلم على ما ذكروه يتلخص في: إثبات صفة الكلام له تعالى، وأن الله متكلم بكلام ذي حرف وصوت لا يشبه كلام المخلوقين، ولا يشبه حروفهم ولا أصواتهم.

كما ردَّ الأصبهاني في الجزء الثاني ص168 من نفس المصدر على من أنكر أن يكون ما في المصحف قرآنًا، بزعم أن في المصحف الحِبر والكاغد[(4)]، وذكر أن هذا يقال له: "إن كل عاقل يعلم أنهما لا يكون قرآنًا، ولكن الحِبر إذا كتب به القرآن فتلك الكتابة تسمى قرآنًا، لأن بها يُتوصل إلى قراءة القرآن وإظهاره والإخبار عنه.. ألا ترى لو أن حالفًا حلف ألا يقرأ القرآن ولا ينظر فيه، فقرأ كتابة القرآن في المصحف ونظر فيه حنث في يمينه، كما أنه لو حلف ألا يضرب زيدًا الذي هو اسمه فضرب شخصه حنث في يمينه؟".

---

[1](?) وإنهم لذلك ينفون عن الله صفة الكلام زعمًا منهم أن في ذلك تنزيهه تعالى عن صفات المخلوقين.

[2](?) كما زعم الماتريدية أن كلامه تعالى يتضمن معنى قائمًا بذاته هو ما خلقه في غيره، فأنكروا بذلك أن يكون تعالى كلم موسى تكليمًا، وهو قريب من كلام المعتزلة إن لم يكن عينه، والحق أن "لو كان كلام الله لموسى مخلوقًا في شجرة كما زعموا، للزمهم أن تكون الشجرة بذلك الكلام متكلمة، ووجب عليهم أن مخلوقًا من المخلوقات كلم موسى وقال له: ﴿**إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني**﴾ [طه: 14]، وهذا ظاهر الفساد" على ما قرره أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿**وكلم الله موسى تكليمًا**﴾ [النساء :164].

[3](?) كذا ذكره ابن أبي العز ص110

[4](?) يعني: القرطاس أو الورق الذي يكتب فيه كلام الله

قال: "وإذا قـال المبتـدع: (ليس في المصـحف قـرآن)، فقد خـالف الإجمـاع أنه مصحف القـرآن، ولا يجـوز أن يسـمى مصـحف القـرآن وليس فيه قرآن، لأنه لو لم يكن فيه قرآن كان مَن سمَّاه: (مصــحف القرآن) كاذبًا، فإضـافة المصـحف إلى القـرآن إنما تصح إذا كـان فيه القــرآن، لأن الحــروف والكلمــات والآيــات والســور المكتوبة في المصحف من نفس القرآن وعينه، لأنها حروفه وكلماته وسـوره، وإذا عُدَّت قيل: عُدّت حروف القرآن وكلماته وسـوره، حـتى لو أن حالفًا حلف أنه لا يتلفظ بـالقرآن أو بآية من آياته أو سـورة من سـوره، فقــرأ الكتابة أو تلفظ بتلك الحــروف أو ببعض ذلك كـان حانثًا في يمينه، لأنه تلفظ بما هو قرآن".

كما طفق رحمه الله 2/ـ 199 ينكر قــول "<u>الأشــعرية</u>: (كلام الله واحـد)، وأنهم قـالوا: (ما بين اللـوحين حكاية عن كلام الله وعبـارة عنه)"، وساق الأدلة في رد قـولهم هـذا بما يُقـوِّي مـذهب السـلف ومعتقدهم.

وتحت ما عقده 2/ـ 81 بعنوان: (بـاب في بيـان استواء اللـه عـز وجل على العـرش)، أدرج الأصـبهاني بعض آي التنزيـل، ثم تطـرق فيمــا تطــرق، إلى معــاني الاســتواء لــدى مثبــتي أهــل الســنة والمتأولين، قائلًا وبنفس المصدر 2/ 112: "قال علماء أهل السنة: إن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه، وقالت المعتزلـة: هـو بذاته في كل مكان، وقالت <u>الأشعرية</u>: الاستواء عائد على العرش.. **وقال بعضهم: (استوى) بمعنى: (اسـتولى)" وسـاق في ذلك البيت المصنوع:**

استوى بشر على العـراق		من غــير ســيف ولا دم

ثم قــال في رد ما فــاه به <u>الأشــعرية من أن الاســتواء عائد إلى العــرش</u>[1]: "لو كـان كما قـالوا لكـانت القـراءة برفع العرش، فلما كانت القـراءة بخفض العـرش دل ذلك على أنه عائد إلى الله تعـالى.. ثم إن (الاسـتيلاء) لا يوصف به إلا من قــدر على الشـيء بعد العجز عنـه، والله تعـالى لم يـزل قـادرًا على الأشـياء ومستوليًا عليها، ألا ترى أنه لا يوصف (بِشْر) بالاستيلاء على العراق إلا وهو عاجز عنه قبل ذلك".

واستطرد الأصبهاني في رد دعاوى الأشاعرة يقول: "وزعم هؤلاء أن معــنى: ﴿**الــرحمن على العــرش اســتوى**﴾ [طه :5] أي: (مَلكه)، وأنه لا اختصاص له بـالعرش أكـثر مما له بالأمـاكن، وهـذا إلغـاء لتخصـيص العـرش وتشـريفه.. قـال أهل السـنة: خلق الله الســماوات والأرض وكــان عرشه على المــاء مخلوقًا قبل خلق السـماوات والأرض، ثم اسـتوى على العـرش بعد خلقهما على ما

---

[1](?) ينظر في هذا غاية المرام ص141، والاقتصاد في الاعتقاد ص104 وأصـول الدين ص122.

ورد به النص، وليس معناه المماسـة، بل هو مسـتوٍ على عرشه بلا كيف كما أخبر عن نفسه.

وزعمــوا أن ذلك بمعــنى: (علو الغلبــة) لا (علو الــذات)، وعند المسلمين أن لله العلو من سائر وجوه العلو؛ لأن العلو صفة مدح، فثبت أن لله (علو الذات) و(علو الصـفات) و(علو القهر والغلبـة).. وجمــاهير المســلمين وســائر الملل قد وقع منهم الإجمــاع على الإشـارة إلى الله من جهة الفـوق في الـدعاء والسـؤال، فاتفـاقهم بـأجمعهم على ذلك حجـة، ولم يسـتجز أحد منهم الإشـارة إليه من جهة الأسفل ولا من سائر الجهات سوى جهة الفوق"، وساق رحمه الله في ذلك الآيات والأحاديث.

(6) وفي كتابه (الغنيـة) ص73 يقـول عبد القـادر الجيلاني شـيخ الزهـاد ت561[1] في بيـان ما عليه أهل السـنة: "وهو جل جلاله.. يعلم كل شيء، لا يخفى عليه شيء، وهو منزه عن مشابهة خلقـه، ولا يخلو من علمه مكـان، ولا يجـوز وصـفه بأنه في كل مكـان، بل يقال: إنه في السماء على العرش كما قال جل ثنـاؤه: **الـرحمن على العرش اسـتوى** [طه :5]، وقـال: **إليه يرفع الكلام الطيب والعمل الصـالح يرفعه** [فـاطر :10]"، يعـني خلافًا للمجسـمة والأشـعرية والمعتزلة الـذين سـاق كلامهم ص114 من الغنية قائلًا:

"وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه اسـتواء الـذات على العرش، لا على معنى القعود والمماسة كما قـالت المجسـمة والكرّاميـة، ولا على معـنى العلو والرفعة كما قـالت الأشـعرية، ولا على معنى الاستواء والغلبة كما قالت المعتزلة، لأن الشرع لم يرد بذلك، ولا نُقل عن أحد من الصحابة والتـابعين من السـلف الصـالح من أصحاب الحديث ذلك.. وكونه - سبحانه - على العرش، مـذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف".

ويقـول ص74 بنفس المصـدر: "وأنه تعـالى يـنزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، كيف شاء وكما شـاء، فيغفر لمن أذنب، لا بمعـنى نــزول الرحمة وثوابه كما ادعته المعتزلة والأشــعرية، للأحــاديث الصحيحة في ذلك"، ثم ذكر الأحـاديث والآثـار في هـذا".. وفي ص 77 وما بعــدها ما نصه - بعد حــديث طويل عن صــفة الكلام وأن القرآن غير مخلوق -:

"ونعتقد أن القــرآن حــروف مفهومة وأصــوات مســموعة، لأن بها يصير الأخـرس والسـاكت متكلمًا ناطقًـا، وكلام الله عز وجل لا ينفك عن ذلـك، فمن جحد ذلك فقد كـابر حسه وعميت بصـيرته قـال الله

[1] (?) وقد نقله عنه بتصرف شيخ الإسلام في مجمـوع الفتـاوى 5/ـ 85 وابن القيم في اجتماع الجيوش ص108 والذهبي في العلو ص193 وهي بمختصره للألبــاني ص284.

تعالى: الم، حم، طسم. تلك آيـات الكتـاب [الشـعراء، القصص: 1- 2] فقد ذكر حروفًا وكنى عنها بالكتاب".. **إلى أن قال بعد أن ساق الأدلة على كل هذا:**

"وهـذه الآيـات والأخبـار تـدل على أن لكلام الله صـوت لا كصـوت الآدمـــيين، وكما أن علمه وقدرته وبقية صـــفاته لا تشـــبه صـــفات الآدميين، فكذلك صوته، وقد نص الإمام أحمد على إثبات الصوت في رواية جماعة من الأصحاب خلاف ما قالت الأشعرية من أن كلام الله معـنى قـائم بنفسـه، والله حسـيب كل مبتـدع ضـال، فالله لم يـزل متكلمًا وقد أحاط كلامه بجميع معاني الأمر والنهي والاستخبار".

(7)ويأتي ضـمن من أدركـوا خطأ ما عليه متـأخرو الأشـاعرة في تأويل صفات العلو والفوقية والاستواء: ابن رشد المعروف بالحفيد ت605، وقد بدا هـذا واضـحًا في كتابه (الكشف عن منـاهج الأدلة في عقائد الملة)، حيث أثبت فيه صفة (الجهة) التي تقتضي وصفه تعالى بالعلو والفوقية والاستواء على العرش والنزول، **فقـال ص 93 وما بعدها ما نصه:**

"وأما هذه الصـفة، فلم يـزل أهل الشـريعة من أول الأمر يثبتونها لله - سبحانه - حـتى نفتها المعتزلـة، ثم تبعهم على نفيها متـأخرو الأشعرية كأبي المعالي[1] ومن اقتدى بقوله، وظـواهر الشـرع كلها تقتضي إثبـــات الجهة مثل قوله تعـــالى: **ويحمل عـــرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية** [الحاقة :17]، ومثل قوله: **يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه** [السـجدة :5]، ومثل قوله: **تعرج الملائكة والروح إليه** [المعارج :4]، ومثل قوله:

---

[1](?) يعني: قبل تراجعه، حيث قال في (الرسـالة النظاميـة): "ذهب أئمة السـلف عن الانكفـاف عن التأويـل، وإجـراء الظـواهر على مواردهـا، والـذي نرتضيـه رأيًا وندين الله به عقدًا، اتباع سلف الأمـة، فـالأولى: الاتبـاع وتـرك الابتـداع، والـدليل القاطع السمعي في ذلك: أن إجماع الأمة حجة متبعـة.. وقد درج صـحب النـبي على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها، وهم صفوة الإسلام والمستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهدًا في ضـبط قواعد الملة والتواصي بحفظهـا، وتعليم الناس ما يحتـاجون إليه منهـا، فلو كـان تأويل هـذه الظـواهر مسـوغًا ومحتومًا – يعـني: كما يقـول أهل التأويل – لأوشك أن يكـون اهتمـامهم بها فـوق اهتمـامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويـل، كان ذلك قاطعًا وأنه الوجه المتبع بحق"، ثم قال: "فلتُجرَ آية الاسـتواء والمجيء، وقوله: **لما خلقت بيدي** [ص :75]، **ويبقى وجه ربك** [الـرحمن :27] و**تجري بأعيننـا** [القمر :14]، وما صح من أخبـار الرسـول ‘ كخـبر النـزول وغيره، على ذلك، فهذا بيان ما يجب لله تعالى".

وقد شهد بتراجع إمام الحرمين عن التأويل شيخ الإسلام، حيث قال في مجموع الفتاوى 16/ 91 ما نصه: "أبو المعالي كان يقول بالتأويل، ثم حرّمه وحكا إجماع السلف على تحريمه"، ويُنظر في تفاصيل ذلك كتابنا (سيرًا على خطا الأشعري)

﴿**أأمنتم من في السـماء أن يخسف بكم الأرض**﴾ [الملك : 16]، إلى غـير ذلك من الآيـات الـتي إن سـلط التأويل عليها عـاد الشرع كله مؤولًا، وإن قيل فيها: إنها من المتشابهات عـاد الشـرع كله متشابهًا، لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله في السـماء وأن منه تـنزل الملائكة بـالوحي إلى النبـيين، وأن من السـماء نـزلت الكتب، وإليها كان الإسراء بالنبي حتى قَرُب صلى الله عليه وسـلم من سدرة المنتهى".

إلى أن قال في حكاية الإجماع على إثباتهـا: "وجميع الحكمـاء قد اتفقوا على أن الله تعـالى والملائكة في السـماء، كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك".

(8) وابن قدامة المقدسي ت620 قـال في كتابه (منـاظرة أهل البدع في القرآن العظيم وكلام الله القديم) ص127 ما نصـه: "ولا نعرف في أهل البـدع طائفة يكتمـون مقـالتهم - بـأن القـرآن ليس بكلام الله وإنما هو حكاية عن جبريل - ولا يتجاســـــــرون على إظهارها إلا الزنادقة والأشعرية، وقد أمر الله رسوله بإظهار الـدين والدعاء إليه وتبليغ ما أنزل عليه، فقال تعالى: ﴿**يا أيها الرسـول بلغ ما أنـــــزل إليك من ربك وغن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾ [المائـدة :67]، فـإن كـانت مقـالتهم كما يزعمـون هي الحق؛ فهلا أظهروها ودعـوا النـاس إليهـا؟! وكيف حـلّ لهم كتمانُها وإخفاؤها والتظاهر بخلافها وإيهام العامة اعتقاد ما سـواها؟! بل لو كـانت مقـالتهم هي الحق الـذي كـان عليه رسـول اللـه وأصـحابه والأئمة الـذين بعــدهم، كيف لم يُظهرها أحد منهم وكيف تواطئـوا على كتمانهـا؟! أم كيف حـلّ للنبي كتمانها عن أمته وقد أُمر بتبليغ ما أنزل إليه وتُوُعِّد على إخفاء شيء منه؟! أم كيف وسعه -كما هو مؤدى كلامهم- أن يوهم الخلق خلاف الحق؟!.

ثم هو صلى الله عليه وسـلم أشـفق على أمته من أن يُعلمه الله حقًا ويأمره بتبليغه إلى أمته فيكتمه عنهم حتى يضـلوا عنـه، ثم إذا كتمه فمن الذي بلَّغه إلى الصحابة حتى اعتقدوه ودانوا به؟! وكيف تُصُـوِّر منهم أن يـدينوا به ويتواطئـوا على كتمانه حـتى لا يُنقل عن أحد منهم مع كـثرتهم وتفـرقهم في البلـدان؟!؛ فـإن تُصُـوِّر ذلك منهم، فمن الذي نقله إلى التابعين حتى اعتقدوه؟!.. فكل هـذا من المستحيل الذي يَقطع كل ذي لب بفسـاده، ويعلم يقينًا أن رسـول الله وأصحابه وتابعيهم ما كانوا يعتقدون في القرآن اعتقـادًا سـوى اعتقاد المسلمين، وأنه هذا القرآن العـربي الـذي هو سـور وآيـات، وهذا أمر لا يخفى على غير من أضله الله"

وقال ص114 بنفس المصـدر: "والأمة مجمعة على أن هـذا القـرآن، هو الـذي لا تصح الصـلاة إلا بـه، ولا تصح الخُطبَة إلا بآية منـه، ولا يَقـرأه حـائض ولا جنب، ولمّا اختلف أهل الحق والمعتزلة فقال أهل الحق: (القرآن كلام الله غير مخلوق)، وقالت المعتزلـة: (هو مخلوق)، لم يكن اختلافهم في هذا الموجـود دون ما في نفس الباري مما لا يُـدرى ما هو ولا نعرفـه، ولمّا أمر الله بترتيل القـرآن بقولـه: **ورتل القـرآن تـرتيلًا** [المزمل :4]، لم يفهم منه المسـلمون إلا هـذا الموجـود، ولما قـال الوليد بن المغـيرة: **إن هذا إلا قول البشر** [المدثر :25]، إنما أشـار إلى هـذا النظم، فتوعده الله بقوله: **سأصليه صقر** [المدثر :26]، ولمّا قـالوا: **لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه** [سبأ :31] إنما أشاروا إليه، ولما قالوا: **إن هذا إلا أساطير الأولين** [الأنعام :25]، لم يعنوا غيره.

ولو لم يكن هـذا النظم قرآنا لـوجب أن تبطل الصـلاة به لما في صحيح مسلم: (إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام النـاس، إنما هي التسـبيح والتكبـير وقـراءة القـرآن)، فعلى قـول هـؤلاء المخذولين يكون القرآن الذي لا تصح الصـلاة إلا بـه، مبطِلًا لها لأنه ليس بقرآن وإنما هو - بزعمهم- تصنيف جبريل، وهـذه فضـيحة لم يُسبقوا إليها" إ.هـ.

(9) وكـان الحافظ ابن عسـاكر ت728 قد نقل في (تبـيين كـذب المفـتري) ص129 عن أبي الحسن الأشـعري قوله في كتابه الـذي سماه (العمدة في الرؤية): "ألفنا كتابًا كبـيرًا في الصـفات تكلمنا فيه على أصناف المعتزلة والجهميـة، فيه فنـون كثـيرة من الصـفات في إثبـات الوجه واليـدين، وفي اسـتوائه على العـرش"، ثم علق ابن عسـاكر يقـول: "كـان أبو الحسن أولًا معتزليًّا أخذ عن أبي علي الجبائي، ثم نبذه ورد عليه وصار متكلمًا للسنة وقد نقل إجماعه على ذلك وأنه موافقهم"، **إلى أن قال:**

"فلو انتهى أصحابنا إلى مقالة أبي الحسن هـذه ولزموها لأحسـنوا، ولكنهم خاضـوا كخـوض حكمـاء الأوائل في الأشـياء، ومشـوا خلف المنطق فلا قوة إلا بالله" إ.هـ من كتاب (العلو) للذهبي ص163 وهي بمختصره ص242.

(10) وللحافظ الـذهبي ت748 قوله في (العلـو) ص107 - تعليقًا على قـول حمـاد بن زيـد: (إنما يـدورون - يعـني: الجهمية - على أن يقولوا ليس في السماء إله) -:

"مقالة السـلف وأئمة السـنة، بل والصـحابة والله ورسـوله والمؤمنـون: (أن الله في السـماء، وأنه على العـرش، وأنه فـوق





ســماواته، وأنه يــنزل إلى الســماء الــدنيا)، وحجتهم على ذلك النصـوص والآثـار.. ومقالة الجهميـة: (أن الله في جميع الأمكنـة)، تعالى الله عن قولهم، بل هو معنا أينما كنا بعلمه.. ومقالة متأخري المتكلمين: (أن الله ليس في الســماء ولا على العــرش، ولا على السماوات ولا في الأرض، ولا داخل العالم ولا خارج العـالم، ولا هو بائن عن خلقه ولا متصل بهم!)، وقالوا: (جميع هذه الأشياء صـفات الأجسـام والله مـنزه عن الجسـم)، قـال لهم أهل السـنة والأثـر: (نحن لا نخوض في ذلك ولا نقول بقولكم، فإن هذه السلوب نعوت المعـدوم، تعـالى الله عن العـدم، بل هو موجـود متمـيز عن خلقه موصـوف بما وصف به نفسـه، من أنه فـوق العـرش بلا كيـف)".. وهـــذا قليل من كثـــير مما صـــرح به أئمة أهل الســـنة في ذم الأشاعرة، ولو استقصيناه لما أكفاه مجلدًا.

(11) وفي واحـدة من الفتـاوى المشـتهرة على مواقع الشـبكة العنكبوتية عن (من هم الأشاعرة، وهل هم من أهل السـنة؟، وهل حقًا أن كثيرًا من العلماء يتبع المنهج الأشعري كالإمام النـووي)[1].. جاء فيها ما نصه:

"وغالب المتأخرين من الأشاعرة، لا يلتزمون مـذهب أبي الحسن الأشعري، بل خلطوا مذهبهم بكثير من أصـول الجهمية والمعتزلـة، بل والفلاسفة أيضًـا؛ وخـالفوا الأشـعري في كثـير من أقوالـه، فهم ينفـون صـفة (الاسـتواء لله والعلو والـنزول واليد والعين والقـدم والكلام) وهذه الصفات كلها يخالفون فيها الأشعري نفسـه.. ثم إن لقب (أهل السنة) يطلق باعتبارين:

الأول: يطلق فيما يقابل (الـروافض)، فعلى هـذا الاعتبـار يـدخل في أهل السنة (الأشـاعرة والماتريديـة) ونحـوهم، بل (والمعتزلـة) أيضًا.. **الثــاني:** يطلق لفظ (أهل الســنة)، فيما يقابل (البدعــة)؛ ويــراد بــذلك: أهل الســنة المحضـة؛ فلا يـدخل فيه إلا من الـتزم العقيدة الصحيحة من السلف وأهل الحديث؛ فعلى هـذا الاعتبـار لا يـدخل في هـذا اللقب: (الأشـاعرة)، ولا غـيرهم ممن خلط أصـوله الكلامية بأصول بدعية؛ لمخالفتهم أهل السنة في كثير من الأصول والمسائل".

كما جاء فيها: "أن الأشـاعرة المتـأخرين: (جبريـة) في القـدر، (مرجئة) في الإيمـان، (معطلـة) في الصـفات، لا يثبتـون منها غـير سبع صفات؛ لأن العقل دل عليها كما يزعمون، وينفون: (الاســتواء على العرش، وعلو الله على خلقه)، ويقولون: (لا هو داخل العــالم

[1](?) أخذت رقم (226290) بتاريخ 4/ 3/ 2015 وبلغت مشاهداتها (269، 914) يعني: ربع مليون مشاهدة تقريبًا.

ولا خارجــه، ولا فوقه ولا تحتــه).. إلى غــير ذلك من المخالفــات، فكيف نسـميهم (أهل السـنة)؟!، قـال ابن تيمية – كـالمُرَجِح لما سبق والمُؤيد والمؤكِّد له-: "لفظ (أهل السـنة) يـراد بـه: من أثبت خلافة الخلفـــاء الثلاثـــة، فيـــدخل في ذلك جميع الطوائف إلا (الرافضة)، وقد يراد به: (أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يـدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعـالى)"إ.هــ من (منهـاج السـنة) (2/ 221).

(12) وفي فتوى عما إذا كان العَلمَان الجليلان ابن حجر والنـووي شارحا صحيحي البخاري ومسلم يُحسبان على أيهما، جاء ما نصه:

"لا يصح أن يُنسب إلى مـذهب الأشـاعرة، إلا من الـتزم منهجهم في العقيـــدة، أما من وافقهم في بعض المســـائل دون بعض، فلا يُنسب إليهم.

قال الشيخ ابن عثيمين: وهل يصح أن ننسب هذين الـرجلين وأمثالهما إلى الأشاعرة، ونقـول: هما من الأشـاعرة؟ الجـواب: لا، لأن الأشـــاعرة لهم مـــذهب مســـتقل، له كيـــان في: (الأســـماء والصفات والإيمان وأحوال الآخرة)، وأكـثر النـاس لا يفهم عنهم إلا أنهم مخالفون للسـلف في بـاب: (الأسـماء والصـفات)، ولكن لهم خلافات كثيرة، فإذا قال قائل في مسألة من مسائل الصــفات، بما يوافق مــذهبهم، فلا نقــول: إنه أشــعري، أرأيتم لو أن إنســانًا من الحنابلة إختـار قـولًا للشـافعية، فهل نقـول إنه شـافعي؟ انتهى من (شرح الأربعين النووية) (ص 290).

وقال أيضًا: (فهذان الرجلان بالذات ما أعلم اليوم أن أحدا قدَّم للإسلام في باب أحاديث الرسـول ﷺ مثلما قـدَّماه، ويـدلك على أن الله بحوله وقوته - ولا أتـــألى على الله - قد قبلهـــا: ما كـــان لمؤلفاتهما من القبول لدى الناس، لـدى طلبة العلم، بل حـتى عند العامة، فالآن كتاب (رياض الصالحين) يقـرأ في كل مجلس، ويقـرأ في كل مسجد، وينتفع الناس به إنتفاعًا عظيمًــا، وأتمـنى أن يجعل الله لي كتابًا مثل هذا الكتاب، كلٌّ ينتفع به في بيته وفي مســجده) إ.هـ من (لقـاءات البـاب المفتـوح) اللقـاء رقم (43) وينظر جـواب السؤال رقم: (107645)"

انتهت الفتـوى وأجد أنها غطت الكثـير من الفوائد مما يعنُّ لطلبة العلم طلبُ معرفتها، فقط أضيف إليها: أن الإمام النووي رجع قبل وفاته بأربعة أشهر عن مذهب التأويل لمذهب السلف، وقد فصلت القـول في ذلك بكتابنـا: (سـيرًا على خطا الأشـعري.. أئمة الخلف يتراجعون إلى ما تراجع إليه) فليراجع.





هـذا ما تيسر ذكـره في ذم أئمة السـلف ومن تبعهم بإحسـان، للأشعرية الـتي يـدعي الكثـيرون – ممن يهرفـون بما لا يعرفـون – أنهم يمثلون أهل السنة بلا منازع، وإلا فعباراتهم عن أولئك وعموم أهل الكلام لا يقف عند حـدّ.. ولكم كنا نعـول على الأزهر ألا يـتردد في السـير على نهج هـؤلاء السـابقين الأولين من المهـاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسـان؛ وأن يحـذو حـذو إمـام المـذهب أبي الحسن الأشـعري وغـيره ممن رجعـوا إلي ذات النهج من أئمة وكبـار الخلف بعد رحلاتٍ كلِّها عنـاء، واضـطراب وتذبـذب وشـقاء، ليقف على آخر ما وطأته أقـدام أولئك السـابقين وليبـدأ من حيث انتهـوا، وألا يتحجر أو يجمد فكـره عند من لم يَثْبُتـوا على ظهر التسـليم والاستسـلام، وبخاصة أن الأمر هنا متعلق بتوحيد الله ومعرفته من خلال أسمائه وصفاته.

ولكن ساء - للأسف - ظننا وضاع أملنا وخاب سـعينا، حـتى وصل بنا الحال أن رأينا أنفسـنا أمـام معانـدين محـاربين، يبتلـون النـاس على ما حملـوه من باطـل، فمن وافقهم أجـازوه ومن خـالفهم أوقفوه وناصـبوه العـداء، بعد أن لم يكفهم أن يقفـوا عند من كـان حـالهم التجهم والتعطيل من أمثـال: (الجعد بن درهم) و(الجهم بن صفوان) و(بشر المريسي)، ومن ليست تـأويلاتهم الباطلة إلا نفس ما جنح إليه هـؤلاء من تـأويلات، وإن زعمـوا أنهم على خلاف مذهبهم، فقد أضحى الكلّ يقـول بـأن الله لم يكلم موسى تكليمًـا، وأنه تعالى لم يستو على عرشه ولا له الفوقية والعلو، ولا ثـابت له ما أثبته لنفسه ولا أثبته له رسـوله من صـفات الخـبر وصـفات الفعل، ولا جائزٌ السؤال عنه - سبحانه - بـ (أين الله؟) على الـرغم من سؤال النبي به ﷺ.

ولكم بُحَّت الأصوات وصـيح في الأزهـر حـتى في بعض القنـوات المصـرية المخلصـة الـتي تبث صـحيح الـدين والاعتقـاد، ومن خلال كتاباتنـا وكتبنـا، وكتابـات وكتب المخلصين لهذا الدين، ولكن:

لقد أسمعت إذ ناديتَ حيًا ولكن لا حياة لمن تنـادي

وما بقي لنا من بارقة أمل – بعد الله أولًا – إلا أن يتـدخل ولي أمرنا – حفظه الله علي طاعته –ومن بيـدهم مقاليد الأمـور؛ في تصـويب ما زلّت به الأقـدام، وتجديد ما عفا عليه الزمـان.. أو أن يأذنوا بمناقشة هذه الأمور التي فـرّقت لا أقـول بين أفـراد عالمينا العربي والإسلامي، بل بين أفـراد المصـريين أنفسـهم، فهم – وفي المكـان الواحـد، بل لا أبـالغ إن قلت: في الـبيت الواحد – ما بين معارض لمناهج الاعتقـاد في الأزهـر؛ وما بين نـاقم عليهـا؛ وما بين

دارس لها على مضض وعن غــير قناعة وإنما فقط لتخطي مراحل وسني الدراسة.

وإلا فلم يعد ثمة مخــرج للجميع إلا أن يَســتبدل الله بهــؤلاء قومًا من غــيرهم ﴿يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمــنين أعــزة على الكــافرين يجاهــدون في ســبيل الله ولا يخــافون لومة لائم﴾ [المائـدة :54].. قومًا يكـون مصـدر تلقيهم: نصـوص الــوحي لا نصــوص وترهــات الجهمية والمعتزلة والمتأولــة، ومنهج عملهم: الكتاب والسنة لا عقول وتحكمات وتمحكات البشر، ودأب طبــائعهم: التجـــرد في محبة الله ورســـوله والعمل من ثم على طاعتهما دون ما لأي أو تردد.. قومًا يبلغ طمـوحهم وتَـرقى غـايتهم إلى العمل على بعث الأمة من جديد وتوحيد صــفها على العقيــدة الصحيحة.. قومًا يحترمون الإجماع الذي ما خلت صـفة من صـفات الله خبرية كانت أو فعلية إلا وجدتَه حاضرًا مسطورًا ومحفــورًا في أذهان الأمة على مدار تاريخها التليد.

على أن إشكاليات (الإبانة) و(ما آل إليه أمر صـاحبها) المتشـعبة، مريرة مـرارة صـراع الحق مع الباطـل، وشـديدة الخصـومة شـدة خصومة السنة للبدعة.. ومن تلك الإشـكاليات – من غـير إشـكالية عزو الإبانة للأشعري، وإشكالية الدافع وراء تأليفه الإبانـة: إشـكالية المراحل الـــتي مر بها الأشـــعري رحمه الله، وفيها وصل الأمر بالبعض لأن يقول بأنها اقتصرت على مرحلتين فقـط، وأن الأخـيرة منهما انتهت لما الأشعرية عليه اليـوم!.. وإشـكالية اتهـام المثبـتين لصفات الله تعالى الخبرية والفعلية بالتجسيم والتشبيه على الرغم من فرط قولهم: "بلا تجسيم ولا تشبيه ولا تكـييف".. إلى آخر ذلك مما أفضــنا فيه وأفردنا للــرد عليه في كتابنـــا: (صــحيح معتقد الأشعري في توحيد الصفات) الكثير من الصفحات.. لنفرغ بعدُ لما دبّجه الأشعري رحمه الله في (الإبانة)، إقامةً للحجة وإبراءً للذمــة، لكن ليس قبل أن نمهد بــذكر نبــذة مختصــرة عنه رحمه الله وعن جهوده في خدمة السنة وعقيدة سلف الأمة



التمهيد
نبذة مختصرة عن سيرة ناصر السنة وقامع البدعة الإمام أبي الحسن الأشعري

نسبه ومولده وطلبه العلم:

هـو أبـو الحسـن علي بن إسـماعيل بن أبي بشـر إسـحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبـد اللـه بن موسـى بن بلال بن أبي بُـردَةَ عامر ابن الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضـي اللـه عنـه.. وقد قيل: (الأشعري) لأن أمه ولدته وهـو أشعر، وقيـل: نسـبة إلى (أشعر) أحـد أولاد سـبأ الـذين كـانوا بـاليمن، ثم لمـا بُعث النـبي ﷺ هاجر رهط منهم - وعلى رأسهم أبو موسـى الأشـعري - إلى أرض الحبشة، وأقاموا مع جعفر ابن أبي طالب حتى قـدموا جميعًـا على رسول الله ﷺ بغية التعرف على دين الله الحنيف وإشهار إسلامهم، ومما حُكِي عن هـؤلاء القـوم أنهم لمـا اقـتربوا من المدينـة صـاروا يرددون:

غدًا نلقى الأحبة محمـــــــدًا وحزبه

ويعكس هذا مدى حبهم وشعورهم تجاه الإسـلام ونـبي الإسـلام عليه السلام.

ولد الأشعري سنة ستين ومائتين بالبصرة، وقيـل: سـنة سـبعين ومائتين، وفي تاريخ وفاته اختلاف، فقد قيل: إنه توفي سـنة ثلاثمائة وثلاث وثلاثين، وقيل: وأربع وعشرين، وقيل: وثلاثين.

حفظ القـرآن والحـديث وأتقن علومهما ودرس الفقه وأصـوله وعلـوم اللغة وأصـول التفسـير، وبـرع في ذلك كله ونشأ في بيئة سـنِـية واشتُهرت أسرته بين العرب بالصلاح والتقوى، ومما زاد من قـدر هذه الأسرة أنه كان لجـده الأكـبر - من غـير ما ذكرنا - مكانة خاصة عند رسـول الله ﷺ الـذي قـال فيه وفي قومه من أهل اليمن الأحـاديث، ودعا لهم.. وكـان لأولاد أبي موسى بعد ذلك ولأحفـاده فضل رعاية أمور المسلمين بالعدل والإحسان.

وقد أراد له والـده (إسـماعيل) ما أراده لنفسـه، أراد له أن يكون سنيًا، وهو ما يـدا واضحًا فيما أوصى به عند وفاته إلى زكريا بن يحيى السـاجي أحد أئمة الحـديث والفقه وأصـوله وأحد تلامـذة الإمام أحمد بن حنبل.. عليهم جميعًا من الله الرحمة والرضوان.

دخل الأشـعري رحمه الله بغـداد وأخذ الحـديث عن الحافظ الساجي - الـذي أسـلفنا الحـديث عنه والـذي عنه أخذ تحرير مقالة أهل الحديث والأثر كما في التذكرة 2/ 709 - وعن أبي خليفة عبد




الرحمن بن عبد السلام الجمحي، وعن سـهل بن سـرح ومحمد بن يعقـوب المقـري وعبد الـرحمن بن خلف وجميعهم من المحـدثين البصـريين، وروى عنهم كثـيرًا في تفسـيره (المخـتزن).. كما أخذ الفقه وأصـوله عن أبي إسـحاق المـروزي، وأخذ علم الكلام عن شـيخه زوج أمه أبي علي الجبـائي شـيخ المعتزلـة، ثم تـرك مذهبه على إثر منـاظرة وقعت بينهمـا، ذكر تفاصـيلها ابن العمـاد الحنبلي في كتابه (شذرات الذهب) 2/ـ 303، وابن خلكـان في (الوفيـات) وغيرهما.

ومجمل وقائع هـذه المنـاظرة: أن أبا الحسن لما تبحر في كلام الاعتزال وبلغ فيه الغايـة، كـان يـورد الأسـئلة على شـيخه وزوج أمه الجبائي في الدرس ولا يجد فيها جوابًا شافيًا فتحير في ذلـك، فكـان أن سأل مرة أستاذه أبا علي الجبـائي عن ثلاثة إخـوة، كـان أحـدهم مؤمنًا برًا تقيًا، والثاني كان كافرًا فاسقًا شقيًا، والثالث كـان صـغيرًا، فمـاتوا فكيف حـالهم؟، فقـال الجبـائي: (أما الزاهد ففي الـدرجات، وأما الكافر ففي الدركات، وأما الصـغير فمن أهل السـلامة)، فقـال الأشعري: (إن أراد الصغير أن يـذهب إلى درجـات الزاهد هل يـؤذن له؟)، قـال الجبـائي: (لا!! لأنه يقـال لـه: أخـوك إنما وصل إلى هـذه الدرجات بطاعته الكثيرة وليس لك تلك الطاعات)، فقال الأشعري: (فإن قـال: ذلك التقصـير ليس مـني، فإنك ما أبقيتـني ولا أقـدرتني على الطاعة؟)، فقال الجبائي: (يقـول البـارئ جل جلاله: كنتُ أعلم لو بقيتَ لعصيتَ وصرتَ مستحقًا للعذاب الأليم فرعيتُ مصـلحتَك)، فقـال الأشـعري: (فلو قـال الأخ الأكـبر: يا إله العـالمين كما علمت حاله فقد علمت حـالي، فلم راعيتَ مصـلحته دوني؟!)، فـانقطع الجبائي.

وإنما أراد الأشـعري - كما قـال ابن العمـاد في الشـذرات 2/ 303 - الاستدلال بطريق العقل «على أن الله تعالى خص من شاء برحمته - بمـوجب فضـله - واختص آخر بعذابـه» بمـوجب عدله[1]،

[1] (?) **وهذا يفسره نحو: قوله عليه السلام لمن وَدّ التقـاءهم من أمته دون أن يروه: (للعامل منهم أجر خمسين منكم.. الحـديث) وإن كـان لا يدل** على أفضلية غير الصـحابة وإنما على عظم الأجر والثـواب لمن آمنـوا به وعملـوا بسـنته دون سـواهم ممن لم يعملـوا بسـنته.. وحـديث: (إن الله كتب الحسنات والسيئات، فمن همّ بحسنة.. الحديث).. وحديث: (نحن الآخـرون ونحن السـابقون يـوم القيامة بيد أن كل أمة أوتيت الكتـاب من قبلنـا، وأوتينـاه من بعدهم)، وحديث أبي موسى الأشعري الـذي رواه البخـاري (2271) وهو (بـالفتح 4/ـ 524) وفيه قوله ﷺ: مَثَلُ المُسلمين، واليهودِ، والنّصارى، كَمَثَلِ رَجـلٍ اسْـتَأْجَرَ قَومًا يعملُونَ لـه عَمَلًا يَومًا إلى اللّيـلِ، على أَجْـرٍ مَعلـومٍ، فَعَمِلـوا لـه إلى نِصـفِ النّهار، فقالوا: لا حاجَة لنا إلى أجـرِكَ الـذي شَـرَطْتَ لنـا وما عَمِلْنا باطِـلٌ، فقالَ لهمْ: لا تَفْعَلُوا، أكْمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ، وخُذُوا أجرَكُم كامِلًا، فـأبَوا، وتَركُـوا، واسْـتَأْجَرَ آخرَين بَعدَهُم، فقالَ لهما: أكْمِلا بَقِيَّةَ يَومِكُمـا هـذا ولَكُمـا الـذي شَـرَطْتُ لهم مِنَ الأجْرِ، فَعمِلُوا حـتى إذا كـان حِينُ صَـلاةِ العَصـر، قـالا: لـكَ ما عَمِلنا باطـلٌ، ولَـكَ الأجرُ الذي جَعَلت لنا فِيهِ، فقال لهما: أكْمِلا بَقِيَةَ عَمَلِكُما ما بَقِيَ مِنَ النَّهارِ شـيءٌ يَسِيرٌ، فأبَيا، واسْتَأْجَرَ قَومًا أنْ يَعمَلوا لـه بَقِيَّةَ يَـومِهِم، فَعَمِلُـوا بَقِيَّةَ يَـومِهم حـتى

وإنما كــان ذلك ردًا على ما رفعه أهل الاعــتزال - والجبــائي رأس من رؤوسهم - من شعار أنه يجب على الله فعل الصلاح والأصـلح، وذلك بترك ما ظاهره الفساد كالمعصية في مقابلة الطاعة، وبفعل ما هو الأصلح كأعلى الجنة في مقابلة أدناها، وأنه يجب عليه تعالى رعاية مصالح العباد.. كذا بكل جرأة وإساءة أدب مع الله[1].

وفي بعض رده على ما فــاه به المعتزلة يقــول الأشــعري في كتابه (الإبانة عن أصول الديانة) ص127: «ويقال لهم: هل تعرفون لله نعمة على أبي بكر الصديق خُص بها دون أبي جهل ابتداءً؟ فإن قــالوا: لا، فحُش قــولهم، وإن قــالوا نعم، تركــوا مــذاهبهم لأنهم لا يقولـــــون إن الله خص المؤمـــــنين في الابتـــــداء بما لم يخص به الكافرين».. وألزم.

غــابَت الشّــمسُ، واسْــتَكملوا أجْــرَ الفَــرِيقَيْنِ كِلَيْهِمــا، فَــذلكَ مَثَلُهم ومَثَــلُ ما قَبِلوا مِن هذا النّور).

أي: فذلك مَثَلُ المسلِمينَ ومَثَلُ اليهودِ والنَّصارى في قَبولِ الإسلام، ونُور الهدايــةِ إلى الحقِّ، فكأنَّ المسلمينَ لمّا عَمِلوا بما جاء به محمــدٌ ، واســتَمرّوا على ذلك إلى يوم القيامةِ؛ كان لهم أجرُ مَن عَمِلَ الدَّهرَ كلَّه؛ لأنَّهم أتمُوا الدّهر بعِبادةِ اللــهِ كإتمام النَّهار الذي كان اسـتُؤجِرَ عليه كلّه أوّلُ طَبقـةٍ مِن اليَهـود، وهو مثل لإبـاء أكثرُ اليهودِ والنَّصارى اتِّباعَه وكَفَـروا بما نُـزِّلَ عليـه، وتَمسَّـكُوا بما حَرَّفـوه مِن كُتبِهم، وفي الحديثِ: تَفضيلُ اللهِ تعالى لهذه الأُمَّةِ، وتَوفيرُ أجْرِها مع قِلَّةِ عَملِهــا، وفيه: أنَّ الأعمالَ بالخَواتيم، وفيه: ضَرْبُ الأمثال للتَّعليم والتَّوضيح.

وكذا حديث البخاري (2268) من طريق ابن عمر ولفظه: "مَثَلُكمْ وَمَثَلُ أَهْل الكِتَـابيْن، كَمَثـل رَجُـل اسْـتَأجَرَ أَجَـراءَ، فَقَـالَ: مَنْ يَعمَـلُ لِي مِنْ غُـدْوَةَ إلَى نِصْفِ النَّهَار عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ اليَهودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النّهــار إلَى صــلاَةِ العَصــر عَلَى قِــيراطٍ؟ فَعَمِلَتِ النّصــارى، ثُمَّ قــال: مَنْ يَعمَــلُ لِي مِن العصر إلَى أن تَغِيبَ الشّــمسُ على قِــيرَاطَيْن؟ فَــأَنتُم هُمْ، فَغَضِــبَتِ اليهــودُ وَالنّصارى، فَقالوا: مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا وَأَقَلَّ عَطَـاءً؟ قَـالَ: هَـلْ نَقَصْـتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ: فَذَلِكَ، فَضْـلِي أُوتِيـهِ مَنْ أَشَـاء).. وهو بمسـند أحمد 2/ـ 6 بلفـظ: (هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مَنْ أَجْرِكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَإِنَّمَا هُوَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَــاءُ).. فهو إذن عطاء الله تعالى الخالي من ظلم الآخرين (ولا يظلم ربك أحدًا).

[1] **(?)** وإنما كان جواب أهل السنة على ذلك، من وجوه:

أولها: أنه لا يجب على الله شيء لأن هذا يتنـافى مع اختيـاره سـبحانه، فقد بين أن ما يقع في الكون، إنما هو بمشيئته وذلك قوله تعالى:

فعــال لما يريد [الـبروج:16].. وما لم يقــع، هو كــذلك داخل أيضًــا تحت مشــيئته كما قــال ســبحانه: **ولو شــاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعًا** [يونس:99].

ثانيهــا: أن كلامهم - تعــالى الله عما يقولونه علــوًا كبــيرًا - مســتلزم لاسـتحقاقه سبحانه الـذم، باعتبـار أن الـواجب: ما اسـتحق تاركه الـذم، ولازم هـذا أن يكـون الباري ناقصًا بذاته مستكملًا بفعله، مع أن كماله لذاته.

ثالثها: أنه لو وجب عليه ما قالوه لما ظهر له مِنَّة على عبـاده ولما اسـتحق منهم شكرًا، بل ولما صح سؤاله الخير وكشفه الضر، لأنه لم يفعل – بزعم هــؤلاء – إلا الواجب عليه.

مناقبه وتآليفه ووفاته:

وعن فضل أبي الحسن الأشعري حـدِّث ولا حـرج، فقد تصاغر أمامه جهابـذة العلم وكبـار أئمتـه، يقـول الأسـتاذ أبو إسـحاق الإسفراييني: «كنت في جنب الشـيخ أبي الحسن البـاهلي كقطـرة في جنب بحـر، وسـمعت البـاهلي يقـول: كنت في جنب الأشـعري كقطرة في جنب البحر»، وقال القاضي أبو بكر البـاقلاني: «أفضل أحوالي أن أفهم كلام أبي الحسن»، ذلك أن من وقف على تواليفه بعد توبته من الاعـتزال يـرى أن الله أمـده بمـواد توفيقـه، وأقامَه لنصرة الحق والذب عن طريقه.

ويكفي في بيان فضل أبي الحسن الأشـعري ثنـاء الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي صاحب (السنن للكـبرى) و(الأسـماء والصفات) ت458 عليه، وهو محدث زمانه وشـيخ أهل السـنة في وقته، فقد قال كلاما أورده بطوله التاج السـبكي، فيـه ذَكر شـرف آباء وأجداد أبي الحسن، وحُسن اعتقاده وفضله وكثرة أصـحابه مع ذكر نسـبه.. ويكفي في بيـان فضـله كـذلك ما ذكـره ابن فرحـون بحقه في (الديباج المذهب في أعيان أهل المـذهب)، قـال: «أثـنى على أبي الحسن الأشعري أبو محمد بن أبي زيد القيرواني وغـيره من أئمة المسلمين».

وقـال الـبيهقي كما في التبـيين ص87**:** «فضـائل الشـيخ أبي الحسن الأشــعري ومناقبه أكــثر من أن يمكن ذكرها».. وقـــال الـــذهبي بحقه كما في كتابه العِبَر 2/ـــ 203: إنه «كـــان قانعًا متعففًـا»، وقـال أحمد الفقيه فيما سـاقه ابن عسـاكر له ص141 بسنده: «خدمت أبا الحسن بالبصرة سنتين، وعاشـرته ببغـداد إلى أن توفي فلم أجد أورع منه ولا أغض طرفًا، ولم أر شيخًا أكثر حياءً منه في أمور الدنيا، ولا أنشط منه في أمور الآخـرة»، ومن طريف ما يذكر له أنه كان - مع زهده وعبادته - فيه دعابة ومزح كبير.

وعن علمه وحبه للحق: وَرَدَ الكلام الكثـير والثنـاء الجميـل، **يقول الحافظ ابن عساكر في (تبيين كذب المفتري) ص 104 :**«إنه كـان في عصـره أعلم الخلق بما يجـوز أن يُطلَـق في وصف الحق، فأظهر في مصـنفاته ما كـان عنـده من علمه، فهـدى الله به من وفقه من خلقه لفهمه»، ونقل في ص53 عن بعض العلمـاء قوله: « أعـاد الله تعـالى هـذا الـدين بعـدما ذهب - يعـني أكثره -: بأحمد بن حنبل وأبي الحسن الأشعري».

وكان أبو العباس شمس الدين بن خلكان الشافعي ت681 قد ذكر في (وفيـات الأعيـان) ترجمة له ووصـفه في الجـزء الثـالث صفحة 284 بقوله: «صاحب الأصول، والقـائم بنصـرة مـذهب أهل




الســنة، وإليه تنسب الطائفة الأشــعرية[1]، وشــهرته تغــني عن الإطالة في تعريفه».. كما قــال عنه أبو بكر بن قاضي شــهبة في طبقاتـه: «الشـيخ أبو الحسن الأشـعري البصـري، إمـام المتكلمين وناصر سـنة سـيد المرسـلين، والـذاب عن الـدين».. وقـال عنه اليافعي في (مرآة الجنان): هو «الشيخ الإمام ناصر الســنة وناصح الأمة، إمام الأئمة ومُـدحض حجج المبتـدعين المـارقين، حامل راية منهج الحق ذي النور الساطع والبرهان القاطع» ا.هـ.

ويقــول القرشي الحنفي في طبقاتــه: **الأشــعري** «صــاحب الأصول، الإمام الكبـير وإليه تنسب الطائفة الأشـعرية».. كما أثـنى عليه الأسـنوي الشـافعي فقـال: «هو القـائم بنصـرة أهل السـنة القــامع للمعتزلة وغــيرهم من المبتدعة بلســانه وقلمــه، صــاحب التصانيف الكثيرة، وشهرته تغني عن الإطالة بذكره»إ.هـ[2].

ولكل ما ذكر، فقد اعتـبره بعض العلمـاء مجـدد القـرن الثـالث الهجري، وأيد ابن عساكر ص53 هذا قائلًا: «قول من قال: إنه (أبا الحسن الأشــعري) - يعــني المجــدد - أصــوب؛ لأن قيامه بنصــرة السنة إلى تجديد الدين أقرب، فهو الذي انتُدب للرد على المعتزلة وسائر أصـناف المبتدعة المضـللة، وحالته في ذلك مشـتهرة وكتبه في الرد عليهم منتشرة».. وقال ابن عسـاكر ص87 - بعد أن نقل كثـيرًا من ثنـاء العلمـاء عليه -: «فكفى أبا الحسن فضـلًا أن يشـهد بفضله هؤلاء الأئمة، وحسبه فخرًا أن يثـني عليه الأماثل من علمـاء الأمة».

هذا وقد ترجم للإمام أبي الحسن الأشعري من غير من ذكرنـا، الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد)، والذهبي في (تـاريخ الإسـلام) وابن كثــير في (البداية والنهايــة) و(طبقــات الشــافعية)، والتــاج السـبكي في (طبقـات الشـافعية الكـبرى) ومرتضى الزبيـدي في (إتحـاف السـادة المتقين بشـرح أسـرار إحيـاء علـوم الـدين) وابن العماد الحنبلي في (شذرات الذهب في أعيان من ذهب) وغيرهم.

أما مؤلفــات الشــيخ أبي الحسن الأشــعري رحمه الله فكثـــيرة جـــدًا، ذكر الـــزركلي في (الأعلام) أنه تزيد عن الثلاثمائة مصنفًا، نذكر منها:

1- (إيضاح البرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان).

---

[1] **(?)** يعــني الــتي دانت بما دان به في آخر حياتــه، إذ هي الأولى بالانتســاب إليه خلافًا لمن سُمّوا بمتأخري الأشاعرة.

[2] (?) إلى غــير ذلك مما نقله ابن عســاكر في تبيينه والســبكي في طبقاته عمن تقدماه من أهل العلم في مدحه والثناء عليه.

2- (تفسـير القــرآن) رد فيه على الجبــائي والبلخي ما حرفا من تأويله، وآخر في متشابه القرآن.
3- (الــرد على ابن الراونــدي في الصــفات والقــرآن)، وآخر في إبطاله التواتر.
4- (الفصول) في الرد على الملحدين والخارجين عن الملّة.
5- (القــامع لكتــاب الخالــدي في الإرادة)، وآخر في نقض ما ألفه في القــرآن والصــفات، وآخر في رد نفيه للرؤيــة، وآخر في رد نفيه خلق الله للأعمال، وآخر في رد مقالاته.
6- كتاب (الاجتهاد في الأحكام).
7- كتاب (الأخبار وتخصيصها).
8 - (الإدراك في فنون من لطيف الكلام).
9- كتاب (الإمامة).
10- (مقالات الفلاسفة) وآخر في (الرد على الفلاسفة).
11- (الشرح والتفصيل في الرد على أهل الإفك والتضليل).
12- (العمد في الرؤية) وهو غــير (الرؤيــة) الــذي رد فيه على الجبائي.
13- جواب مسائل أهل الثغر.
14- (نقض كتاب الأصول للجبائي)
15- (كتاب في خلق الأعمال) نقض فيه اعتلالات المعتزلة.
16- كتــاب (الصــفات)، وهو كبــير تكلم فيه على أصــناف المعتزلة والجهمية.
17- كتــاب (الــرد على المجســمة) وآخر في (الجســم) للــرد على شبههم.
18- (اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع)، وله من غيره (اللمع الصغير)، وهو مدخل لـ (اللمع الكبير).
19- النقض على البلخي في شبهه ومنها ما تعلق بالصفات.
20- (جمل المقــالات) أثبت فيه جمل مقــالات الملحــدين وجمل مقالات الموحدين.
21- (الجوابــات في الصــفات عن مســائل أهل الزيغ والشــبهات) أكــبر كتبــه، ذكر أنه نقض فيه كتابًا له آخر في تصــحيح مــذهب المعتزلة.
22- (أدب الجدل) وشرحه.
23- (النوادر في دقائق الكلام).
24- (الفنون في أبواب من الكلام) وهو غير (الفنون في الرد على الملحدين).
25- (جواز رؤية الله تعالى بالأبصار).
26- كتاب (الإبانة في أصول الديانة).
27- (مقالات الإسلاميين) استوعب فيه اختلافهم ومقالاتهم.

28- (الاستشـــهاد) للــــرد على مقولة المعتزلة في الاستشـــهاد بالشاهد على الغائب لرد صفاته تعالى.
29- (المختصر في التوحيد والعـــدل) في الــــرد على أصــــول المعتزلة.
30- (المــوجز) وهو اثنا عشر كتابًا آخرها في الــرد على الشــيعة الإمامية.
31- وله غير ذلك (جواب الخرسانية - السيرافيين - الدمشــقيين - الجرجــانيين - الرامهرمــزيين - الواســطيين - المصــريين - الدهريين - أهل فارس - العمانيين).. إلخ.

وبعد حياة حافلة بالعلم والسعي لتحصيله وبذل الجهد والـوقت في التأليف فيه، وعـامرة بصـنوف الاجتهـاد والإخلاص لـه، ومترعة بشـرف الغاية ونبل المقصـد، ومفعمة بسـلامة المعتقد والزهد في الـدنيا والرغبة فيما عند اللـه، تـوفي أبو الحسن الأشـعري ببغـداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة على الأرجح من هجرة المصـطفى ﷺ، على أحسن أحواله - على عقيدة سلف الأمة - بعد أن تبرأ من كل ما لا يزال يُرَوَّجُ له الآن على أنه مذهبـه، ومن جل ما كـان يعتقـده متكلمة عصره وغيرهم ممن يدَّعون الانتساب إليه حتى يومنا هـذا، وبعد أن (بيض وجــوه أهل الســنة) و(رد على المخـالفين من أهل الزيغ والبـدع)، (وحجـرهم في قمع السمسـمة) على حد قـول ابن عساكر في (التبيين)، والخطيب البغدادي في تاريخـه، وابن العمـاد في (الشذرات) وابن تيمية في (الفتاوى الكبرى) 5/ 324.. ودفن رحمه الله بين الكـــرخ وبـــاب البصـــرة.. فعليه من الله ســحائب الرحمة والرضوان.

هـذا، عن أبي الحسـن.. أما عن كتابه الموسـوم بـ (الإبانة في أصول الديانة) فحسبه أنه كان وما شـابهه مما اسـتقر عليه أمـره، بإيعاز من النـبي ﷺ، وأن إثبـات نسـبته إليه كـان بشـهادة من ذكرنا من أئمة الهـدى والصـلاح.. وتجـدر الإشـارة هنا إلى أنه قد تضـمن المسائل والفصول التالية:

فصل في قــول أهل الزيغ والبدع.. وفصل في إبانة قــول أهل الحق والسنة.. وفصل في إثبات رؤية الله - سبحانه - بالأبصـار في الآخرة.. وفصل في أن القـرآن كلام الله تعـالى غـير مخلوق.. وما ذكر من الرواية في القــرآن.. والكلام على من توقف في القــرآن وقـال: (لا أقـول إنه مخلـوق ولا أنه غـير مخلـوق).. ودحض نسـبة القـول بخلق القـرآن لأبي حنيفـة.. وذكر الاسـتواء على العـرش.. والكلام في الوجه والعيـنين والبصر واليـدين.. والـرد على الجهمية في نفيهم علم الله تعـــالى وقدرته وجميع صـــفاته.. والكلام في الإرادة والــرد على المعتزلة في ذلـك.. والكلام في تقـدير أعمـال العباد والاستطاعة والتعديل والتجويز.. وذكر الروايـات في القـدر..




والكلام في الشـفاعة والخـروج من النار.. والكلام في الحـوض.. والكلام في عذاب القبر.. وأخيرًا الكلام في إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لرد عادية الروافض عاملهم الله بعدله.. فـرحم الله أبا الحسن بقدر ما قدّم ونفع به الإسلام والمسلمين.

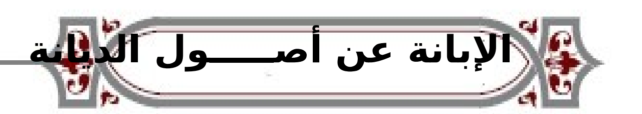




الإبانة عن أصول الديانة
لأبي الحسن الأشعري

بمقدمة تجزم بعزوه لصاحبه
وتعليقات تتضمن:
الرد على مَن يخالفونه ويدّعون شرف الانتساب إليه
من متأخري الأشعرية

تقديم وتحقيق
د/محمد بن عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف
الرابطة العالمية لخريجي الأزهر



بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبي ونعم الوكيل.. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيد الأشعري لكتابه الإبانة:

قـال الشـيخ الإمـام العـالم أبو الحسن علي بن إسـماعيل بن علي بن أبي بشر الأشعري البصري رحمه الله:

الحمد لله الواحد الأحـد، العزيز الماجـد، المتفـرد بالتوحيـد، والمنفـرد بالتمجيـد، الـذي لا تبلغه صـفات العبيـد، ليس له مثل ولا نديد، وهو المبدئ المعيد، الفعّال لما يريد، جل عن اتخاذ الصواحب والأولاد، وتقدس عن ملابسة الأجناس والأرجـاس، ليست له عـثرة تُقال، ولا حدٌّ يضرب له مثال، لم يزل بصفاته أولًا قـديرًا، ولا يـزال عالمًا خبيرًا، استوفى الأشياءَ علمُه، ونفذت فيها إرادته، فلم تعزب عليه خفيات الأمور، ولم تغيره سوالف صروف الـدهور، ولم يلحقه في خلق شيء مما خلق كلال ولا تعب، ولا مسّه لغـوب ولا نصـب، خلق الأشـياء بقدرتـه، ودبرها بمشـيئته، وقهرها بجبروتـه، وذلّلها بعزته، فذل لعظمته المتكبرون، واستكان لعز ربوبيته المتعظّمون، وانقطع دون الرسـوخ في علمه العـالمون، وذلّت له الرقـاب، وحارت في ملكوته فِطَنُ ذوي الألبـاب، وبكلمته قـامت السـماوات السبع، واستقرت الأرض المهـاد، وثبتت الجبـال الرواسـي، وجـرت الريـاح اللـواقح، وسـار في جو السـماء السـحاب، وقـامت على حدودها البحار، وهو الله الواحد القهار.

نحْمَده كما حمِد نفسـه، وكما هو أهلُه ومسـتحقَّه، وكما حمِـده الحامدون من جميع خلقه، ونستعينه استعانةَ مَن فوّض الأمر إليـه، وأقرّ أنه لا منجى ولا ملجأ إلا إليه، ونستغفره اسـتغفار مقر بذنبـه، معترف بخطيئته.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، إقـرارًا بوحدانيتـه، وإخلاصًـا لربوبيتـه، وأنه العـالم بما تظن الضـمائر، وتنطـوي عليه السرائر، وما تخفيه النفوس، وما تجن البحار، وما تواريه الأسراب، ﴿**وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقـدار**﴾ [الرعد :8]، لا تُـوارَى عنه كلمـة، ولا تغيب عنه غائبـة، ﴿**وما تسـقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمـات الأرض ولا رطب ولا يـابس إلا في كتـاب مـبين**﴾ [الأنعـام :59]، ويعلم ما يعمل العـاملون وما ينقلب إليه المنقلبون.. ونسـتهديه بالهدى، ونسأله التوفيق لمجانبة الردى.





ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ونبيه وأمينه وصفيه، أرسله إلى خلقه بـالنور السـاطع، والسـراج اللامـع، والحجج الظـاهرة، والبراهين والآيات الباهرة، والأعـاجيب القـاهرة، فبلّغ رسـالة ربـه، ونصح لأمتـه، وجاهد في الله حق جهـاده، حـتى تمت كلمة الله عز وجل، وظهر أمـره، وانقـاد النـاس إلى الحق خاضـعين، حـتى أتـاه اليقين، لا وانيًا ولا مقصـرًا، فصـلوات الله عليه من قائد إلى هـدى مـبين، وعلى أهل بيته الطيـبين، وعلى أصـحابه المنتخـبين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين.

عرَّفنا الله به الشرائع والأحكـام، والحلال والحـرام، وبيَّن لنا به شريعة الإسلام، حـتى انجلت عنا طخيـاء الظلام[1]، وانحسـرت عنّا بِه الشـبهات، وانكشـفت عنا به الغيابـات، وظهـرت لنا به البينات.. وجاءنا بـــ (كتـاب عزيـز. لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)[2].

جمع فيه علم الأولين والآخــرين، وأكمل به الفــرائض والــدين، فهو صراط الله المستقيم، وحبله المتين، فمن تمسك به نجا، ومن خالفه ضل وغـــوى، وفي الجهل تـــردى، وحثنا الله في كتابه على التمسك بسنة رسوله ، فقـال عز وجل: **وما آتاكم الرسـول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** [الحشر:7]، وقال عز وجل: **فليحـذر الـذين يخـالفون عن أمـره أن تصـيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** [النور :63]، وقال تعالى: **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخـــــوف أذاعـــــوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يسـتنبطونه منهم** [النساء :83].

وقال تعالى: **يا أيها الذين آمنوا أطيعـوا الله وأطيعـوا الرسـول وأولي الأمر منكم فـإن تنـازعتم في شـيء فردوه إلى الله والرسول** [النسـاء :59]، يقـول: إلى كتـاب الله وسنة رسوله ، وقـال: **وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى** [النجم :3، 4]، وقال تعالى: **قل ما يكون لي أن أبدله من تلقـاء نفسي إن اتبع إلا ما يـوحى إلي** [يونس :15]، وقال: **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسـوله ليحكم بينهم أن يقولـوا سـمعنا وأطعنا** [النور :51]، فأمرهم أن يسمعوا قولـه، ويطيعـوا أمـره، ويحـذروا مخالفته، وقـال:**أطيعوا الله وأطيعـوا الرسـول** [النسـاء : 59] فـأمرهم بطاعة رسـوله كما أمـرهم بطاعتـه، ودعـاهم إلى التمسك بسنة نبيه كما أمرهم بالعمل بكتابه.

---

[1] (?) شدّته

[2] (?) مقتبس من الآية 41، 42 بسورة فصلت

فنبذ كثيرٌ ممن غلبت عليهم شقوتُه واستحوذ عليهم الشيطان، سننَ نـبي الله وراء ظهـورهم، ومـالوا إلى أسـلاف لهم قلـدوهم دينَهم، ودانــوا بــديانتهم، وأبطلــوا ســنن نــبي الله عليه الســلام، ودفعوها وأنكروها وجحدوها افـتراء منهم على الله، (قد ضـلوا وما كانوا مهتدين)[1].

أوصـيكم عبـاد الله بتقـوى اللـه، وأحـذركم الـدنيا، فإنها حلـوة خضرة، تُغْرِ أهلها وتخدع سكَّانها، قال الله تعـالى **واضـرب لهم مثل الحيـاة الـدنيا كمـاء أنزلنـاه من السـماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيمًا تذروه الرياح وكـان الله على كل شــيء مقتــدرًا** [الكهف :45]..ــ من كـان فيها في حــيرة أعقبته بعدها عبرة، ومن أعطته من سرَّائها بطنا أعقبته من ضـرَّائها ظهرًا، غرَّارة غرور ما فيها، فانية فَانٍ ما عليهــا، كما حكم عليها ربها بقوله: **كل من عليها فان** [الـرحمن :26]، فـاعملوا رحمكم الله للحياة الدائمـة، ولخلـود الأبـد، فـإن الـدنيا تنقضي على أهلهـا، وتبقى الأعمال قلائد في رقاب أهلها.

واعلمـــوا أنكم ميتـــون، ثم إنكم من بعد مـــوتكم إلى ربكم راجعون، **ليجزي الذين أساءوا بما عملـوا ويجـزي الـذين أحسنوا بالحسنى**[2]، فكونوا بطاعة ربكم عاملين، وعما نهاكم منتهين.



(?)[1] مقتبس من الآية 140 بسورة الأنعام
(?)[2] مقتبس من الآية 31 بسورة النجم

الباب الأول
قول أهل الزيغ والرد عليه بقول أهل السنة

الفصل الأول
فصل في قول أهل الزيغ والبدع

أما بعـد: فـإن كثـيرًا من الـزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسـائهم ومن مضى من أسلافهم، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلًا لم يُـنزِّل به الله سلطانًا، ولا أوضح به برهانًا، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ولا عن السلف المتقدمين، وخالفوا روايات الصحابة رضي الله عنهم عن نـــبي الله ﷺ في رؤية الله عز وجل بالأبصـــار، وقد جاءت في ذلك الروايات من الجهات المختلفـات، وتـواترت بها الآثار وتتابعت بها الأخبار.

وأنكروا شفاعة رسـول الله ﷺ للمـذنبين، ودفعـوا الروايـات في ذلك عن السلف المتقدمين.

وجحدوا عذاب القبر، وأن الكفار في قبورهم يُعـذَّبون، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون رضي الله عنهم أجمعين.

ودانوا بخلق القرآن نظيرًا لقـول إخـوانهم من المشـركين؛ الـذين قـالوا: ﴿**إن هـذا إلا قـول البشر**﴾ [المـدثر :25]، فزعموا أن القرآن كقول البشر[1].

وأثبتوا أن العباد يخلقون الشر، نظيرًا لقول المجوس الذين أثبتوا خالقَين: أحدهما يخلق الخير، والآخر يخلق الشر، وزعمت القدرية أن الله تعالى يخلق الخير، والشيطان يخلق الشر.

---

[1] (?) كل خطـاب وجـواب كـان من الأشـعري للمعتزلة هو كـذلك للأشـعرية فيما توافقوا فيه مع المعتزلة.. وما أكثر ما تأثروا فيه بهم من مسائل وتأويلات.. كهذه المسألة وغيرها مما سيأتي وروده رحمه اله لها وردِّه عليها




وزعموا أن الله تعالى يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشـاء، خلافًا لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شـاء الله كـان، وما لم يشأ لم يكن، وردًّا لقـول الله تعـالى: **إن هـذا إلا قـول البشر** [الإنسان :30] فـأخبر تعـالى أنا لا نشـاء شـيئًا إلا وقد شـاء الله أن نشـاءه، ولقولـه: **ولو شاء الله ما اقتتلـوا** [البقرة :253]، ولقوله تعالى: **ولو شـئنا لآتينا كل نفس هداها** [السـجدة :13]، ولقوله تعـالى: **فعـال لما يريد** [الـبروج :16]، ولقوله تعـالى مخـبرًا عن نبيه شـعيب عليه السـلام أنه قـال: **وما يكـون لنا أن نعـود فيها إلا ان يشـاء الله ربنا وسع ربنا كل شـيء علمًا** [الأعـراف : 89].. ولهذا سماهم رسـول الله مجـوس هـذه الأمة[(1)]؛ لأنهم دانوا بديانة المجوس، وضاهوا أقاويلهم.

وزعموا أن للخير والشر خالقَين كما زعمت المجوس ذلك، وأنه يكون من الشـرور ما لا يشـاءه الله كما قـالت المجوس.. وأنهم يملكون الضر والنفع لأنفسـهم من دون الله عز وجل ردًّا لقـول الله تعـالى لنبيه : **قل لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضـرًا إلا ما شـاء الله** [الأعـراف :188]، وإعراضًـا عن القرآن وعما أجمع عليه أهل الإسلام.

وزعمـوا أنهم منفـردون بالقـدرة على أعمـالهم دون ربهم، فـأثبتوا لأنفسـهم الغِـنى عن الله عز وجـل، ووصـفوا أنفسـهم بالقـــدرة على ما لم يصـــفوا الله بالقـــدرة عليـــه، كما أثبت المجوس - لعنهم الله - للشيطان من القـدرة على الشر ما لم يثبتوا لله عز وجل، فكـانوا مجـوس هـذه الأمـة؛ إذ دانـوا بديانة المجوس، وتمسكوا بأقاويلهم ومالوا إلى أضاليلهم.

وقنَّطـــوا النـــاس من رحمة اللـــه، وآيســـوهم من رَوحـــه، وحكمـوا على العصـاة بالنـار والخلـود فيهـا، خلافا لقـول الله تعـالى: **ويغفر م دون ذلك لمن يشـاء** [النسـاء :48].. وزعمـوا أن من دخل النـار لا يخـرج منهـا، خلافا لما جـاءت به

---

(1) حديث حسن، ونصه: (القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضـوا فلا تعـودوهم، وإن مـاتوا فلا تشـهدوهم) رواه غـير واحد بطـرق مختلفـة، وأخرجه أبو داود (4691) والحاكم (1/ 159) وابن أبي عاصم في السنة (327- 329، 331، 338، 342) والطبراني في الأوسط (2494، 4205، 9223) وصححه الألباني كما في (ظلال الجنة) و(صحيح الجامع)




الرواية عن رسـول الله : (إن الله عز وجل يُخـرج قومًا من النار بعد أن امْتَحَشُوا فيها وصاروا حممًا)[1].

ودفعـوا أن يكـون لله (وجـه) مع قوله عز وجـل: **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** [الرحمن :27]، وأنكروا أن له (يـدان) مع قوله – سـبحانه –: **لما خلقت بيـدي** [ص : 75].. وأنكـروا أن يكـون له (عينـان) مع قوله - سـبحانه - **تجـري باعيننا** [القمر :14]، وقولـه: **ولتصـنع على عيني** [طه :3]، وأنكـروا أن يكـون لـه- سـبحانه - (علم) مع قوله: **أنزله بعلمه** [النسـاء :166]، وأنكـروا أن يكـون له (قوة) مع قوله – سبحانه –: **ذو القوة المتين** [الذاريات : 58].

ونفـوا ما روي عن رسـول الله :(أن الله عز وجل يـنزل كل ليلة إلى السماء الدنيا)[2]؛ وغـير ذلك مما رواه الثقـات عن رسول الله .

وكـــــذلك جميع أهل البـــــدع من الجهمية والمرجئة والحرورية[3]، أهل الزيغ فيما ابتدعوا وخالفوا الكتـاب والسـنة،

---

[1] (?) متفق عليه رواه البخاري (6573) ومسلم (182).. وامتحشوا: احترقوا

[2] (?) رواه البخاري (1145، 6321، 7494)، ومسلم (758).

[3] (?) ويُضاف إليهم: (الأشعرية) أعـني: متـأخريهم ممن زاغـوا عن طريق الحـق، فقد جنحوا في كثير من قضايا الاعتقاد لما جنح إليه المعتزلة والجهمية.. فـدفعوا أن يكون لله (وجه) وأنكروا أن له (يدان) و(عينان) و(نزول).. كما أنكروا (علـوه) سبحانه على خلقه و(استوائه على عرشه)؛! مع ثبـوت النصـوص فيهما بما يقـدر بالمئات؛ وذلك بزعم أن هذا من العقليات، وأن العقل يحيل (الجهة) التي هي من خصـائص الأجسـام؛ فقاسـوا بـذلك الخـالق على المخلـوق، وغـاب عنهم أن لفظ (الجهة) مجمل والمراد به في حق اللـه: ما وراء وما فـوق العـالم وليس الـداخل في شيء من المخلوقـات على ما أوضـحه الألبـاني في مختصر العلو ص70 وما بعدها.
والغريب في الأمر أن الأشعرية الذين عطلوا (العلو) و(الاسـتواء) وسـائر صـفات الله بسبب التكـييف وذكر السـلوب الـذي شـابهوا فيهما المعتزلـة، أجـازوا رؤيته تعـالى (بالأبصـار * بلا كيف ولا انحصـار)، فكـانوا مـادة للسـخرية حـتى من قِبَل المعتزلة أنفسـهم القـائلين بحقهم: "من أثبت الرؤية وأنكر الجهـة، فقد أضـحك الناس على عقله" [ينظر بيان تلبيس الجهمية ص88].
كما أداهم تحكيم العقل على نصوص الشرع إلى: نفي نزوله تعالى إلى السماء الدنيا على النحو اللائق بجلاله وينظر في ردِّ ذلك بالتفصـيل كتابنـا: (قـرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله على ظاهرها)، وإلى: تعطيل جميع صــفات الله (الخبريـة) و(الفعليـة) بحجج واهية بعد أن كيَّفوهـا، فأسـقطوا قيمة الوحـيين في مجـال عقيـدة (توحيد الصـفات)، جـراء تلاعبهم بالنصـوص الـواردة بحقهـا، وتـأويلهم إياها على غـير وجهها وبمـزاعم واهيـة، مخلِّفين وراء ظهـورهم مـذهب




وما كـــان عليه النـــبي وأصـــحابه رضي الله عنهم أجمعين، وأجمعت عليه الأمة كفعل المعتزلة والقدرية وأنا ذاكر ذلك بابًا بابًا، وشيئًا شيئًا إن شاء الله تعالى وبه المعونة.

شيخهم أبي الحسن الأشعري المثبت لها، غير معتقدين ولا معـترفين ولا عـاملين بما آل إليه أمره.. وسيأتي رد شبهاتهم بما يسمح به المقام

الفصل الثاني

فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة

فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرِّفونا قـولكم الـذي به تقولـون، وديانتكم التي بها تدينون.

قيل له: قولنا الذي نقول بـه، وديانتنا الـتي نـدين بهـا: التمسك بكتـاب الله ربنا ¸، وبسـنة نبينا محمد r ، وما رُوى عن السـادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقـــــول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نضر الله وجهه ورفع درجته وأجـزل مثوبته - قـائلون، ولِمَا خـالف قوله مجـانبون؛ لأنه الإمام الفاضـل، والـرئيس الكامـل، الـذي أبـان الله به الحـق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتـدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقـدَّم، وجليل معظَّم، وكبير مفخَّم وعلى جميع أئمة المسلمين[1].

---

[1](?) هـذا هو مصـدر التلقي عند الأشـعري وبه تمـيز عن الأشـعرية في: جعلهم العقل - عيـاذًا بالله - هو مصـدر التلقي، وقد صـرح بهـذا الماتريـدي في كتابيه (التوحيد) و(التأويلات).. وأنه في حال تعارضه - بـزعمهم - مع النقل يقـدم العقل ويـؤول النص.. وكـذا في: ادعـائهم بـأن نصـوص الصـفات (ظـواهر موهمـة) أو (ظنيات سمعية، في معارضة كليات عقلية)، وتلك هي عبارات: السعد التفتازاني ت792 في كتابه مقاصد الطالبين 3/ 36، وقد وقع في هذه الجريرة النكراء، كلٌّ من: الفخر الـرازي ت606 – قبل تراجعه بـالطبع – والآمـدي ت631 والإيجي ت 756 والسنوسي ت895، وغـــيرهم ممن حجل بقيـــدهم وانخـــرط في عـــداد المتكلمة من يوم أن ظهرت الفرق وإلى يوم الناس هذا.

ويكفي في رد ترهاتهم: ما خاطب الله فيه سيد ولد آدم مع كونه مضرب المثل في رجاحة العقـل، وذلك قولـه: **ووجدك ضـالا فهـدى** [الضـحى :7] وهو إنما هداه بـالوحي.. ثم قـول شـيخ الإسـلام بمجمـوع الفتـاوى 12/ـ 81، 6/ 525، 514: بأن "كلّ ما يدل عليه الكتاب والسنة فإنه موافق لصريح المعقـول، والعقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، ولكن كثيرًا من النـاس يغلطـون إما في هـذا وإما في هـذا، فمن عـرف قـول الرسـول ومـراده بـه، كـان عارفًا بالأدلة الشـرعية، وليس من المعقـول ما يخـالف المنقـول"، وأن "من قـال بمـوجب نصـوص القـرآن والسـنة، أمكنه أن ينـاظر الفلاسـفة منـاظرة عقلية يقطعهم بها ويتـبين له أن العقل الصـريح مطـابق للسـمع الصـحيح"، وأن "دلالة الحق لا تتناقض، فلا يجوز إذا أخبر الله بشيء – سواء كان الخبر إثباتًا أو نفيًا – أن يكـون في إخباره ما يناقض هـذا الخـبر المعقـول، إذ الأدلة المقتضـية للعلم لا يجـوز أن تتناقض، سواء كان الدليلان سمعيين أو عقليين أو أحـدهما سـمعيًا والآخر عقليًـا، ولكن التناقض قد يكـون فيما يظنه بعض النـاس دليلًا وليس بـدليل، كمن يسـمع خبرًا فيظنه صحيحًا ولا يكون كذلك، أو يُفهم منه ما لا يكـون دليلًا عليـه، أو تقـوم عنده شبهة يظنها دليلًا عقليًا، وتكون باطلة التبس عليه فيها الحق والباطل".

وهذا عينه ما لاحظه الأشعري عنـدما تـرك سـبيل المعتزلة والمتكلمـة، ونهج نهج سـلف الأمة وعلى رأسـهم أحمد بن حنبـل، وكـان منه ما كـان من تأليفه كتب:




وجملة قولنا: أنّا نقـرُّ بالله وملائكته وكتبه ورسـله، وبما جـاءوا به من عند اللـه، وما رواه الثقـات عن رسـول الله r ، لا نـردُّ من ذلك شيئا، وأن الله عز وجل إله واحد لا إله إلا هو، فـرد صـمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولـدًا، وأن محمـدًا عبـده ورسـوله، أرسـله بالهـدى ودين الحق.

وأن الجنةَ حقٌّ، والنارَ حقٌّ، وأن السـاعة آتية لا ريب فيهـا، وأن الله يبعث من في القبور.

وأن الله تعـالى اسـتوى على العـرش على الوجه الـذي قالـه، وبـالمعنى الـذي أراده، اسـتواءً منزهًا عن الممارسة والاسـتقرار والتمكن والحلـول والانتقـال، لا يحمله العـرش، بل العـرش وحملته

(الإبانة) و(مقالات الإسلاميين) و(رسـالة إلى أهل الثغـر)، تلك الكتب الـتي دحض من خلالها بالحجة والبرهــان وأدلة العقل قبل النقــل، كل طريق يخــالف طريق النبي وصحابته وتابعيهم بإحسان.

وفي الأخير منها يقول رحمه الله في الإجماع (الثالث والأربعين): "وأجمعـوا على التصديق بجميع ما جاء به رسول الله في كتاب الله وما ثبت به النقل من سائر سنته ووجوب العمل بمحكمـه، والإقـرار بنصِّ مشـكله ومتشـابهه، ورَدِّ كل ما لم يحط به علمًا بتفسـيره إلى الله مع الإيمــان بنصــه".. ناهيك عما صـدّر به كتابه الإبانة من التمسك بالكتاب والسنة، ومن أنه كان يـرى أن أحـاديث الآحـاد طالما صــحت يُحتج بها في العقائد وهي دليل لإثباتهــا، وقد أعلن اعتقــاد أشــياء ثبتت بأحــاديث الآحــاد، وهو ما أفــاده د. محمد أبو زهــرة في كتابه (ابن تيمية حياته وعصر) ص189 وما بعـدها، و د. فوقية في تحقيقها لكتـاب (الإبانـة) ص110 وما بعدها.. خلافًا لمن يرى عكس ذلك ويخـالف – بما يجنح إليه – إمـام المـذهب وما أكثرهم!.

يقول أبو المظفر السمعاني ت489 في كتابه (الانتصار لأصحاب الحـديث) فيما نقله عنه الأصبهاني في الحجة 1/ـ 348: "واعلم أن فَصْـلَ ما بيننا وبين المبتدعة هو: (مسألة العقل)، فإنهم أسسوا دينهم على المعقول وجعلـوا الاتِّبـاع والمـأثور تبعا للمعقول، وأما أهل السنة فقـالوا: الأصل في الـدين الاتبـاع، والمعقـول تبـع؛ ولو كان أساس الـدين على المعقـول لاسـتغنى الخلق عن الـوحي وعن الأنبيـاء، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقـال مَن شـاء ما شـاء، ولجـاز للمؤمـنين ألا يقبلـوا شيئًا حتى يعقلوه؛ ونحن إذا تدبرنا عامة ما جـاء في أمر الـدين من ذكـر: صـفات الله وما تعبد النـاس به من اعتقـاده، وكـذلك ما ظهر بين المسـلمين وتـداولوه بينهم، ونقلـوه عن سـلفهم إلى أن أسـندوه إلى رسـول الله من ذكـر: عـذاب القبر، وسؤال منكر ونكـير، والحـوض، والمـيزان، والصـراط، وصـفات أهل الجنة وصفات النار وتخليد الفريقين فيهما، لوجدناها أمـورًا لا تُـدرك حقائقها بعقولنـا".. كذا بما يُظهر: تناقض الأشعرية بإيمانهم ببعض ذلك وكفرهم بالبعض.

قال: "ثم نقول لهذا القائل – الـذي يقـول: بُـني ديننا على العقل وأُمرنا باتباعه –: أخْبِرْنا إذا أتاك أمر من الله يخـالف عقلك بأيهما تأخـذ؟ بالـذي تعقل أو بالذي تُؤمر؟؛ فإن قال بالذي أعقل فقد أخطأ وترك سبيل الإسلام، وإن قال آخذ بالــذي جــاء من عند الله فقد تــرك قولــه، وإنما علينا أن نَقبل ما عقلنــاه إيمانًا وتصديقًا وما لم نعقله قبلناه استسلامًا وتسليمًا؛ وهذا معنى قـول القائل من أهل السنة: إن الإسلام قنطـرة لا تُعـبر إلا بالتسـليم"، ومعـنى عبـارة الطحـاوي: "ولا تثبت قــدم الإســلام إلا على ظهر التســليم والاستســلام".. إذ الــوحي هو القائد

محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش، وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قربًا إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن العرش، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى، وهو مع ذلك قريب من كلِّ موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد.

وأن له - سبحانه - (وجهًا) بلا كيف، كما قال: ﴿**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾ [الرحمن: 27]، وأن له - سبحانه - (يدين) بلا كيف، كما قال – سبحانه –: ﴿**خلقت بيدي**﴾ [ص : 75]، وكما قال ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾ [المائدة :64]، وأن له - سبحانه - (عينين) بلا كيف، كما قال سبحانه: ﴿**فإنك بأعيننا**﴾ [القمر :14]، وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالًا.

وأن لله (علمًا) كما قال: ﴿**أنزله بعلمه**﴾ [النساء :166]، وكما قال:﴿**وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه**﴾ [فاطر : 11]، ونثبت لله السمع والبصر، ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج؛ ونثبت أن لله قوة، كما قال: ﴿**فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة**﴾ [فصلت :15].

ونقول: إن كلام الله غير مخلوق، وأنه سبحانه لم يخلق شيئًا إلا وقد قال له: (كن)، كما قال: ﴿**إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون**﴾ [النحل :40].

وأنه لا يكون في الأرض شيء من خير أو شر إلا ما شاء الله، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله عز وجل، وأن أحدًا لا يستطيع أن يفعل شيئًا قبل أن يفعله، ولا يستغني عن الله، ولا يقدر على الخروج من علم الله عز وجل([1]).

وأنه لا خالق إلا الله، وأن أعمال العباد مخلوقة لله مقدرة، كما قال سبحانه: ﴿**والله خلقكم وما تعبدون**﴾ [الصافات : 96]، وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئًا، وهم يُخلقون، كما قال: ﴿**هل من خالق غير الله**﴾ [فاطر :3]، وكما قال: ﴿**لا يخلقون شيئًا وهم يخلقون**﴾ [النحل :20]، وكما قال – سبحانه –:

والعقل تابع، الوحي النص، هو: الإمام، والعقل مأموم يفهم النص ويمشي وراءه، وهذا دوره، "وما أحسن المثل المضروب للنقل مع العقل، وهو: أن العقل مع النقل كالعامي المقلد مع العالم المجتهد، بل هو دون ذلك بكثير فإن العامي يمكنه أن يصير عالمًا ولا يمكن لعالم أن يكون نبيًّا رسولاً" إ.هـ من كلام ابن أبي العز بشرحه على الطحاوية ص140.

وسيأتي ذكر المزيد من كلام الأشعري وكذا كلام فقهاء المذاهب وأئمة السلف في إقرارهم جعل مصدر التلقي هو النقل، وبيان إن دور العقل إنما ينحصر في إعماله في فهم وخدمة النص وألا تعارض بينهما، لأن الذي خلق العقل هو الذي هداه وأرشده وأرسل إليه النقل، ومحال – وبموجب العقل – أن يرسل إليه ما يفسده، خلافًا للأشاعرة الذين أسسوا وجنحوا لتغليب العقل وعدم الأخذ بأحاديث الآحاد وإن صحت، وإلى ظنية الأدلة النقلية، وأنها عند التعارض - بزعمهم - تقدم عليها أدلة العقل، وينظر ذلك بالتفصيل كتاب (مصادر التلقي عند الأشاعرة) ص234 وما بعدها

[1]) وسيأتي تفصيل الكلام عن كل ذلك في حينه




﴿**أفمن يخلق كمن لا يخلق**﴾ [النحل :17]، وكما قـــال: ﴿**أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون**﴾ [الطور :35]، وهذا في كتاب الله كثير[1].

وأن الله وفّق المؤمـــــنين لطاعتـــــه، ولطف بهم، ونظر لهم، وأصـلحهم وهـداهم، وأضل الكـافرين ولم يهـدهم، ولم يلطف بهم بالإيمـان كما زعم أهل الزيغ والطغيـان، ولو لطف بهم وأصـلحهم لكـانوا صـالحين، ولو هـداهم لكـانوا مهتـدين، كما قـال سـبحانه وتعالى: ﴿**من يهد الله فهو المهتد ومن يضـلل فأولئك هم الخاسرون**﴾ [الأعراف :178]، وأن الله يقدر أن يصلح الكافرين، ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم، وخذلهم وطبع على قلوبهم.

---

[1] (?) تلك باختصار هي عقيـدة أهل السـنة - والأشـعري على رأسـهم - في قضـية خلق أفعال العباد، وحاصلها:

أن خلْق الله تعالى لأفعال عباده حقيقـة، أمـرٌ اتفقت عليه الرسل والكتب الإلهية والفطر والعقول السليمة، فالله خالق للعباد وخالق لأفعالهم، قـال تعـالى: ﴿**ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير**﴾ [البقرة :106]، فهو سبحانه قادر على كل شيء ومن ذلك أفعال العباد، وقال تعـالى: ﴿**والله خلقكم وما تعملـون**﴾ [الصافات :96] فـ (ما) هنا موصـولة، وعليه يكـون التقـدير: (والله خلقكم وخلق أعمالكم)، إلى آخر الآيات الدالة على ذلك، وهي كثيرة.

وأن أفعال العباد من القَدَر الذي كتبه الله عليهم، فهي رابع مـراتب القـدر، الـتي هي: العلم، الكتابة، المشيئة، الخلق، وأهل السنة يقرون بقـدرة حقيقية لهم، تقع لهم فيها مشيئة واختيار، وهي تابعة لقدرة الله ومشيئته وإرادته وقضـائه وقـدره، يقـول تعـالى: ﴿**وانه هو أضـحك وأبكى**﴾ [النجم :43]، كـذا بصـيغة الماضي الرباعي، فالله المضحك المبكي، والعبد هو الضاحك الباكي حقيقة، وهكذا.

هذا ما عليه جماعة أهل السنة، وهو مخالف لاعتقـاد الأشـاعرة الـذي يقضي بـأن ليس للعبد قدرة مؤثرة في وجود الفعل، لا في أصله ولا في وصـفه، وحجتهم أنه تعالى خالق كل شيء وليس للعبد إلا الكسب، وهو اعتقاد مشـابه من هـذا الوجه لمعتقد الجبرية الـذين ينكـرون أن للعبد قـدرة وإرادة ويقولـون أن العبد مجـبر ومضــطر إلى فعلــه، فهو كريشة معلقة في مهب الــريح، كل ما هنالك أن للعبد عند الأشاعرة تهيئًا يميل إليه عند الفعل وكسبًا لأفعاله يتعلق به التكليف من غـير أن يكون العبد موجدًا لأفعاله وخالقًا لها.

ويكمن الفـرق الـدقيق بين الأشـاعرة وأهل السـنة من وجه آخـر، ألا وهـو: جعل حالة المكتسب لـدى أهل السـنة حاصـلة بحيث لو أراد الخــروج من الفعل إلى ضده لم يمتنع ذلك عليه، بخلاف جماهير الأشاعرة فإن ذلك لا يمكن له.

ويظهر الفـرق بين كل هـؤلاء والمعتزلة القدرية في أن الأخـيرة غلـوا في إثبـات اختيار العبد فنفوا القَدَرَ حتى جعلوا العبد يستقل بأفعاله، فـأخرجوا أفعـال العبـاد تمامًا من إرادة الله ومشـيئته، وقـالوا: إنهم يخلقـون أفعـال أنفسـهم، وليس لله فيها تصرف، وكان للبخاري كتابه: (خلق أفعال العباد) لدحض مـذهبهم هـذا.. كما ينظر فيما ذكرنـا: (عقيـدة الأشـاعرة) للرديعـان ص290، و(عقائد الأشـاعرة) لمصطفى باحو ص267، و(تفنيد أهل السنة لمـذهب الأشـاعرة) ص322 للسـيد بن أحمد، و(شرح الطحاوية) لابن أبي العز ص461.

وأن الخـير والشر بقضـاء الله وقـدره، وإنا نـؤمن بقضـاء الله وقـدره، خـيره وشـره، حلـوه ومـره، ونعلم أن ما أخطأنا لم يكن ليصـيبنا، وأن ما أصـابنا لم يكن ليخطئنـا، وأن العبـاد لا يملكـون لأنفسـهم ضـرًا ولا نفعًا إلا بـإذن اللـه، كما قـال عز وجـل: **قل لا املك لنفسي نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء الله** [الأعـراف :188][1].

ونُلجئ أمورنا إلى اللـــــه، ونثبت الحاجة والفقر في كل وقت إليه سبحانه وتعالى.

ونقـول: (إن كلام الله غـير مخلـوق[2]، وأن من قـال بخلق القرآن فهو كافر).

وندين بأن الله يُرى في الآخـرة بالأبصـار، كما يُـرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله .

ونقـول: إن الكـافرين محجوبـون عنه إذا رآه المؤمنـون في الجنـــة، كما قـــال - ســـبحانه -: **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبـون** [المطففين :15]، وإن موسى سـأل الله الرؤية في الـدنيا، وأن الله تعـالى تجلى للجبل فجعله دَكًّا، فـأعلم بـذلك موسى أنه لا يراه في الدنيا.

ونـدين بـأن لا نكفِّر أحـدًا من أهل القبلة بـذنب يرتكبه ما لم يستحله، كالزنا والسرقة وشرب الخمر، كما دانت بـذلك الخـوارج، وزعمت أنهم كافرون.

ونقـول: إن مَن عمِل كبـيرة من هـذه الكبـائر مثـل: الزنا والسـرقة وما أشـبهها مسـتحلاً لهـا، غـير معتقد لتحريمها كـان كافرًا([3]).

ونقـول: إن الإسـلام أوسع من الإيمـان، وليس كـلُّ إسـلام إيمانًا.

ونـدين الله ¸ بأنه يقلب القلـوب بين أصـبعين من أصـابعه[4]، وأنه - سـبحانه - يضع السـماوات على أصـبع، والأرضـين على أصبع[5]، كما جاءت الرواية عن رسول الله من غير تكييف.

وندين بأن لا نُنزل أحدًا من أهل التوحيد والمتمسكين بالإيمـان جنة ولا نـارًا، إلا من شـهد له رسـول الله r بالجنـة، ونرجو الجنة للمذنبين، ونخاف عليهم أن يكونـوا بالنـار معـذبين، أجارنا الله منها بشفاعة سيدنا وحبيبنا رسول الله .

---

[1] (?) سيأتي الكلام عن كل ذلك مفصلًا إبَّان الكلام عن تقدير أعمال العباد

[2] (?)ولازم قـول متـأخري الأشـاعرة - في بـدعتهم: قصر كلامه تعـالى على (النفسي) دون (اللفظي) - على خلاف ذلك، وتلك هي براءة شـيخهم منهم ومما يدينون الله به، فقد اتفق الأشـاعرة والمعتزلة على أن (القـرآن) اللفظي والـذي بين أيدينا مخلوق، وزاد الأشعرية فأثبتوا كلامًا قائمًا بنفس الله، وهو غـير مخلـوق وهو الذي عُبِّر عنه بالقرآن الذي بين أيدينا.. وسيأتي بيان ذلك ورده

[3]) وهذا أيضًا سيأتي الكلام عنه بمشيئة الله مفصلاً.

[4] (?) رواه مسلم (2654)

[5] (?) متفق عليه: رواه البخاري (7414، 7415)، ومسلم (2786) في قصة

ونقول: إن الله عز وجل يُخرج قوما من النار بعد أن امتحشـوا بشفاعة رسول الله r تصديقا لما جاءت به الروايات عنه [6].

ونؤمن بعذاب القـبر وبـالحوض، وأن المـيزان حـق، والصـراط حق، والبعث بعد المـوت حـق، وأن الله عز وجل يوقف العبـاد في الموقف، ويحاسب المؤمنين.

وأن الإيمـان قـول وعمـل، يزيد وينقص[2]، ونسـلِّم بالروايـات الصحيحة عن رسول الله التي رواها الثقات عدل عن عدل، حتى تنتهي إلى رسول الله [3]، ونـدين بحب السـلف الـذين اختـارهم

---

[6](?) سبق تخريجه

[2](?) وتلك هي عقيدة مالك والشافعي وأحمد وجمهرة أهل السنة وسـلف الأمـة، وذلك بناء على أن الإيمان قول باللسـان وتصـديق بالجنـان وعمل بالأركـان، وأن جنس العمل داخل في مســـمى الإيمــــان، وأن الإيمــــان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وليس كما تقوله الحنفية والماتريدية والمرجئة: (قول باللسان واعتقاد بالجنــان) وإن ذهب الماتريــدي ورُوِي عن أبي حنيفة أن الإقــرار باللســان ركن زائــد.. وليس كما تقوله الكراميــة: (قــول باللســان فقــط).. وليس كما تقوله الأشـاعرة: (اعتقـاد بـالقلب فقـط) وما العمل إلا شـرط كمـال فيـه.. وليس كما تقوله الجهمية: (هو المعرفة بالقلب فقط).. إذ على قول الأخيرة يكـون فرعـون مؤمنًا لأنه عــارف، وإبليس أيضًــا يكـون مؤمنًا لأنه عــارف بقلبــه.. ولازم قــول الأشاعرة أن يكون أبو لهب وأبو طالب وأبو جهل وسائر المشركين وكـذا اليهـود مؤمنين، لأنهم موقنين ومصدقين بالنبي بقلوبهم، ولكن منعهم الكبر والحسد من اتباعه ، قـال تعـالى عن اليهـود: **الـذين آتينـاهم الكتـاب يعرفونه كم يعرفـون أبنـاءهم** [البقـرة :146]، وقـال عن المشـركين: **قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكـذبونك ولكن الظـالمين بآيـات الله يجحدون** [الأنعام :33]، فمعني (لا يكذبونك): أنهم يصدقونك، وقال أبو طالب:

ولقد علمت أن دين محمد
من خـــــــــير أديـــــــــان البرية دينا
لـــــــــولا الملامة أو حـــــــــذارِ مســـــــــبةٍ
لرأيتـــــــــني ســـــــــمحًا بـــــــــذاك مبيناً

وعلى قول جميعهم لا قيمة للعمل وقد قرنه الله في القـرآن بالإيمـان في أربع وسـتين موضـعًا.. على أن الخلاف بين الحنفية والأشـاعرة والماتريدية وبين أهل السـنة ليس مجــردَ خلافٍ صــوريٍّ كما ادُّعي، بــدليل أن الأشــاعرة ومن على شاكلتهم يجيزون لأفجر واحد منهم أن يقول: (إيماني كإيمان أبي بكر، بل كإيمان الأنبيــاء والمرســلين وجبريل وميكائيل عليهم الســلام)، والله يقــول في ردِّ مزاعمهم: **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياتنا زادتهم إيمانًا وعلى ربهم يتوكلــون. الــذين يقيمــون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** [الأنفـال :2ـ- 4]، وبـالطبع فليس إيمـان الرسل كإيمان غـيرهم، ولا إيمـان الخلفـاء والصحابة كإيمـان غـيرهم، ولا إيمـان المؤمنين كإيمان الفاسقين.. ينظر شروح الطحاوية ص276

[3]**(?)** لا فرق في ذلك بين الخـبر المتـواتر وخـبر الآحـاد طالما صـحت روايتها عن النــبي ، والأشـعري وجماعة أهل السـنة على ذلك خلافًا للأشـعرية الــذين لا

الله تعـالى لصـحبة نبيه ، ونثـني عليهم بما أثـنى الله به عليهم، ونتولاهم أجمعين.

ونقــول: إن الإمــام الفاضل بعد رســول الله : أبو بكر الصـديق رضي الله عنه، وأن الله سـبحانه وتعـالى أعز به الـدين، وأظهــره على المرتــدِّين، وقدَّمه المســلمون بالإمامــة، كما قدمه رسـول الله للصـلاة، وسـموه بـأجمعهم خليفة رسـول الله ، ثم عمر بن الخطــاب رضي الله عنه، ثم عثمــان بن عفــان رضي الله عنه، وأن الذين قتلوه قتلوه ظلمًا وعدوانًا، ثم علي بن أبي طــالب ¢، فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله ، وخلافتهم خلافة النبوة.

ونشــهد بالجنة للعشــرة الــذين شــهد لهم رســول الله بهــا، ونتــولى ســائر أصــحاب رســول الله ، ونكف عما شــجر بينهم.. ونــدين بــأن الأئمة الأربعة خلفــاء راشــدون، مهــديون فضــلاء، لا يوازنهم في الفضل غيرهم.

ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل عن الــنزول إلى ســماء الــدنيا، وأن الــرب ¸ يقــول: (هل من ســائل؟، هل من مسـتغفر؟)[1]، وسـائر ما نقلـوه وأثبتـوه، خلافا لما قاله أهل الزيغ والتضليل.

ونعوِّل فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا عز وجل، وسنة نبينا r ، وإجماع المسلمين، وما كان في معناه[2]، ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا، ولا نقول على الله ما لا نعلم.

ونقــول: إن الله عز وجل يجيء يــوم القيامــة، كما قــال – سبحانه –: ﴿**وجاء ربك والملك صفًا صَفًا**﴾ [الفجر :22]، وأن

يأخــذون إلا بــالمتواتر، بــزعم أن أحــاديث الآحــاد تفيد العلم ولا تفيد اليقين ولا يُسـتدل بها في العقيـدة، ويمكن الاحتجـاج بها في مسـائل الغيبيـات الـتي ليس للعقل القدرة على نفيها أو إثباتها كعذاب القبر والصراط وغيرها، وهذا - بالطبع - باطل إذ لا فرق، ولا أدل على بطلانه من بطلان صـلاتهم لأن تحويل قبلتها جـاءت بطريق الآحاد، ولا أدل على بطلانه كذلك من: تناقضهم فقد جاءت أحـاديث نزوله تعالى إلى السماء الـدنيا في الثلث الأخـير من كل ليلة بطريق التـواتر، ومع ذلك تراهم يؤولونها بغير قرينة مانعة من إرادة المعـنى الحقيقي لصـفة نزوله تعـالى، بل ومع القــرائن الموجبة لحملها على ظاهرها.. وينظر للمزيد عن الحــديث عن هذه القضية شرح الطحاوية هامش ص276 والفتوى رقم (129610) بتاريخ 15 من ذي الحجة 1430 الموافق 2/ 12/ 2009 بموقع (إسلام ويب) إذ بها الإجابة عن سؤال: (من هو أول من قال بأن أحاديث الآحاد ليست حجة في العقائد؟ وما هي أسهل طريقة لنقض عقيدة المبتدعة هذه؟).

[1](?) سبق تخريج حديث النزول، وقد بلغ حد التواتر كما ذكر ذلك أئمة الحديث.

[2](?) هذا عن مصدر التلقي لـدى الأشـعري على ما سـبق تقريـره، بالمخالفة لما عليه متأخرو الأشاعرة حيث عوّلوا على العقل وغلبـوه على النقـل.. ويظهر هـذا جليًّا في كل ما عرض له الأشـعري بلا اسـتثناء، سـواء في كتابه هـذا (الإبانـة) أو غيره.




الله مقرب من عباده كيف شاء بلا كيف، كما قال تعـالى: **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** [ق :16]، وكما قال - سبحانه -: **ثم دنا فتدلى. فكـان قـاب قوسـين أو أدنى** [النجم :8-9][1].

ومن ديننا أن المسح على الخفين سـنة في الحضر والسـفر، خلافا لقول من أنكر ذلك.

ومن ديننا أن نصلي الجمعة والأعياد وسائر الصلوات والجماعات خلف كلِّ بَرٍّ وفاجر، كما روى أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يصلي خلف الحجاج.

ونـرى الـدعاء لأئمة المسـلمين بالصـلاح والإقـرار بإمـامتهم، وتضـليل من رأى الخـروج عليهم إذا ظهر منهم ترك الاستقامة.

ونـدين بإنكـار الخـروج بالسـيف، وبـترك القتـال في الفتنة[2].

---

[1](?) ينظر في ذكر الإجمـاع والمزيد من الأدلة على إثبـات كـلٍّ من (النـزول والمجيء والقرب والدنو).. وغير ذلك مما سبق أن أشـار إليه الأشعري هنـا، من نحو (الاستواء والوجه واليدين والعينين والكلام اللفظي والأصابع)، كتابنا: (قـرائن اللغة والنقل والعقل في حمل صفات الله على ظاهرها) فلتراجع هنالك

[2](?) وهـذه أمـور في غاية الأهمية وتمثل في زماننـا: (واجب الـوقت)، إذ بتركها ابتلينا بمن ينازع المحسـوبين من حكـام المسـلمين على أهل السـنة الأمر أهلـه، ويسعى جاهـدًا إلى تفـتيت الأمة وتـدميرها وتسـليط أعـدائها عليهـا، ويُحـيي فيها بدعة الخوارج وأعني بهم: فرق من الضلال المعاصرة: (السرورية وكل جماعـات التكفير بما فيهم الجماعة الأم وكل من خرج من رحمها ومن تحت عباءتها وسلك سبيلها)، وفي رد ذلك وموافقة الأشعري لسائر أئمة أهل السنة، جاء إجماع الأمة وأصحاب المذاهب، ونذكر من أقوال:

1) **أئمة الحنفية:** ما نقله الإمام الطحاوي - محدث الديار المصـرية وفقيهها ت321 في عقيدته المسماة باسـمه- "عن الإمـام أبي حنيفة النعمـان، وصـاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن الشـيباني، مما كـانوا –على حـدِّ قـول شـارحها: القاضي ابن أبي العز الدمشـقي– يعتقدونه من أصـول الـدين، ويـدينون به رب العالمين"، قال:

"ولا نرى الخـروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جـاروا، ولا نـدعو عليهم، ولا نـنزع يـدًا من طـاعتهم، ونـرى طـاعتهم من طاعة الله فريضة ما لم يـأمروا بمعصـية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة".. إلى أن قال: "هذا ديننا واعتقادنا ظـاهرًا وباطنًـا، ونحن بَرَاءٌ إلى الله مِن كل مَن خالف الذي ذكرناه وبيَّناه، ونسأل الله أن يعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الرَّديّة".

ومما استدل به ابن أبي العز في شرح ما ذكرنـاه للطحـاوي: قـولُ الله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** [النساء :59]، وقوله كما في الصحيحين: (من أطاعني فقد أطاع الله،

ونقرُّ بخروج الـدجال - أعاذنا الله من فتنته - كما جـاءت به الرواية عن رسول الله r [1].. ونـؤمن بعـذاب القـبر، ومنكر ونكـير عليهما الصلاة والسلام، ومساءلتهما المدفونين في القبور.

ونصدق بحـديث المعـراج[2]، وتصـحيح كثـير من الرؤيا في المنـام، ونقر أن لـذلك تفسـيرًا.. ونـرى الصـدقة على مـوتى المسـلمين، والدعاء لهم، ونؤمـن بأن الله ينـفعهم بذلك.

ونصدق بأن في الدنيا سحرة وسحرًا، وأن السحر كائن موجود في الــدنيا.. ونــدين بالصــلاة على من مــات من أهل القبلــة، بــرهم

ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني)، وحـديث الصـحيحين: (على المـرء المسـلم السـمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فـإن أمر بمعصـية فلا سـمع ولا طاعـة)، وأثر أبي ذر وفيه قوله :(إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيـع، وإن كـان عبـدًا حبشـيًا مجـدَّع الأطراف) كذا بمسلم، ولفظ البخاري: (ولو لحبشي كأن رأسه زبيبة).

وفي زيادة: (يقودكم بكتاب الله) (ما أقام فيكم كتاب الله)، إشارة لعـدم السـمع والطاعة فيما خالف فيه الإمام شـرع الله فقـط، وهـذا مـراده عز وجل من هـذه العبـارة، وليس مـراده: إسـقاط مطلق السـمع والطاعة لكل أوامـره كما يـدعي التكفيريون، يؤكد هذا المعنى حديث حذيفة: (يكون بعـدي أئمة لا يهتـدون بهـديي ولا يستنون بسنتي، وسـيقوم فيهم رجـال قلـوبهم قلـوب الشـياطين في جثمـان إنس، قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟، قال: (تسـمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطـع)، وكلام ابن تيمية واضح في ردِّ هـذه الشبهة العظيمة، حيث يقول في (منهاج السنة) 1/ 556: "وهو ’ قد أخبر أنه بعد ذلك يقوم أئمة لا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنته، وبقيـام رجـال قلـوبهم قلـوب الشياطين في جثمان الإنس، وأمر مع هـذا بالسـمع والطاعة للأمـير، وإن ضـرب ظهرك وأخذ مالك، فتبين أن الإمام الذي يطـاع: هو من كـان له سـلطان، سـواء كان عادلًا أو ظالمًا".

ومما استَشـهد به كـذلك على وجـوب الطاعة للحـاكم في غـير معصـية: قوله لحذيفة: (تلـزم جماعة المسـلمين وإمـامهم)، وقولـه: (من رأى من أمـيره شـيئًا يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شـبرًا فمـات، فميتتُه ميتـةٌ جاهليـة)، وهو في صحيح سنن أبي داود بلفظ: (فقد خلع ربقة الإسـلام من عنقـه).. إلى آخر ما ذكره من أدلة أعقبها بقوله ص325: "فقد دل الكتاب والسنة على وجـوب طاعة أولي الأمر ما لم يأمروا بمعصـية.. وأما لـزوم طـاعتهم وإن جـاروا، فلأنه يـترتب على الخـروج من طـاعتهم من المفاسد أضـعاف ما يحصل من جَـورهم، بل في الصبر على جَورهم تكفيرُ السيئات ومضاعفة الأجـور، فـإن الله ما سـلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل".. وهذا هو!.

ولم يفت الطحاوي –بعقيدته التي تلقتها الأمة بـالقبول– أن يَـرُدّ على التكفـيريين دعـاواهم الباطلـة، ويُلـزمهم الحجة في حقن دمـاء المسـلمين، ويمنع التأله على الله بدخول أحد جنة أو حرمانه منها.. ولأن يقول في ذلك:

"ولا نكفر أحــدًا من أهل القبلة بــذنب ما لم يســتحله.. ونرجو للمحســنين من المؤمنين أن يعفـوَ عنهم ويـدخلَهم الجنة برحمتـه، ولا نـأمن عليهم ولا نشـهد لهم




وفـاجرهم، وتـوارثهم.. ونقر أن الجنة والنـار مخلوقتـان، وأن من مات وقتل فبأجله مات وقتل.

وأن الأرزاق من قِبَلِ الله – سبحانه – يرزقها عبـاده حلالًا وحرامًـا، وأن الشيطان يوسوس الإنسان، ويشككه ويخبطـه، خلافا للمعتزلة والجهمية، كما قال تعالى: **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقـوم الـذي يتخبطه الشـيطان من المس** [البقـرة : 275]، وكما قـال: **من شر الوسـواس الخنـاس. الـذي يوسوس في صدور الناس** [سورة الناس: 4- 5].

بالجنة، ونستغفر لمسيئهم ونخاف عليهم ولا نقنِّطهم.. ولا يَخرَج العبد من الإيمان إلا بجحـود ما أدخله فيـه.. وأهل الكبـائر من أمة محمد ﷺ في النـار لا يخلـدون إذا ماتوا، وهم موحِّدون وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوُا الله عارفين مؤمـنين، وهم في مشيئته وحُكمه: إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما في قولـه: **ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** [النساء :48، 116]، وإن شاء عذبهم في النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته وبشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته، وذلك بـأن الله تـولى أهل معرفته ولم يجعلهم في الـدارين كأهل نُكْرته الـذين خابوا من هدايته ولم ينالوا من ولايته.. ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد".
وقـــال ردًّا على من نصَّـــب نفسه قاضـــيًا وحاكمًا على أهل الســـنة - حكامًا ومحكومين- بالكفر والشرك والنفاق والطاغوتية.. إلخ: "ونـرى الصـلاة خلف كـلِّ بر وفاجر من أهل القبلة، والصـلاة على من مـات من الأبـرار والفجـار، ولا نُـنزل أحدًا منهم جنة ولا نارًا، ولا نشـهد عليهم بكفر ولا بشـرك ولا بنفـاق، ما لم يَظهر منهم شيء من ذلك، ونَذرُ سـرائرهم إلى اللـه.. ونتَّبع السـنة والجماعـة، ونجتنب الشـــذوذ والخلاف والفرقـــة، ونحب أهل العـــدل والأمانـــة، ونبغض أهل الجـــور والخيانـــة، ونـــرى الحج والجهـــاد ماضـــيان مع أولي الأمر من المســـلمين، بَـــرِّهم وفاجرِهم إلى قيام الساعة، لا يُبطلُهما شيء ولا يَنقضُهما".

2) وبنحو ما نقلناه عن الحنفية عن الخوارج ومخـالفي السـنة، تكلم مالكٌ إمام دار الهجرة:

فذكر في معتقده عن الحرورية أنهم "يُقتلون إذا لم يتوبوا، إن خرجوا على إمام عدل وهو يريدون قتاله ويَدعُون إلى ما هم عليـه"، و"أن دمـاءهم موضـوعة عنهم وأما أموالهم فتؤخذ لأنهم إنما استهلكوها على التأويل وعلى دينٍ يـرون أنه صواب، وأنه لا يُصلى على موتاهم ولا تُتّبع جنائزهم ولا يُعاد مرضاهم، فـإذا قَتلـوا فذلك أحرى ألا يُصلى عليهم"ـ كذا في المدونة الكبرى للإمام مالك.

وتحت عنوان: (ما أجمعت عليه الأمة من أمور الديانة من السنن التي خلافها بدعة وضلالة) نقل بن أبي زيد القيرواني المعروف بـ (مالـكٍ الصـغير) عن إمام دار الهجرة قوله: "لا نُصلي خلف المبتدع إلا أن نخافه فنصـلي، واختُلف في الإعادة، ولا بأس بقتال من دافعك من الخـوارج واللصـوص من المسـلمين وأهل الذمة عن نفسك ومالك، والتسليمُ للسنن لا تُعارَض برأي ولا تُـدافَع بقيـاس، وما تأوله منها السـلف الصـالح – أي: فسـروه – تأوّلنـاه، وما عملـوا به عملنـاه، وما تركـوه تركنـاه، ويسـعنا أن نمسك عما أمسـكوا ونتَّبعهم فيما بينـوا، ونقتـدي بهم فيما اسـتنبطوه ورأوه في الحـوادث، ولا نخـرج عن جمـاعتهم فيما اختلفـوا فيه وفي تأويلـه، وكل ما قـدمنا ذكـره هو قـول أهل السـنة وأئمة النـاس في الفقه

ونقول: إن الصالحين يجوز أن يخصهم الله تعالى بآيات يُظهرها عليهم. **وقولنا في أطفال المشركين:** أن الله تعالى يؤجج لهم في الآخرة نارًا، ثم يقول لهم: اقتحموها، كما جاءت بذلك الرواية[1].

وندين الله عز وجل بأنه يعلم ما العباد عاملون، وإلى ما هم صائرون، وما كان وما يكون، وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون، وبطاعة الأئمة ونصيحة المسلمين. ونرى مفارقة كل داعية

والحديث، وكله قول مالك، فمنه منصوص من قوله، ومنه معلوم من مذهبه".
بل أفتى مالك بعدم قبول شهادة من كان على بدعةِ الخوارج وغيرهم، ولا توليتهم إمامة المسلمين في الصلاة ولا في الثغور، ولا حتى مكالمتهم، وذلك قوله فيما نقله عنه القاضي عياض في ترتيب المدارك 2/ـ 47: "لا تجوز شهادة القدري الذي يدعو إلى بدعته، ولا الخارجي والرافضي"، وقال عياض بنفس المصدر: "سُئل مالكٌ عن أهل القدر أنَكُفُّ عن كلامهم؟، قال: (نعم؛ إذا كان عارفًا بما هو عليه)، وفي رواية أخرى قال: (لا يُصلى خلفهم ولا يُقبل عنهم الحديث، وإن وافيتموهم في ثغر فأخرجوهم منه)"إ.هـ.. كذا هو حكم الله فيمن يدين بغير دين أهل السنة والجماعة من الشيعة والتكفيريين وخوارج العصر.. وإنما نصارحهم بهذا خوفًا عليهم، وليدركوا خطورة ما هم عليه، وليرجعوا عن غيِّهم إلى منهاج النبوة ونهج الفرقة الناجية.
ومما قاله القاضي عياض بحق الإمامة العظمى (الخلافة): إن "اشتراط كون الإمام قرشيًا: مذهب العلماء كافة، وقد عدُّوها من مسائل الإجماع، ولم ينقل عن أحد من السلف فيها خلاف، وكذلك مَن بعدهم في جميع الأعصار، قال: ولا اعتداد بقول الخوارج ومن وافقهم من المعتزلة"، ويفاد منه: بطلان انعقادها لكل من يدعيَها في زماننا وبخاصة من يدين منهم بمذهب الخوارج من كافة جماعات التكفير.
3) **وقال بنحوه فقيهُ الملة، الإمامُ الشافعي:** ففي رده عادية التكفيريين والخارجين على حكام المسلمين، يحكي –رحمه الله– فيما رواه عنه أبو شعيب وأبو ثور والبرزنجي الحسيني، أن ضمن السنة التي رأى أصحابه من أهل الحديث وأخذها عنهم مثل ابن عيينة ومالك: "ولا أكفر أحدًا من أهل التوحيد بذنب وإن عمل الكبائر، وأكِلُهم إلى الله.. ولا أُنزل المُحسن من أمه محمد الجنة بإحسانه، ولا المسيء بإساءته النار، وأعرف حق السلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه، وأحدِّث بفضائلهم وأمسك عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم.. والشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ.. والجهاد ماض مع كل بر وفاجر، وصلاة العيدين والجمعة إلى يوم القيامة.. والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا يُخرَج عليهم بالسيف.. والإيمان بهذا كله حق، فمن ترك من هذا شيئًا فهو مخالف لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ".
كما نصح الشافعي في وصيته التي رواها عنه الحسين بن هشام البلدي، بـ"السمع والطاعة لأولي الأمر ما داموا يصلون، والولاة لا يُخرج عليهم بالسيف، والخلافة في قريش".. وقد ختم الشافعي وصيته بقوله: "وأوصي بتقوى الله، ولزومِ السنة والآثار عن رسول الله وأصحابه، وترك البدع والأهواء واجتنابها..

إلى بدعـة، ومجانبة أهل الأهـواء[1]. وسـنحتجُّ لما ذكرنـاه من قولنا وكذا ما بقى منه مما لم نـذكره، بابًا بابًا وشـيئًا شـيئًا إن شـاء الله عز وجل[2].

الباب الثاني
الكلام في إثبات رؤية الله - سبحانه - بالأبصار في الآخرة

وعليكم بالجمعة والجماعة، ولزوم الإيمـان والتفقه في الـدين"إ.هــ من (جمهـرة عقائد أئمة السلف) ص157: 162، ويُنظر قول مالك ص384 بنفس المصدر.

4-أما عن الإمام أحمد بن حنبل في وجوب الطاعة لحكام المسلمين في غـير معصـية وعـدم الخـروج عليهم، فحـدِّث ولا حـرج: فقد كـان نُموذجًا مثاليًّا للصدع بالحق والصبر –في ذات الوقت– على أذى حكام المسلمين وعدم الخروج عليهم، بل إنه جعل هذا أصلًا من أصـول السـنة، كما أعطى المثل والقدوة في ذلك بنفسه.. ومما ورد عنه في هذا: ما جـاء في عقيدته الـتي رواها العطـار - وهي بنصـها بــ (جمهـرة عقائد السـلف) و(الجـامع الفريـد) - قـال في (أصول السنة):

إن "من السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها؛ لم يكن من أهلها: السمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البَـرّ والفـاجر، ولمن ولي الخلافة - يعـني: إبّـان انعقادها وعقب عودتها على منهـاج النبـوة بعد شـغور الزمـان منها - واجتمع النـاس عليه ورضُـوا بـه.. والغـزو مـاض مع الأمـير إلى يـوم القيامة البَـرّ والفاجر لا يُـترَك، وقسـمة الفيء وإقامة الحـدود إلى الأئمة مـاضٍ، ليس لأحد أن يَطعن عليهم ولا يُنـازعُهم، ودَفْـعُ الصـدقات إليهم جـائزة نافـذة، مَن دفعها إليهم أجزأت عنه بَرًّا كـان أو فـاجرًا، وصـلاة الجمعة خلفه وخلف من ولاّه، جـائزة.. أيًّا من كانوا بَرِّهم وفاجرِهم، فالسنة:

أن يُصَلِّي معهم.. ومن خرج على إمـام من أئمة المسـلمين –وقد كـانوا اجتمعـوا عليه وأقروا له بالخلافة، بأي وجه كان، بالرضا أو بالغلبـة– فقد شق هـذا الخـارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ :فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحلُّ قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من النـاس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق".

قال أحمد: "وقتال اللصوص والخـوارج جـائز، إذا عَرَضـوا للرجل في نفسه وماله فله أن يُقاتِل عن نفسه وماله، ويدفع عنها بكل ما يقـدر، وليس له إذا فـارقوه أو تركـوه أن يطلبهم، ولا يَتّبع آثـارهم، ليس ذلك لأحد إلا الإمـام أو ولاة المسـلمين، إنما له أن يدفع عن نفسه في مقامه ذلك، وينـوي بجُهـدِه أن لا يَقتل أحـدًا، فـإن مــات على يديه في دفعه عن نفسه في المعركة فأبعد الله المقتــول، وإن قُتِل هذا في تلك الحـال وهو يـدفع عن نفسه وماله رجـوتُ له الشـهادة كما جـاء في الأحـاديث، وجميع الآثـار في هـذا إنما أُمِر بقتاله ولم يُـؤمَر بقتله ولا اتِّباعـه، ولا يُجهزُ عليه إن صُرِع أو كان جريحًـا، وإن أخـذه أسـيرًا فليس له أن يقتله ولا يقيم عليه الحد، ولكن يَرفع أمره إلى من ولاّه الله فيحكم فيه"إ.هـ

قال الله تعالى: **وجوه يومئذ ناضرة** [القيامة :22] يعني: مشرقة، **إلى ربها ناظرة** [القيامة :23] يعـني: رائيـة، وليس يخلو النظر من وجوه نحن ذاكروها:

إما أن يكون الله - سبحانه - عنى: نظر الاعتبار، كقوله تعالى: **أفلا ينظـرون إلى الإبل كيف خلقت** [الغاشـية :17].. أو يكون عنى: نظر الانتظار، كقوله تعالى: **ما ينظرون إلا صيحة واحدة** [يس :49].. أو يكون عنى: نظر التعطـف، كقوله تعـالى:

وكـان أحمد قد ذكر قبـلُ – في تبشـيع ما يقع فيه سـفكة الـدماء في زماننا وفي التحذير من سائر أهل البدع، لإدراكه أنهم سبب كل بلاء – أن مِن "أصول السنة: التمسكُ بما كان عليه أصحاب رسـول الله والاقتـداء بهم، وتـركُ البـدع إذ كـلّ بدعة ضـلالة، وتـركُ الجلـوس مع أصحاب الأهـواء، وتـركُ المـراء والجـدال والخصـومات في الـدين".. قـال: "والسـنة عنـدنا: آثـارُ رسـول الله وهي تُفَسِّـر القرآن وهي دلائل القرآن.. فهي الاتباع وترك الهوى.. والإيمـانُ بشـفاعة النـبي ".. إلى أن قال:

"ولا نشـــهد على أحد من أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نـــار، نرجو للصـــالح ونخاف عليه، ونخاف على المسيء المذنب، ونرجو له رحمة اللـه، ومن لقي الله بذنب يجب له به النار تائبًا غير مُصرٍّ عليه، فـإن الله يتـوب عليه ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ومن لقيه وقد أقيم عليه حدُّ ذلك الذنب في الدنيا فهو كفارته كما جـاء في الخـبر عن رسـول الله ، ومن لَقِيَه مُصِـرّا غـير تـائب من الذنوب التي استوجب بها العقوبة فـأمره إلى اللـه، إن شـاء عذّبه وإن شـاء غفر لـه، ومن لَقِيَه وهو كـافر عذّبه ولم يغفر لـه.. ومن مـات من أهل القبلة مُوَحِّدًا يُصلّى عليه ويُستغفر له، ولا يُحجب عنه الاستغفار، ولا تـترك الصـلاة عليه لـذنب أذنبه صـغيرًا كـان أو كبـيرًا، وأمـرُهُ إلى اللـه"، وفي زيـادة رواها عنه ابن عـوف الطائي: "إلا أن يكون من أهل البدع الذين أخرجهم النـبي من الإسـلام: (القدرية والمرجئـة، والرافضـة، والجهميـة) - وذكر بعضـهم كالبربهـاري (الخـوارج) بـدل (الجهمية) – قال أحمد: (لا تصلوا معهم، ولا تصلوا عليهم)"إ.هـ

وقال فيما رواه عنه الـربعي: "أجمع تسـعون رجلا من التـابعين وأئمة المسـلمين وأئمة السلف وفقهاء الأمصار، على أن السنة التي تـوفي عليها رسـول الله "، وجعل يُعدّدها ويذكر منها: "والجهادُ مع كل خليفة برٍّ وفـاجر.. والصـبرُ تحت لـواء السلطان على ما كان منه من عدل أو جور، ولا نخرج على الأمراء بالسـيف وإن جاروا، وأن لا نكفر أحدًا من أهل التوحيد وإن عملوا الكبـائر".. وعبارته من رواية الأَنْـدَرَابي: "صـفة المـؤمن من أهل السـنة والجماعـة، ألا يكفِّر أحـدًا من أهل التوحيد بذنب.. والإيمان بأن الموحدين يخرجون من النار بعدما امتحشوا - يعـني: حُرِّقوا - كما جاءت الأحـاديث"، ثم ذكر من صـفاته: مَن شـهد وأقر بـأن "الجهـاد ماض منذ بعث الله محمـدًا إلى آخر عصـابة يقـاتلون الـدجال، لا يضـرهم جـور جائر.. والدعاء لأئمة المسـلمين بالصـلاح ولا تَخـرج عليهم بسـيفك، ولا تُقاتل في فتنة والزم بيتك"، إلى أن قال: "هذا ما أجمع عليه العلماء في جميع الآفاق"إ.هـ

كما جـاء في عقيـدة أحمد من رواية الزَّرَنْـدِي، أنه لما أشـكل على مسـدد أمر الفتنة كَتَب إلى أحمد أن أكتب إليَّ سُنّة رسـول الله ، فكتب إليه يوصـيه فيما

﴿**ولا ينظر إليهم يـوم القيامة**﴾ [آل عمـران :77].. أو يكـون عنى: نظر الرؤية.

فلا يجوز أن يكون الله عز وجل عـنى: نظر التفكـير والاعتبـار؛ لأن الآخرة ليست بدار اعتبار.

ولا يجوز أن يكـون عـنى: نظر الانتظـار؛ لأن النظر إذا ذُكر مع ذكر الوجه فمعناه: نظر العينين اللتين في الوجه.. كما إذا ذكر أهل اللسـان نظر القلب فقـالوا: (انظر في هـذا الأمر بقلبـك) لم يكن

يوصيه بـ"الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، وألا يخـرج عليهم بسـيفه ولا يقاتل في الفتنة، وبالخروج مع كل إمام في غزوة وحجَّة، والصلاة خلف كل بر وفاجر صلاة الجمعة والعيدين".. وكان مما أوصاه به: "ألا يتـألى على أحد من المسـلمين بـأن يقــول: (فلان في الجنة وفلان في النــار)، إلا العشــرة الــذين شــهد لهم النــبي بالجنـة.. ولا نكـاح إلا بـولي وخـاطب وشـاهدي عـدْلٍ" إلى آخر ما ورد عنه رحمه الله.

وأورد الإمام أحمد - ضمن ما قاله أصحاب الأثر وأهل السنة وأجمعـوا عليـه-: أن "الخلافة - الإمامة العظمى قبل وبعد شغور الزمان منها - في قريش ما بقي من النـاس اثنـان، ليس لأحد من النـاس أن ينـازعهم فيهـا، ولا يَخـرج عليهم، ولا تُقر لغيرهم بها إلى قيـام السـاعة، وأن الجهـاد مـاض قـائم مع الأئمة - في الولايـات الصغرى التي لا يشترط لها القرشية والكبرى من باب أولى - بـرُّوا أو فجـروا، لا يبطله جور جائر ولا عـدل عـادل، وأن الجمعة والعيـدان والحج مع السـلطان وإن لم يكونوا بررة ولا أتقيـاء ولا عـدولًا، ودفع الصـدقات والخـراج والأعشـار والفيء والغنائم إلى الأمراء عدلوا فيها أم جاروا"إ.هـ.

ولا يعني كلام إمـام أهل السـنة هنا عن الخلافة وقد وافقه فيه (القاضي عيـاض) وغـيره من أئمة أهل السـنة؛ سـوى: أن هـذا الأمر أمر عقـدي، الحق فيه واحد لا يتعـدد، ولا يجـوز فيه الخلاف، وأن القـول بجـواز جعلها في غـير قـريش ميل عن طريق السـنة واتبـاع لمـذهب الخـوارج.. كما نلحظ أنه كثـيرًا ما يرسخ لمصـدر التلقي لدى جماعة أهل السنة فيذكر فيما يذكر:

أن "الدين إنما هو كتـابُ الله وآثـارٌ وسـننٌ وروايـاتٌ صـحاح عن الثقـات بالأخبـار الصـحيحة القوية المعروفـة، يُصـدِّق بعضُـها بعضًـا حـتى ينتهي ذلك إلى الرسـول وأصحابه والتـابعين وتـابع التـابعين، ومن بعـدهم من الأئمة المعـروفين المقتـدَى بهم، المتمســكين بالســنة والمعلَّقين بالآثــار، لا يعرفــون بدعة ولا يُطعن فيهم بكذب، ولا يُرْمَون بخلاف.. وهذه المذاهب والأقاويل الـتي وَصَـفْتُ: مـذاهب أهل السنة والجماعة والآثار وأصحاب الروايات وحملة العلم، الـذين أدركنـاهم وأخـذنا عنهم الحديث، وتعلمنا منهم السنن، وكانوا أئمة معـروفين ثقـات أصـحاب صـدق يُقتدى بهم ويؤخذ عنهم، ولم يكونوا أصحاب بدعة ولا خلاف ولا تخليط، وهو قول أئمتهم الذين كانوا قبلهم، فتمسكوا بذلك رحمكم الله وتعلموه".

هــذا، وقد طفق أحمد رحمه الله يعــذر إلى اللــه، ويــذكر المبتدعة بصــفاتهم وسماتهم، فذكر المرجئة وأنهم "الـذين يزعمـون أن الإيمـان قـولٌ بلا عمـل، وأن الإيمان قول والأعمـال شـرائع، وأن من آمن بلسـانه ولم يعمل فهو مـؤمن حقًـا، وهو أخبثُ الأقـوال وأضـلُّها وأبعـدُها من الهـدى"، وذكر الجهميـة: وأنهم "الـذين

معناه: نظر العينين، وكذلك إذا ذكر النظر مع الوجه لم يكن معناه: نظر الانتظار؛ الذي يكون للقلب.

وأيضًا فإن نظر الانتظار لا يكـون في الجنـة؛ لأن الإنتظـار معه تنغيص وتكدير، وأهل الجنة لهم في الجنة (ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت)[1] من العيش السليم والنعيم المقيم.. وإذا كان هذا هكـذا لم يجز أن يكونوا منتظرين؛ لأنهم كلما خطر ببـالهم شـيء أتـوا به مع خطوره ببالهم.

وإذا كان ذلك كذلك فلا يجـوز أن يكـون الله عز وجل أراد نظر التعطف؛ لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على خالقهم.

يزعمـون أن القـرآن مخلـوق، وأن الله لم يكلم موسـى، وأن الله ليس بمتكلم"، وهو ما لا يـزال البعض ممن يَحسب نفسه من أهل السـنة يـؤمن بـه.. كما ذكـر: الرافضة والنُصَيريّة والزيدية، ثم الخوارج الـذين جعل يصـفهم بـأنهم مَن "مَرَقُـوا من الدين، وفارقوا الملة، وشَردوا عن الإسلام، وشذُّوا عن الجماعة، فضـلوا عن السبيل والهدى، وخرجوا على السـلطان، وسـلُّوا السـيف على الأمـة، واسـتحلوا دماءهم وأموالهم، وعادوا من خالفهم إلا من قـال بقـولهم.. ولا يـرون للسـلطان عليهم طاعة، ولا لقريش عليهم خلافة".

كل هذا يفوه به إمام أهل السـنة على الـرغم مما تعـرض له من تعـذيب على يد مخالفيه من الخلفاء وأعوانهم، كونهم من أهل السنة ولم يأتوا كفرًا بواحًــا، وإنما راج عليهم قـول المعتزلة والأشـعرية، بـدليل كلامه الشـديد الـذي مـرَّ بنا بحق الخوارج.

5-ومن غــير فقهــاء المــذاهب، كــذلك كــان الصــحابة ومن تبعهم بإحسان، ونذكر من أقوالهم:

قول عبد الله ابن عمر – وكان يرى الخـوارج ومن نهج نهجهم شـرار خلق الله –: وأنهم "انطلقوا إلى آيـات نـزلت في الكفـار فجعلوها على المؤمـنين"، وفي هـذا يقــول أبو أيــوب السـختياني: "إن الخــوارج اختلفــوا في الاسم واجتمعــوا على السيف"، ويقول ابن حـزم في الملـل: "يلحق بـالخوارج مَن شـاركهم في آرائهم في كل زمان".

وقول أنس بن مالك فيما صح عنه، قال: "نهانا كبراؤنا من أصحاب رسـول اللـه، قالوا: لا تسبوا أمراءكم ولا تَغُشُّوهم ولا تبغضوهم، واتقوا الله واصبروا فإن الأمر قريب".. هذا بحق أمراء الجـور، فما بالك بمن ليسـوا كـذلك؟!.. بل ما بالك بمن يتـآمرون عليه من الخــوارج والقعد ولا يكفــون عن النيل منهم وســبهم والطعن فيهم ليل نهار؟!.

كما نذكر من أقوال غير فقهـاء المـذاهب: قـول سـفيان الثـوري ت161- ناصـحًا شعيبًا بن حرب فيما ينفعه الله به ويكون سببًا في نجاته، ومِن وراء شـعيب: كـلَّ مَن يصلح له الخطاب-: "يا شعيب؛ لا ينفعك ما كتبتَ حتى ترى: الصلاةَ خلف كل برٍّ وفاجر، والجهادَ ماض إلى يوم القيامـة، والصـبرَ تحت لـواء السـلطان جـار أم عــدل".. إلى أن ختم كلامه قــائلًا في ثقة تامة لا يتطــرق إليها أدنى شــك: "يا شـعيب: إذا وقفتَ بين يـدي الله فسَـألكَ عن هـذا، فقـل: يا رب، حـدثني بهـذا سفيان الثوري، ثم خلِّ بيني وبين ربي"إ.هـ من (جمهـرة عقائد أئمة السـلف) ص 153.




وإذا فسـدت الأقسـام الثلاثة صح القسم الرابع من أقسـام النظر، وهو: أن معنى قوله: **إلى ربها نـاظرة** [القيامة :23]: أنها رائية ترى ربها عز وجل.

ومما يبطل قول المعتزلة: أن الله عز وجـل أراد بقولـه: إلى ربها ناظرة: نظر الانتظـار، أنـه قـال: إلى ربهـا نـاظرة، ونظـرُ الانتظار لا يكون مقرونا بقوله: (إلى)؛ لأنه لا يجوز عنـد العـرب أن يقولوا في نظر الانتظار (إلى)، ألا ترى أن الله تعالى لما قال: ما ينظـرون إلا صـيحة واحـدة [يس :49] لم يقـل: (إلى)؛ إذ كـان

وقـول ابن المبـارك ت181: "أدركتُ النـاس بمكة والمدينة والكوفة والبصـرة وبمصر وخراسـان، مجتمعين على السـنة والجماعـة"، وذكر مما اجتمعـوا عليـه: "صلاة العيدين وعرفات والجماعات مع كل برٍّ أو فاجر".. وقـول بشر الحـافي ت 227، ضـمن وصـيته لمن أراد أن يقف على أصـول الإيمـان: "والـدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا يَخرج عليهم بالسيف، ولا تقاتل في الفتنة، وتلزم بيتك".
وقـول شـيخ البخـاري علي ابن المـديني ت234 فيما أدركه من جماعة السـلف: "السـنة اللازمة الـتي من تـرك منها خصـلة لم يقلها أو يـؤمن بهـا، لم يكن من أهلها"، وذكر منهـا: "لا يحل لأحد يـؤمن بالله واليـوم الآخر أن يـبيت ليلة إلا عليه إمام: برًّا كان أو فاجرًا، فهو أمير المؤمـنين.. والغـزو مع الأمـراء مـاضٍ إلى يـوم القيامة البرُّ والفاجر، لا يُترك.. ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينـازعهم.. ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن عمل ذلك فهو مبتـدع على غير السنة.. ويَحِلُّ قتال الخوارج واللصوص إذا عرضوا للرجل في نفسه وماله أو ما دون نفسه، وله أن يقاتل عن نفسه وماله حتى يدفع عنهما في مقامـه، وليس له إذا فـارقوه أو تركـوه أن يطلبهم ولا يتّبع آثـارهم وقد سَـلِم منهم، ذلك إلى الأئمة، وينوي بجُهـادِهِ أن لا يَقتل أحـدًا، فـإن أُتِىَ - أي: قُتِـل- على يـده في دفعه عن نفسه في المعركة، فأبعد الله المقتول- يعني: أهلكه، لأحاديث: (طـوبى لمن قتلهم وقتلـوه) (لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قتل عـاد) (قتـالهم حق على كل مسـلم).. إلخ- وإن قُتل هو في ذلك الحـال وهو يـدفع عن نفسه وماله رجونا له الشـهادة كما في الأثر، وجميع الآثار إنما أُمِر بقتاله ولم يُؤمر بقتله".
ولا غـرو فـإنهم على حـدٍّ قـول أبي أمامة رضي الله عنه: (شر قتلى تحت أديم السماء، وخير قتيل من قتلوه) وقد حسنه الألبـاني في ظلال الجنة (906).. وهم مَن صدق فيهم قول ابن تيمية في مجموع الفتاوى 28/ 512: "قد استفاض عن النبي الأحاديث بقتـال الخـوارج، وهي متـواترة عند أهل العلم بالحـديث، واتفق على قتالهم سلف الأمة وأئمتها ولم يتنازعوا في قتالهم".
ويلاحظ في كلام ابن المديني وعموم السلف، كيف فرقوا بين صـاحب المعصـية وكيف رجوا له عفو الله وفوضـوا أمـره إليه تعـالى.. وبين أصـحاب البدعة وعلى رأسهم الخوارج وقُعَدِهم المغيَّبين والمخرِّبين لعقول المسلمين وديارهم، والـذين جعل أحمد يصـفهم بـأنهم مَن "مَرَقُـوا من الـدين، وفـارقوا الملـة، وشَـردوا عن الإسـلام، وشـذُّوا عن الجماعـة، فضـلوا عن السـبيل والهـدى، وخرجـوا على السلطان، وسلَّوا السـيف على الأمـة، واسـتحلوا دمـاءهم وأمـوالهم، وعـادوا من خـــالفهم إلا من قـــال بقـــولهم وكـــان على مثل رأيهم وثبت معهم في بيت ضلالتهم"؟!. كما يلاحظ كيف ساق - وغيره كمالك والبربهـاري- حكم الشـرع في

معنـاه الانتظار.. وقـال ﷻ مخـبرًا عن بلقيس: ﴿فنـاظرة بم يرجـع المرسـلون﴾ [النمـل :35]، فلمـا أرادت الانتظـار لم تقـل: (إلى).. **وقال امرؤ القيس:**

فإنكما إن تنظـراني سـاعة جنـــــــــــــــــدب[1]

فلما أراد الانتظار لم يقل (إلى)، فلما قال - سـبحانه -: ﴿**إلى ربها ناظرة**﴾ [القيامة :23]، علمنا أنه لم يرد الانتظار، وإنما أراد نظر الرؤية.

أولئك الخـارجين وفي أمثـالهم مِن أهل البـدع الـذين منهم تشـعبت الثنـتين والسـبعين فرقة وهم: (القدريـة، والمرجئـة، والرافضـة، والخـوارج)، وقـال ﷺ :(لا تصلوا معهم، ولا تصلوا عليهم)، وأخـبر أن ميتَتَهم ميتـةٌ جاهليـة، وأنهم كلاب أهل النار، ويمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، وأنهم دعاة على أبواب جهنم من أجـابهم إليها قـذفوه فيهـا؟!.. لتُـدرك بنفسك مـدى الفـرق بين عصـاة أهل السنة، وأصحاب البدعة.

كما يذكر قتيبة بن سعيد ت240: ضمن (قـول الأئمة المـأخوذ عنهم في الإِسـلام والسـنة): "والأخذ بما أمر الله والنهي عما نهى عنـه، وإخلاص النية للـه، وتـرك المراء والجـدال والخصـومات في الـدين.. وألا نَخْـرَج على الأمـراء بالسـيف وإن جاروا، ونتبرأ من كل من يرى السيف في المسلمين كائنًا من كـان"، إلى آخر ما نص عليه.

ومن أقوال أئمة الهـدى في رد ما عليه التكفـيريون وسـافكو الـدماء المعصـومة، ومن ينابذون حكام المسـلمين وينـازعونهم الأمر أهلـه: قـول الإمـام البخـاري ت 256 فيما أجمع عليه علمـاء عصـره: "ولم يكونـوا يُكَفِّرون أحـدًا من أهل القِبلـةِ بالـذَّنب، لقولـه:﴿**إن الله لا يغفر أن يشـرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ [النساء :48، 116].. وكانوا يَنهون عن البِدَع.. ويحثُّون على ما كان عليهِ ﷺ وأتباعُـه.. وأن لا نُنـازعَ الأمـرَ أهلـهُ، لقولِه ﷺ :(ثَلاثٌ لا يُغَـلُّ عليهنَّ قَلْبُ امـرئ مُسلِمٍ: إخلاصُ العمـلِ للـه، وطاعـةُ وُلاةِ الأمـرِ، ولـزومُ جمـاعَتِهِم).. وأن لا يَـرَى السّيفَ على أمة محمد، قال الفُضيل: (لو كانت لي دعوةٌ مسـتجابةٌ لم أجعَلْها إلا في إمـامٍ)، لأنه إذا صَـلَح الإمـام أَمِنَ البلادُ والعِبـاد، قـال ابنُ الـمُبارك: (يا مُعَلِمَ الخيرِ مَنْ يجترئُ على هـذا غـيرُك؟)".. يعـني: كـون ذلك قد جـاء منه في وقت -كزمانـنـا- عُمِّيَتْ فيه السـنة وعظم فيه الخطب، ونـودي بـالخروج على حكـام المسلمين مِن نحو: المعتصم والواثـق، على إثرِ ظلمهم وانحيـازهم للقـول بخلق القـرآن تـأوُّلًا، وارتفع فيه صـوت الـدهماء وعـزَّ فيه قولة الحـق.. ذلك أن حكـام المسلمين حينذاك وإن انطلى عليهم مقولة المعتزلـة: ممن كـانوا أهل سـنة ولم يكونوا من دعاة أبـواب جهنم.. وكـون مواجهة هـؤلاء الحكـام وغـيرهم من حكـام المسلمين الجورة ليس بالأمر الهين، بل قد يكلف المرءَ حياته، فضلًا عن مخالفة ذلك لما يقارب المائة من صريح الأحاديث.

وكان رحمه الله قد عنون في صحيحه بـ (كتـاب الأحكـام) الجـزء 13/ـ 119 وما بعدها من فتح الباري، لأبواب في: (قول الله تعالى: ﴿ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﴾، (السـمع والطاعة للإمـام ما لم تكن معصـية)، (من لم يسـأل الإمـارة أعانه اللهِ عليها ومن سألها وُكِلَ إليها)، (ما يُكره من الحـرص على الإمـارة)، وذكر في كـلٍّ

ثم إنه لما قــرن الله عز وجل النظر بــذكر الوجــه؛ أراد: نظر العينين اللتين في الوجه، كما قال:﴿**قد نــرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها**﴾ [البقرة :144]، فذكر الوجه، وإنما أراد: تقلب عينيه نحو السماء ينظر نزول الملك عليه بصـرف الله تعالى له عن قبلة بيت المقدس إلى القبلة.

فإن قيل: لم قلتم: إن قوله تعالى: ﴿**إلى ربها نـاظرة**﴾ إنما أراد: إلى ثــواب ربها نــاظرة؟.. قيل له: ثــواب الله غــيره، والله سـبحانه وتعـالى قـال: ﴿**إلى ربها ناظرة**﴾ ولم يقـل: إلى غـيره

منها من النصوص ما لا مزيد عليه.. كما بوّب لـ (كيف يبايع الإمـام النـاس)، وذكر فيه خـبر عبد الله بن عمـر، وقد اجتمع النـاس على عبد الملك بن مـروان فكتب ابن عمـر: (إني أقـرُّ بالسـمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمـير المؤمـنين على سنة الله وسنة رسوله ما اسـتطعت، وإن بَنِيّ قد أقـروا بمثل ذلـك.. والسـلام).. وذلك بعد أن "سار عبد الملك إلى مصـعب فقاتله حـتى قتله ومَلَك العـراق كلـه، ولم يبق مع أخيه عبد الله بن الزبــير إلا الحجــاز واليمن، فجهّز له عبد الملـــك: الحَجّاج بن يوسف الثقفي، فحاصره سنة اثنتين وسبعين إلى أن قُتل عبد الله بن الزبير، وكان ابن عمر قد امتنع أن يبـايع أحـدًا حـتى انتظم الملك كله لعبد الملك فبايع له حينئذ"إ.هـ ملخصًا من الفتح 13/ 206، 207.

وفيه: بيان أنه على الرغم مما أحدثه واقترفه عبد الملك، وما اشتُهر عن الحجّـاج قائد جنده من الجرأة على الدماء، وعدم احترامه لأعلام الأمة وإلحاقه الأذى بهم، وقتله ابن الزبير وكثيرًا من الأخيار منهم التابعي الجليل سعيد بن جبير تلميــذ ابن عباس، وحصـاره لمكة عـدة شـهور لتضـييق الخنـاق على ابن الزبـير ومن معـه، ورميه الكعبة بالمجـانيق على ما قيـل، وإذلاله لأهل الحـرمين، إلا أن ابن عمر لم يعتبرهما من دعــاة أبــواب جهنم خــوارج وكلاب أهل النــار، ودان لهما بالســمع والطاعة عقب الغلبـة، وكـان يصـلي خلفهمـا.. فما بـال من كـان دون أولئك في زماننا من حكام المسلمين، يَخرج عليهم أتباع كل ناعق ممن يميلـون مع كل ريح ولم يستضيئوا بنور العلم ولم يُحسـنوا إدارة ما تحت أيـديهم، ثم جعلـوا ينـازعون الأمر أهله في كل بلاد المسلمين؟.

ومن أقــوالهم أيضًـا: قـول الإمـام الـذهلي ت258: "السـنة عنـدنا: الإيمـان قو وعمل.. وأن نسمع ونطيع لولاة الأمر.. ولا نـرى شـقَّ العصـا، مع النصح للجماعة في السر والعلن.. وأن الجهـــاد - يعـــني: مع ولاة أمورنا الـــذين يعـــدهم بعض المتسلفة مجرد موظفين كعاملي النظافة مثلًا - ماض من يوم بعث الله نبيه ’، لا يضره جور جائر ولا ينفعه عدل عادل حتى تقوم الساعة".

وقول الرازيين: أبي زُرعة سيد الحفـاظ ت264، وأبي حـاتم شـيخ المحـدثين ت 277، وذلك فيما رواه بسنده عنهما اللالكائي في (شرح أصـول السـنة): "قـالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار - حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا- فكان من مذهبهم: أن نقيم فرض الجهاد والحج مع أئمة المسلمين في كل دهر وزمان - تأمـل: (في كل دهر وزمـان) - ولا نـرى الخـروج على الأئمـة، ولا القتـال في الفتنـة، ونسـمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنـا، ولا نـنزع يـدًا من طاعـة، ونَتّبـعُ السـنة والجماعـة، ونجتنبُ الشذوذ والخلاف والفُرقة، وأن الجهـاد مـاض مذ بعث الله نبيه إلى قيـام الساعة مع أولي الأمر من أئمة المسـلمين، لا يُبطله شـيء.. والخـوارج مُـرَّاقٌ"،

نـــاظرة.. والقـــرآن العزيز على ظـــاهره، وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا بحجة، وإلا فهو على ظاهره.. ألا ترى أن الله ¸ لما قال: (صلوا لي واعبدوني)، لم يجز أن يقول قائل: إنه أراد غيره، ويزيل الكلام عن ظاهره؛ فلذلك لما قـال: **إلى ربها نـاظرة** لم يجز لنا أن نزيل القرآن عن ظاهره بغير حجة.

ثم يقال للمعتزلة: إن جاز لكم أن تزعموا أن قول الله تعـالى: **إلى ربها ناظرة**، إنما أراد بـه: أنها إلى غـيره نـاظرة، فلمَ لا جاز لغـيركم أن يقـول: إن قـول الله سـبحانه وتعـالى: **لا تدركه**

يعني: للحديث الوارد في ذلك.. وفيه ما يؤكد عدم جواز توليهم أمـور المسـلمين كما يحاولون في زماننا سعيًا لإقامة خلافة ودولة الخوارج، وإن أخفوا ذلك وفعلوا الأفاعيل وأظهروا خلاف ما يبطنونه.

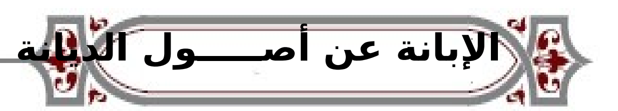
هذا، وقد انفرد أبو حاتم بالتأكيد على تـرك الكتب المبتنـاة على غـير أثـر، وعـدم الخـروج على الأئمة ولا القتـال في الفتنـة، فقـال فيما رواه اللالكـائي: "مـذهبنا واختيارنا اتباع رسول الله وأصحابه والتابعين ومن بعـدهم بإحسـان، وتـرك النظر في موضع بدعهم، والتمسك بمذهب أهل الأثر.. ولـزوم الكتـاب والسـنة، والـذب عن الأئمة المتبعة لآثار السلف.. وترك مجالسة مَن وَضع الكتب بـالرأي بلا آثـار.. ولا نرى الخـروج على الأئمـة، ولا نقاتل في الفتنـة، ونسـمع ونطيع لمن ولّى الله أمرنا، ونرى الصلاة والحج والجهاد مع الأئمة، ودفع الصدقات إليهم"إ.هـ.

ومن أقـوالهم كـذلك قـول حـرب بن إسـماعيل الكرمـاني ت280 في مسـائله المشهورة، قال: "هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بهـا، والمقتـدى بهم فيها من لـدن أصـحاب النـبي إلى يومنا هـذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خـالف شـيئًا من هـذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها، فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسـبيل الحـق"، قـال: "وهو مـذهب أحمد وإسـحاق بن إبـراهيم وعبد الله بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغـيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم، وكان من قولهم:.

الانقياد لمن ولاه الله أمركم، لا تنزع يدًا من طاعته، ولا تخرج عليه بسـيف حـتى يجعل الله لك فرجًا ومخرجًا، ولا تخـرج على السـلطان، وتسـمع وتطيع ولا تنكث بيعتـه، فمن فعل ذلك فهو مبتـدع مخـالف مفـارق للسـنة والجماعـة، وإن أمـرك السـلطان بـأمر فيه لله معصـية فليس لك أن تطيعه البتة وليس لك أن تخـرج عليه، ولا تمنعه حقه"إ.هـ.

وقـول ابن أبي زيد القـيرواني ت310 والمعـروف بــ (مالك الصـغير)، وذلك في مقدمة رسالته المشهورة في مـذهب مالـك، فقد أوضح أن من مذهبـه: "السـمع والطاعة لأئمة المسـلمين وكل من ولي أمر المسـلمين عن رضًـا أو عن غلبة واشتدت وطأته من بَرٍّ أو فاجر، فلا يُخرَج عليه، جار أو عـدل".. وأنه أفـتى بعـدم قبول شهادة من كان على بدعةِ الخوارج وغـيرهم، ولا تـوليتهم إمامة المسـلمين في الصلاة ولا في الثغـور، ولا حـتى مكـالمتهم، كما سـاق القـيرواني في ذلك ما سبق أن نقلناه عن القاضي عياض بهذا الصدد، فليراجع.

ومن ذلك ومن غير ما جاء في (إبانته): قول إمام المذهب أبي الحسن الأشـعري ت324 في (رسالته إلى أهل الثغر) ص296 في الإجماع الـ 45، قال: "وأجمعوا

الأبصار [الأنعام :103] أراد بها: لا تـدرك غـيره، ولم يـرد أنها لا تدركه؟ وهذا مما لا يقدرون على الفَرق فيه[1].

دليل آخر: ومما يدل على أن الله تعالى يُـرى بالأبصـار قـول موسى عليه السلام: **رب أرني أنظر إليك** [الأعراف :143]، ولا يجوز أن يكون موسى -صلوات الله عليه وسلامه - وقد ألبسه الله جلباب النبيين، وعصمه بما عصم به المرسلين - قد سأل ربه

على السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وعلى أن كل من ولي شيئًا من أمـورهم عن رِضًا أو غلبة وامتدت طاعته من بر وفـاجر، لا يلـزم الخـروج عليهم بالسـيف جَارَ أو عَدَل، وعلى أن يغزوا معهم العـدو".. وقد جـاء سـوقه إجمـاع أهل السـنة والجماعة هنا ردًا على ما جنحت إليه فرق المعتزلة والخوارج، ذلك أن من أصول المعتزلة الخمسة: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر) ومن أقـوالهم وأفعـالهم يظهر أنهم إنما أرادوا بذلك الخروج على الأئمة وقتالهم.. وكذا قوله في (مقـالات الإسـلاميين) ص278، 295 عن جملة قـول أصـحاب الحـديث وأهل السـنة من أنهم: "يرون العيد والجمعة خلف كل بر وفاجر.. ويـرون الـدعاء لأئمة المسـلمين بالصلاح، وأن لا يخرجوا عليهم بالسيف، وأن لا يقاتلوا في الفتنة".
إلى أن قال: "فهذه جملة ما يـأمرون به ويسـتعملونه ويرونـه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله"إ.هـ.
وكـذا ص451 وفيها عن أهل السـنة وأصـحاب الحـديث: "إن الإمـام - أي إمـام محسوب على أهل السـنة - قد يكـون عـادلًا ويكـون غـير عـادل، وليس لنا إزالته وإن كان فاسقًا، وأنكروا الخروج على السلطان، ولم يـروه، وهـذا قـول أصـحاب الحديث".
ومن ذلك أيضًا: قول البربهـاري ت329 في (شـرح السـنة) ص13: "لا يحل لأحد أن يبيت ليلة ولا يرى أن عليه إمامًا، برًا كان أو فاجرًا.. والخلافة في قـريش إلى أن ينزل عيسى عليه السلام، ومن خرج على إمـام من أئمة المسـلمين - لاحـظ: وليس من أئمة الخـوارج ممن اختُلف في كفـرهم واسـتحلوا الـدماء المعصـومة ومرقوا من الدين ولا يجوز توليتهم أصلًا ولا ابتـداءً ولا اختيـارًا - فهو خـارجي، قد شق عصا المسلمين وخالف الآثار، ومِيتته مِيتةٌ جاهلية.
ولا يحل قتـال السـلطان ولا الخـروج عليه وإن جـار، وذلك لقوله ﷺ : (اصـبر، وإن كان عبدًا حبشيًا)، وقوله للأنصار: (اصبروا حتى تَلْقَوني على الحوض)، وليس في السنة قتال السلطان، فإن فيه فساد الدنيا والدين.. وإذا رأيت الرجل يـدعو على السلطان فاعلم أنه صـاحب هـوى وإذا سـمعت الرجل يـدعو للسـلطان بالصـلاح فاعلم إنه صاحب سنة.. وإذا رأيت الرجل يجلس مع أهل الأهواء فاحذِّره وعرّفه، فـإن جلس معه بعــدما علم فاتَّقــه، فإنه صــاحب هــوى**.. وإذا ظهر لك مِن إنسـان شـيء من البـدع فاحـذره، فـان الـذي أخفى عنك أكـثر مما أظهر**".. يقـول الشيخ صالح الفـوزان في شـرح ذلـك: "والخـوارج، هم: الـذين يخرجون على الأئمة - أئمة المسلمين- بالسيف، ويشـقون عصا الطاعـة، وأيضًـا: الذين يكفرون المسلم بالكبـائر الـتي دون الشـرك، هـؤلاء هم الخـوارج، وسُـمُّوا بـــذلك لأنه خرجـــوا عن المشـــروع، وخرجـــوا على ولي الأمر وشـــقوا عصا




ما يستحيل عليه، فإذا لم يجز ذلك على موسى علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلًا، وأن الرؤية جائزة على ربنا تعالى[1].

ولو كـــــانت الرؤية مســــــتحيلة على ربنا تعـــــالى كما زعمت المعتزلـة، ولم يَعْلَم ذلك موسى وعلمـوه هم لكـانوا على قـولهم أعلم بالله من موسى، وهذا مما لا يدعيه مسلم.

فإن قال قائل: ألستم تعلمون حكم الله في الظهار اليوم، ولم يكن نـبي الله يعلم ذلك قبل أن يـنزل؟؛ **قيل لـه:** لم يكن نـبي الله يعلم ذلك قبل أن يُلزم الله العباد حكم الظهار، فلما ألـزمهم

الطاعة"إ.هـ.

وقول الآجري 360 في كتابه (الشريعة) ص40 وتحت عنـوان: (بـاب في السـمع والطاعة لمن ولي أمر المســـلمين والصــبر عليهم)، فقد جعل يســوق في ذلك جملة من الأحـاديث، وقبلها طفق يتكلم عن الخــوارج ويختم كلامه فيهم بقولـه: "قد ذكـرتُ من التحـذير من مـذاهب الخـوارج ما فيه بلاغ لمن عصـمه الله عن مذهب الخوارج ولم ير رأيهم، وصـبر على جـور الأئمة وحَيْف الأمـراء ولم يخـرج عليهم بسـيفه، وســأل الله كشف الظلم عنهم وعن المسـلمين، ودعا للــولاة بالصلاح وجاهد معهم كلَّ عدو للمسلمين، فإن أمروا بطاعة فأمكنه أطاعهم، وإن لم يمكنه اعتذر إليهم، وإن أمروا بمعصية لم يطعهم، وإذا دارت الفتنة بينهم لـزم بيته وكف لسـانه ويـده ولم يهـوَ ما هم فيه ولم يُعِن على فتنـة، فمن كـان هـذا وصفه: كان على الطريق المستقيم"إ.هـ.

وفيه أن الصـبر على ولاة الأمر وإن جـاروا ومعـاداة الخـارجين عليهم، هـو: أمر الرسول ‘، وأن جَوْر الحكام والخـروج عليهم أمـرٌ وارد ومقـدور، والـواجب حيـال ذلك، هو: ما أمر به النـبي بالصـبر مهما بلغ فسـادهم، وعـدم التأسي بهـذا الـذي أساء الأدب بحق نبيه فعصاه، مع ما هو معلوم بالبداهة مدى غيرته ‘ على محـارم الله.. اللهم إلا إذا خرجوا من دائرة الإسلام خروجًا واضحًا بينًا لا شبهة فيــه.. وأن هذا هو منهج أئمة السنّة من بعده بأبي هو وأمي.

وتحت عنـوان: (ذم الخـوارج وسـوء مـذهبهم وإباحة قتـالهم وثـواب من قتلهم أو قتلوه)، يقول الآجري في الشريعة ص27: "لم يختلف العلمـاء قـديمًا وحـديثًا أنَّ الخوارج قوم سوء، عصاة لله تعالى ولرسوله، وإن صـلوا وصـاموا واجتهـدوا في العبـادة فليس ذلك بنـافع لهم، وإن أظهـروا الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر فليس ذلك بنافع لهم، لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهـوون، ويموهـون على المسلمين، وقد حذرنا الله منهم، وحذرنا النـبي ‘، وحـذرناهم الخلفـاء الراشـدون بعده، وحذرناهم الصحابة ومن تبعهم بإحسان".

ويقـــول مســـتطردًا وفي عبـــارات نحن في أمس الحاجة لإعمالها وأخـــذها بعين الاعتبار: "والخوارج هم الشراة الأنجـاس الأرجـاس، ومن كـان على مـذهبهم من سائر الخوارج يتوارثون هذا المذهب قديمًا وحديثًا، ويخرجون على الأئمة والأمراء ويستحلون قتل المسلمين، وأول قرن طلع منهم على عهد رسول الله، هو: رجل طعن على النـبي وهو يقسِّـم الغنـائم بالجعرانـة.. وأخـبر : أن هـذا وأصحابًا له يُحقِّر أحـدكم صـلاته مع صـلاتهم، وصـيامه مع صـيامهم، يمرقـون في الـدين كما يمرق السهم من الرمية، وأمر في غير حديث بقتالهم، وبيّن فضل من قتلهم أو قتلــوه.. ثم إنهم بعد ذلك خرجــوا من بلــدان شــتى، واجتمعــوا وأظهــروا الأمر

الحكم به أعلم نبيه قَبْلهم، ثم أعلم نبي الله عباد الله ذلك، ولم يـــأت عليه وقت لزمه حكمه فلم يعلم ، وأنتم زعمتم أن موسى عليه الســلام كــان قد لزمه أن يعلم حكم الرؤية وأنها مسـتحيلة عليـــه، وإذا لم يعلم ذلك وقت لزمه علمه وعلمتمـــــوه أنتم الآن لزمكم بجهلكم أنكم - بما لــزمكم العلم به الآن - أعلم من موسى عليه السلام-+ بما لزمه العلم به، وهذا خروج عن دين المسلمين.

ودليل آخر: يدل على جواز رؤية الله تعالى بالأبصار، وهو قوله تعـالى لموسى عليه السـلام: **فـإن اسـتقر مكانه فسـوف**

بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى قدموا المدينة، فقتلوا عثمان.. ثم خرجوا بعد ذلك على أمير المؤمـنين علي ولم يرضـوا بحكمـه، وأظهـروا قـولهم، وقـالوا: (لا حُكم إلا لله)، فقـال ¢: (كلمة حق أرادوا بها الباطـل)، فقـاتلهم علي فأكرمه الله بقتلهم، وأخـبر عن النـبي بفضل من قتلهم أو قتلـوه، وقاتل معه الصـحابة فصـار سيف علي بن أبي طالب في الخوارج سيف حق إلى أن تقوم الساعة"إ.هـ.

وممن نقل إجماع أئمة السلف في طاعة حكام المسـلمين: أبو بكر الإسـماعيلي ت371 في كتابه (اعتقاد أهل السنة)، قال: "اعلموا أن مذهب أهل الحـديث أهل السـنة والجماعة أنهم يـرون جهـاد الكفـار مع أئمتهم وإن كـانوا جـورة، ويـرون الدعاء لهم بالصلاح والعطف إلى العدل، ولا يرون الخروج بالسيف عليهم"إ.هـ

وابن بطة العكـبري ت387، وذلك في (الشـرح والإبانـة) المعـروف بــ (الإبانة الصغرى) ص191، 303، قال: "ونحن الآن ذاكرون شرح السـنة ووصـفها - وما الذي إذا تمسك به العبد ودان الله به سمي بها واستحق الدخول في جملة أهلها، وما إن خالفه أو شـيئًا منه دخل في جملة من عِبْنـاه وحَـذَّرنا منه من أهل البـدع والزيغ – مما أجمع عليه أهل الإسـلام وسـائر الأمة مذ بعث الله نبيه إلى وقتنا هذا".. ثم ذكر أشياء كان منها:

"الكف والقعود في الفتنة، وألا تخرج بالسيف على الأئمة وإن ظلمـوا، قـال عمر بن الخطاب: (إن ظلمك فاصبر وإن حرمك فاصبر)، وقال النـبي لأبي ذر: (اصـبر وإن كــان عبـدًا حبشـيًا).. وقد اجتمع العلمــاء من أهل الفقه والعلم، والنسـاك والعباد والزهاد، من أول هذه الأمة إلى وقتنا هذا، على أن صلاة الجمعة والعيدين ومِنىً وعرفات والغزو والجهاد والهَدْيَ مع كل أمير بر وفاجر وإعطـاءهم الخـراج والأعشـار جـائز، وأن الصـلاة في المسـاجد العظـام الـتي بنوها والمشي على الجسور والقناطر التي عقدوها والبيع والشراء وسائر التجارة والصناعة والزراعة كلها في كل عصر ومع كل أمــير، جــائزة على حكم الكتــاب والســنة، لا يضر المحتاط لدينه والمتمسك بسنة نبيه ظلم ظالم ولا جور جائر إذا كـان ما يأتيه هو على حكم الكتـاب والسـنة، والمحاكمة إلى قضـاتهم، ورفع الحـدود والقصـاص وانتزاع الحقوق من أيدي الظلمة لأمرائهم وشرطتهم، والغزو والجهاد والهدي مع كلِّ أميرٍ برٍّ وفاجرٍ.

والسمعُ والطاعة لمن ولَّوْهُ وإن كانَ عبدًا حَبَشيًا، إلاَّ في معصـيتِهِ اللـهَ ، فليسَ لمخلوقٍ فيها طاعة، ثمَّ من بعدِ ذلكَ اعتقادُ الدِّيانةِ بالنصـيحَةِ للأئمَّةِ وسـائرِ الأمَّةِ في الـدِّينِ والـدُّنيا، ومحبَّة الخـيرِ لسـائرِ المسـلمينَ، تُحبُّ لهم ما تُحبُّ لنفسـكَ، وتكرهُ لهم ما تكرَهُ لنفسِكَ، ولا تشـاور أحـدًا من أهل البـدع في دينك ولا ترافقه في ســفرك، وإن أمكنك ألا تقاربه في جــوارك.. وإن كــان الفاعل لــذلك يُظهر





تـراني [الأعـراف :143]، فلما كـان الله تعـالى قـادرًا على أن يجعل الجبل مسـتقرًا؛ كـان قـادرًا على الأمر الـذي لو فعله لـرآه موسى عليه السلام، فـدل ذلك على أن الله تعـالى قـادر أن يُـرِي عباده نفسَه، وأنه جائز رؤيته.

فإن قال قائل: فلِم لا قلتم إن قول الله تعالى: **فإن اسـتقر مكانه فسوف تراني** تبعيد للرؤية؟

قيل له: لو أراد اللـه عـز وجل تبعيـد الرؤيـة لقَـرَن الكلام بمـا يستحيل وقوعه، ولم يقرنه بما يجوز وقوعه، فلمـا قرنـه باسـتقرار الجبل وذلك أمر مقدور لله سبحانه وتعالى، دل ذلك على أنه جـائز

السنة"
هذا، ولم يَفُت اللالكائي ت418 وهو يؤصل للزوم جماعة المسلمين وإمامهم، أن يسـوق - في كتابه (شـرح أصـول السـنة) وفيما عنـون له في الجـزء 2/ـ 1043 بقوله: (سياق ما رُوي عن النبي في طاعة الأئمة والأمراء ومنع الخـروج عليهم)- الأخبار في ذلك فذكر فيما ذكر: ما أخرجاه من حديث أبي هريـرة: (من أطـاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى اللـه، ومن عصى أمـيري فقد عصـاني).. وما أورداه من حديث عبـادة، قـال: (بايعنا رسـول الله على السـمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكـره، وأن لا ننـازع الأمر أهلـه، وأن نقـول أو نقـوم بالحق حيث ما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم).. وكذا حـديث: (أوصـيكم بتقـوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش بعدي فسـيرى اختلافًا كثيرًا، فإياكم ومحـدثات الأمـور فإنها ضـلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسـنتي وسنة الخلفاء الراشدين، عضوا عليها بالنواجذ) وقد صححه الألبـاني وغـيره.. كما ذكر من الآثار قول عبـادة يوصي به جنـادة: (عليك بالسـمع والطاعة في عسـرك ويسـرك ومنشـطك ومكرهك وأثـرة عليـك، ولا تنـازع الأمر أهله إلا أن يـأمروك بمعصية الله بواحًا).
وكان قد أعقب ذلك: بالحديث عن الخوارج ممن دأبهم وأخص سماتهم: الخروج على حكـام المسـلمين، فـذكر فيما ذكر قوله بمسـلم من حـديث أبي ذر: (إن بعدي من أمتي - أو سيكون من بعدي- قومٌ، يقـرءون القـرآن لا يجـاوز حلـوقهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرميـة، لا يعـودون فيـه، هم شر الخلق والخليقة)، قال سليمان: وأكثر ظني أنه قـال: (سـيماهم التحليـق).. وقوله ’ كما في الصحيحين: (يخـرج فيكم قـوم تحقـرون صـلاتكم مع صـلاتهم، وصـيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، يقـرءون القـرآن لا يجـاوز حنـاجرهم، يمرقـون من الـدين مـروق السـهم من الرميـة، تنظر في النصل فلا تـرى شـيئًا، ثم تنظر في القدح فلا ترى شيئًا وتتمارى في الفوق)، وحـديث: (طـوبى لمن قتلهم أو قتلـوه) وقد حسن إسناده الألبـاني في ظلال الجنة 2/ـ 438.. وأثر ابن عبـاس الـذي فيه أنه ذُكر عنده الخوارج وما يلقون عند تلاوة القـرآن فقـال: (ليسـوا بأشد اجتهـادًا من اليهود والنصارى، ثم هم يًضلون).
وبنحوه الأصبهاني، المعروف بـ (قـوّام السـنة) ت535، وذلك فيما عنـون له في كتابه (الحجـة) 2/ـ 418، 435، 438 بعنـاوين: (منع الخـروج على أولي الأمـر)، و(النهي عن سب الأمـراء والـولاة وعصـيانهم)، و(توقـير الأمـراء).. ومن قبله الصابوني ت449، قال في (عقيدة السلف وأصحاب الحديث):



أن يُرَى الله تعالى[1].. **ألا ترى أن الخنساء لمـا أرادت تبعيـد صـلحها لمن كـان حربًـا لأخيهـا، قـرنت الكلام بـأمر مستحيل فقالت:**

ولا أصالح قومًا كنتَ حربهم حـتى تعـود بياضًـا حلكة

والله تعالى إنما خاطب العرب بلغتهـا، وهـذا ما نجـده مفهومًا في كلامها ومعقولًا في خطابها..فلما قرن الرؤية بأمر مقدور جائز، علمنا أن رؤية الله بالأبصار جائزة غير مستحيلة.

"ويرى أصحاب الحـديث الجمعة والعيـدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمـام مسلم بـرًا كـان أو فـاجرًا، ويـرون جهـاد الكفـرة معهم وإن كـانوا جـورة فجـرة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح، ولا يـرون الخـروج عليهم وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحَيْف، ويرون قتال الفئة الباغية حـتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل".

وكان القاضي ابن أبي يعلى ت458 قد ترجم في (طبقات الحنابلة) للإصْطَخْرِي، ونقل عنه رسالة مطولة عن أحمد، صدّرها إمام أهل السنة بقوله: "هذه مـذاهب أهل العلم وأصـحاب الأثر وأهل السـنة المتمسـكين بعروقها المعـروفين بهـا، المقتـدَى بهم فيها من لـدن أصـحاب النـبي إلى يومنا هـذا، وأدركتُ من أدركتُ من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها، فهو مبتدع خـارج من الجماعة زائل عن منهج السـنة وسبيل الحق، فكان قولُهم:..."، وجعل يسرد أشياءٍ ذكر منها:

"الانقياد إلى من ولاّه الله أمركم، لا تنزع يدًا من طاعته، ولا تخـرج عليه بسـيفك حتى يجعل الله لك فرجًا ومخرجًـا، ولا تخـرج على السـلطان، وتسـمع وتطيع ولا تنكث بيعـةً، فمن فعل ذلك فهو مبتـدع مخـالف مفـارق للجماعـة، وإن أمَـرَك السلطان بأمر هو لله معصية، فليس لك أن تطيعه وليس لك أن تخرج عليـه، ولا تمنعه حقه، والإمساك في الفتنة سـنة ماضـية واجب لزومهـا، فـإن ابتُليتَ فقـدِّم نفسك دون دينـك، ولا تُعن على الفتنة ولو بلسـان، ولكن اكفف يـدك ولسـانك وهواك".

كما ذكر: "الكف عن أهل القبلة، وألا تكفر أحـدًا منهم بـذنب.. وأن الجهـاد مـاض قائم مع الأئمة بـرُّوا أو فجـروا، لا يبطله جـور جـائر ولا عـدل عـادل، وأن الجمعة والعيـدان والحج مع السـلطان وإن لم يكونـوا بـررة ولا أتقيـاء ولا عـدولًا، ودفع الصـدقات والخـراج والأعشـار والفيء والغنـائم إلى الأمـراء عـدلوا فيها أم جاروا"إ.هـ.

كما نذكر من أقوال أئمة الهدى فيما نحن بصدده، قـول ابن عبد الـبر ت463 في التمهيد 23/ 279 – وبنحوه 9/ 283-: "وإلى منازعة الظالم الجائر ذهبت طوائف من المعتزلة وعامة الخـوارج، وأما أهل الحق وهم أهل السـنة فقـالوا: هـذا هو الاختيار أن يكون الإمام [يعني: المنوط به الخطاب والمحسوب على أهل السنة] فاضلًا عدلًا محسنًا، فإن لم يكن فالصـبر على طاعة الجـائرين أولى من الخـروج عليـه، لأن في منازعته والخـروج عليه اسـتبدال الأمن بـالخوف، ولأن ذلك يحمل على إهـراق الـدماء وشن الغـارات والفسـاد في الأرض، وهـذا أعظم من الصـبر على جوره وفسقه، والأصول تشـهد والعقل والـدين، أن أعظم المكـروهَين أولى

دليل آخـر: قـال الله عز وجل: ﴿**للـذين أحسـنوا الحسـنى وزيادة**﴾ [يونس :26]، قال أهل التأويل: الزيـادة: النظر إلى الله عز وجل، ولم يُنعم الله تعـالى على أهل الجنة بأفضل من نظـرهم إليه ورؤيتهم لـه.. وقـال تعـالى: ﴿**ولدينا مزيد**﴾ [ق :35]، قيـل: النظر إلى الله عز وجـل.. وقـال تعـالى: ﴿**تحيتهم يـوم يلقونه سلام**﴾ [الأحزاب :44]، وإذا لقيه المؤمنون رأوه.. وقـال تعـالى: ﴿**كلا إنه عن ربهم يومئذ لمحجوبـــــون**﴾ [المطففين :15]، فحجبهم عن رؤيته، ولا يَحْجِب عنها المؤمنين.

بـالترك، وكل إمـام يقيم الجمعة والعيد ويجاهد العـدو ويقيم الحـدود على أهل العداء، وينصف الناس من مظالمهم بعضهم لبعض، وتسكن له الدهماء، وتأمن به السبل، فـواجب طاعته في كل ما يـأمر به من الصـلاح أو من المبـاح".. وإلا فلو كان كافرًا أو على بدعة المارقين من الدين مروق السهم من الرمية أو السَّـابِّين الصحابة وعرض النبي ﷺ ، فجهاده إنما يكون بضوابطه الشرعية: بأن يكـون خلف إمـام ممكن وألا يكـون تحت راية عمية وألا يـترتب عليه منكر أشد، وإلا فالصـبر حـتى يقضي الله فيهم أمـرًا كـان مفعـولًا أو الهجـرة إن خـاف على دينه الضـياع وعلى نفسه الهلاك.

وقول الشهرستاني ت548 في الملل والنحل 1/ـ 114: "الخوارج: كل من خـرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، يسمى: خارجيًا، سواء كان الخـروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشـدين، أو كـان بعـدهم على التـابعين بإحسـان، والأئمة في كل زمان".

وقول ابن قدامة الحنبلي ت620 في المغني 13/ 16: "وأمْرُ الجهاد موكولٌ إلى الإمـام واجتهـاده، ويَلـزم الرعية طاعته فيما يـراه من ذلـك"، وقوله في (لُمعة الاعتقاد): "ومِن السنة: السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين، بَـرِّهم وفاجرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله".

وقول الإمام النـووي الشـافعي ت676 تعليقًا على ما أدرجه مسـلم من أحـاديث جعلها تحت عنوان: (باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصـية) 12/ـ 176 مجلد 6: "أجمع العلماء على وجوبها في غير معصية وعلى تحريمها في المعصـية، نقل الإجماع على هذا القاضي عياض وآخرون.. قال العلماء: المراد بـأولي الأمـر: من أوجب الله طاعته من الـولاة والأمـراء، هـذا قـول جمـاهير السـلف والخلف من المفسـرين والفقهـاء وغـيرهم".. إلى أن قـال: "وهـذه الأحـاديث في الحث على السـمع والطاعـة: في جميع الأحـوال، وسـببها: اجتمـاع كلمة المسـلمين، فـإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم".

وقال تعليقًا على حديث: (إلا أن تروا كفرًا بواحًا): "معنى الحديث: لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكـرًا محققًا تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولـوا بـالحق حيث ما كنتم، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كـانوا فسـقة ظـالمين، وقد تظـاهرت الأحـاديث بمعـنى ما ذكرتُه وأجمع أهل السـنة أنه لا ينعـزل السـلطان بالفسق، وأما الوجه المذكور في كتب الفقه لبعض أصحابنا أنه ينعزل؛ فغلط من قائله مخالف للإجماع، قال العلماء: وسبب عدم انعزاله وتحـريم الخـروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين فتكون المفسـدة في

فــإن قــال قائــل: فما معــنى قوله تعــالى: **لا تدركه الأبصار** [الأنعام :103]؟.. قيل له: يحتمل أن يكون لا تدركه في الــدنيا، وتدركه في الآخــرة؛ لأن رؤية الله تعــالى أفضل اللــذات، وأفضل اللذات تكون في أفضل الدارين.

ويحتمل أن يكون الله تعالى أراد بقوله: **لا تدركه الأبصار** يعــني: لا تدركه أبصــار الكــافرين المكــذبين، وذلك أن كتــاب الله يُصَدِّق بعضه بعضًــا، فلما قــال في آيــة: إن الوجــوه تنظر إليه يــوم

عزله أكـثر منها في بقائـه.. وقـال جمـاهير أهل السـنة من الفقهـاء والمحـدثين والمتكلمين: لا ينعـــزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقـــوق، ولا يُخلع ولا يجـــوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخويفه للأحاديث الواردة في ذلك"إ.هـ
كما نذكر من أقوالهم: قول شيخ الإسلام ابن تيمية ت728 في منهـاج السـنة 1/ 528: "والقدرة على سياسة الناس: إما بطاعتهم له، وإما بقهره لهم، فمتى صار قادرًا على سياستهم إما بطاعتهم أو بقهره، فهو ذو سلطان مطاع إذا أمر بطاعة الله".. وقوله بنفس المصدر 3/ـ 390: "المشهور من أهل السـنة: أنهم لا يـرون الخــروج عن الأئمة وقتــالهم بالســيف وإن كــان فيهم ظلم كما دلت على ذلك الأحــاديث المستفيضة عن النــبي ، لأن الفســاد في القتــال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنـة، فلا يـدفع أعظم الفسـادين بـالتزام أدناهما، ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفســاد أعظم من الفســاد الـذي أزالتـه".. وقوله 4/ـ 529: "وكـان أفاضل المسـلمين ينهـون عن الخـروج والقتـال في الفتنـة، كما كـان عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وعلي بن الحسـين وغـيرهم ينهـون عـام الحـرة عن الخـروج على يزيـد، وكما كـان الحسن البصـري ومجاهد وغيرهما ينهـون عن الخـروج في فتنة ابن الأشعث".
وقوله في العقيدة الواسـطية: "ويـرون - يعـني: أهل السـنة فيما أجمعـوا عليه - إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمـراء، أبـرارًا كـانوا أم فجـارًا".. وقوله في مجموع الفتاوى 28/ـ 470: "وبذلك مضت سنة رسول الله، حيث أمر بقتـال الخــوارج وأمر بالصـبر على جـور الأئمة وظلمهم والصـلاة خلفهم مع ذنـوبهم".. وكلامه في ذلك مما لا يحصى.
وكذا قول ابن القيم ت751 في كتابه حادي الأرواح: "وقد ذكرنا في أول الكتــاب جملة من مقالات أهل السـنة والحـديث الـتي أجمعـوا عليها كما حكـاه الأشـعري عنهم، ونحن نحكي إجماعهم كما حكاه حرب بن إسماعيل عنهم بلفظه، قال في مسائله المشهورة".. وراح ينقل كلام حرب السالف الذكر بنصِّه وفصِّه.
وقول ابن حجر ت852 في شرحه بفتح الباري على صحيح البخاري 13/ 9: "وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخــروج عليه لما في ذلك من حقن الـدماء وتسـكين الـدهماء، وحجتهم في هـذا: الخـبر – وهو حـديث ابن عبـاس: (من رأى من أمـيره شـيئًا يكرهه فليصـبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات، إلا مات ميتة جاهلية)، وفي رواية لــه: (من فارق الجماعة شبرًا فكأنما خلع ربقة الإسلام من عنقـه) – ولم يسـتثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصـريح فلا يجـوز طاعته في ذلـك، بل يجب

القيامة، وقـال في آية أخـرى: إن الأبصـار لا تدركـه، علمنا أنه إنما أراد أبصار الكافرين لا تدركه.

مسألة والجواب عنها:

فإن قال قائل: قد اسـتكبر الله تعـالى سـؤال السـائلين له أن يُرى بالأبصار، فقـال: ﴿**يسـألك أهل الكتـاب أن تـنزل عليهم كتابًا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة**﴾ [النساء :153].

مجاهدته لمن قدر عليها كما في الحديث"، وكان قد نقل عن ابن بطال في نفس السياق، قوله: "في الحديث حجة في ترك الخروج على السلطان ولو جار".

ومما قاله ابن حجر بنفس المصـــدر 13/ــ 124: إن الخلاف في عزله للفسق أو الظلم وتعطيل الحقـوق "كـان أولًا، ثم حصل الإجمـاع على منع الخـروج عليهم" وكذا نص عليه النووي في شرحه لمسلم 12/ـ 181 نقلًا عن القاضي عيـاض كما أسلفنا.

أما ما دبجه علماؤنا الربانيون في زماننا لما نحن بصدده: فنحيل – نظرًا لكثرته – لما ورد في كتـاب (فسـاد منهج ودعـوة البنا وجماعة الإخـوان، وبيـان أنهما ليسا على منهج السـلف الصـالح) لأيمن بن سـعود العنقـري ص395 وما بعـدها.. ولما جـاء مـؤخرًا في فتـوى الأزهر الـتي وقع عليها شـيخه، والـتي فيها عن الانضـمام لجماعة الإخوان ومثيلاتها، ما نصه: "ومن خلال ما سبق عرضـه، يحـرم الانضـمام لهــذه الجماعــات، وبنــاء على ما تقــدم من أدلة فالانتمــاء إلى تلك الجماعــات المتطرفة يعدُّ حرامًا شرعًا".. ولما جاء من أقوال رجالات الأزهر - فضيلة الشـيخ الشعراوي وغيره- في كتابنا: (إماطة اللثـام عما تمس الحاجة لمعرفته من عقائد ووقائع وأحكام) ص198 وما بعدها ط.دار ابن عباس.

هذا، ولم يَفُتْ أئمة الإسلام قديمًا وحديثًا أن ينبهوا على عدم الفرق بين من خرج على ولاة الأمـور بالسـلاح، ومن كـان دأبهم ذكر مسـاوئهم والـدعاء عليهم بـدل الدعاء لهم ممن يعرفون بـ (الخوارج القَعْدِيّة)، وهم: أولئك الذين لا يرون الحرب والخروج بالسيف، لكنهم ينكرون على ولاة الأمور دون ما التزام بآداب النصـيحة، ويزينـون الخـروج ويؤلبـون النـاس على الحـاكم، ويخلعـون عنه أحيانا لقب (ولي الأمر الشرعي) ويفتون الناس والشباب أنه مجرد موظف في الدولـة، وأن أولئك أخبث كما جـاء عن أحمـد، فهم شر الشر وما أكـثرهم في زماننـا، إذ في شـأنهم يقول ابن حجر في تهذيب التهذيب 8/ 114 –وبنحوه في كتابه هدي الساري ص 483 وأبو داود في مسائل أحمد ص271–:

"و(القَعَد الخوارج)، كانوا لا يرون الحـرب، بل ينكـرون على أمـراء الجـور حسب الطاقة، ويدعُون إلى رأيهم، ويزيِّنون مع ذلك الخـروج ويُحَسـنونه" ولا يباشـرونه، فجميعهم دُعاة على أبواب جهنم، قال أحمد كما في مسائل أبي داود: "أشر أهل الأهواء الخوارج"، وقال: "قعد الخـوارج هم أخبث الخـوارج".. وعن جميعهم قـال ابن تيمية رحمه الله: "لم يكن أحدٌ شـرًا على المسـلمين من الخـوارج، لا اليهـود ولا النصارى فإنهم - أي الخوارج بفرقها - كـانوا مجتهـدين في قتل كل مسـلم لم يوافقهم".. ومن قبلُ كان ابن عمر يراهم (شرار خلق الله)؛ وقال: "إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين"، تمامًا على نحو ما نراه ماثلًا

فيقـال لهم: إن بـني إسـرائيل سـألوا رؤية الله عز وجل على طريق الإنكار لنبوة موسى عليه السلام وترك الإيمان به حتى يـروا اللـه؛ لأنهم قـالوا: **لن نـؤمن لك حـتى نـرى الله جهـرة** [البقرة :55]، فلما سألوه الرؤية على طريق ترك الإيمان بموسى عليه السلام حتى يريهم الله نفسه؛ استعظم الله سؤالهم من غـير أن تكون الرؤية مستحيلة عليهم، كما استعظم سـؤال أهل الكتـاب أن ينزل عليهم كتابًا من السماء من غـير أن يكـون ذلك مسـتحيلًا، ولكن لأنهم أبوا أن يؤمنوا بنبي الله حـتى يـنزل عليهم من السـماء كتابًا.

في (مجموعة رسـائل البنـا) بحق من عـاداهم أو حـذّر منهم أو لم ينضم إلى جماعته.. وعن امتدادهم الذي أخبر عنه النبي ﷺ بقولـه: (كلما طلع قـرن قطـع)، جاء قول ابن حزم في الملـل: "يلحق بـالخوارج مَن شـاركهم في آرائهم في كل زمان".

ولكثرة ما ورد بشأن هـؤلاء وأولئك وشـيوعهم في ولايـات المسـلمين الصـغرى، فإنه يَعْرفُ بعلاماتهم وبفتنتهم مبكرًا: كـلُّ عـالمٍ مُسـتنبِطٍ يملك أدوات الاجتهـاد، كما ذكر ذلك الحسن البصـري فيما نقله عنه ابنُ سـعد في الطبقـات الكـبرى 7/ 166، قال: "الفتنة إذا أقبلت عرفها كـلُّ عـالم، وإذا أدبـرت عرفها كل جاهـل".. ومن يتأمل كلام جـلِّ من ذكرنا من أئمة السـلف في معتقـداتهم وكـذا من تبعهم بإحسـان، يَلحظ التأكيد على هجر البـدع، وذكر سـمات أهلها الـتي على رأسـها: التشـكيك في معتقد أهل السـنة، وإثـارة الـدهماء والفتن، وإشـاعة الفوضى في ديار الإسلام وتكفير أهلها واستحلال دمائهم.

كما يلحظ: ضرورة التحذير منهم والتغليظ عليهم وترك مجالستهم، وعـدم التـأثر بكتبهم التي هي مما يُوحِي بها شياطين الجن إلى شياطين الإنس زخـرف القـول غرورًا، وتخـالف آثـار أئمة السـلف الماضـين.. وحسـبك من صـنيعهم تحـذير نبينا الـوارد في قوله المتفق عليـه: (لا ترجعـوا بعـدي كفـارًا يضـرب بعضـكم رقـاب بعض)، وقوله كما في البخاري (3166): (من قتل معاهَـدًا لم يـرِح رائحة الجنـة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا).. نسـأل الله العفو والعافية والمعافـاة في الـدين والـدنيا والآخـرة، كما نسـأله تعـالى حسن الخاتمـة، وأن يجنبنا البـدع والفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يحيينا على الإسلام والسنة ويميتنا عليهما، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

[1](?) ينظر في حديث الدجال: ما رواه البخاري (7122، 7134)، ومسلم (169، 589، 1379، 1560، 2933، 2943) وغيرها.

[2](?) وقد ورد بجميع كتب السنة، وينظر منها على سبيل المثال: ما رواه البخاري (7517) ومسلم (162)

[1](?) سيـأتي بيان أن ما ذكره الأشعري بحق أولاد المشركين مرجوح ومناف لما صح من أنهم يدخلون الجنة

[1](?) سبق عما قريب وإبان الحديث عن حقوق ولاة الأمـور، ذكر الكثـير من آثـار أئمة أهل السـنة في: طاعة ولاة الأمـور في غـير معصـية، والتحـذير من البدعة وأهلها ومجانبة أهل الأهواء.

ومما أورده الآجري في كتابه الشريعة ص57 وأُثر عن أئمة السلف: ما حدّث به سـلام بن أبي مطيع من أن رجلًا من أهل الأهـواء قـال لأيـوب السـختياني: يا أبا






دليل آخـر: ومما يـدل على إثبـات رؤية الله تعـالى بالأبصـار: رواية الجماعات من الجهـات المختلفة عن رسـول الله أنه قـال: (ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البـدر، لا تضـارون في رؤيتـه)[(1)]، والرؤية إذا أطلقت إطلاقًا ومُثّلت برؤية العيـــان لم يكن معناها إلا رؤية العيـان، ورُويت الرؤية عن رسـول الله من طـرق مختلفة عديدة، عِدَّة رواتها أكثر من عدّة خـبر الـرجم، ومِن عِـدّة من روى أن النـبي قـال: (لا وصـية لـوارث)، ومِن عِـدَّة رواة المسح على الخفين، ومِن عِـدَّةِ رواة قـول رسـول الله :(لا تنكح المـرأة على

بكر؛ أسألك عن كلمة، قال: فولى هاربًا وقال: (ولا نصف كلمة ولا نصف كلمـة).. كما يـورد الآجـري ما جـاء عن محمد بن واسـع، قـال: رأيت صـفوان بن محـرز، وأشار بيـده إلى ناحية من المسـجد، وشـببة قـريب منه يتجـادلون؛ فرأيته ينفض ثوبه وقام وهو يقول: (إنما أنتم جـرب، إنما أنتم جـرب)، وكـان الآجـري قد أفـرد لـذلك أبوابًا وفصـولًا.. وبنحوٍ من ذلك فعل اللالكـائي في (شـرح أصـول السـنة)، والأصبهاني في كتابه (الحجة في بيان المحجة)، وكـذا فعل سـائر من صـنفوا في كتب الاعتقاد.

[2](?) فما ذكره الأشعري هنا، يُعَـدُّ إجمـالًا وخطة ومحتـوًا لجـلِّ ما بـنى عليه كتابه هـذا (الإبانـة)، وسـيأتي كلامه بالتفصـيل عن كل ذلك وعلى حد قولـه: (بابًا بابًا وشيئًا شيئًا) ونزيد عليه هنا في التحقيق: الرد على ما خالف فيه مدعو الانتسـاب إليه شيخَهم، ليَحي بعد من حيَّ عن بينة، وليهلك من هلك عن بينة

[1]**(?)** ورد ذلك في حديث متفق عليه.. وينظر في شأنه البخاري (3244، 4779، 4780، 7498) ومسلم (2824، 2825)

[1])) امـرؤ القيس هـو: ابن حُجْر بن الحـارث الكنـدي.. ومـراده: إنه إن انتظـره صاحباه ساعة يقضيها عند (أم جندب)، وهي – فيما يبدو – زوجته التي بعُد عنهـا، ينفعه ذلك عندها، فيقضي حاجات قلبه المتيم بحبها ويطفئ نيران شوقه إليها.

[1](?) أي: على معرفة الفرق بينهما، يقال: (فرق بين المتشـابهين)، أي: بين أوجه الخلاف بين المتشابهين.

[1](?) ولا يقولن قائل: إن الأشعرية قد وافقوا شيخهم في هذه المسألة، وأن ليس ثمة خلاف بينهما البتة.. فإنهم وإن وافقوه وأهلَ السنة على إطلاق تجويزها وفي ردِّ عادية المعتزلة، فقد خالفوهما في تجويزها من (جهة ومكـان).. ومن ثم كـان ردُّ الأشعري على المعتزلة وسوقه الأدلة على إثبات رؤيته تعـالى من جهـة، يعـدّ ردًّا على الأشعرية كذلك واستدلالًا منه لدحض حججهم في هذه الجزئية

ويكمن محل الخلاف بين عمـوم أهل السـنة والأشـعرية في هـذه المسـألة، في: معرفة أن لفظ (الجهـــة) مجمـــل، وليس ثمة نصـــوص تثبته أو تنفيـــه، ولو أن الأشـعرية استفصـلوا لانتهى الخلاف ولتم التوافق التـام مع جماعة أهل السـنة.. ولقد كان لشـيخ الإسـلام كلام جيد في مسـألة (الجهـة) هـذه - سـاقه له الشـيخ الألباني في مقدمة مختصره على (العلـو) للـذهبي ص71- كفيل باجتثـاث ونسف ما تعلق به الأشعرية من شبهة نفيهم رؤيته تعـالى في الآخـرة من جهـة، ومن ثمَّ نفيهم علوه تعالى وفوقيته من جهة أخرى.

يقول رحمه الله في (التدمرية) ص45: "قد يـراد بــ (الجهـة) شـيء موجـود غـير الله, فيكـون مخلوقًا كما إذا أريد بــ(الجهـة) نفس العـرش, أو نفس السـماوات,






عمتها ولا خالتهــا)[1].. وإذا كــان الــرجم وما ذكرنــاه ســنتًا عند المعتزلة كانت الرؤية أولى أن تكـون سـنة؛ لكـثرة رواتها ونقلتهـا، كذا يرويها خلف عن سلف.

والحديث: (أنَّى أراه)[2] لا حجة فيه؛ لأنه إنما سأل سائل النـبي عن رؤية الله ‌ في الدنيا، وقال له: هل رأيت ربك؟ فقال: (نـورٌ، أنى أراه؟)، لأن العين لا تـدرك في الــدنيا الأنـوار المخلوقة على حقائقها؛ لأن الإنسان لو حدّق ينظر إلى عين الشمس فأدام النظر إلى عينها لذهب أكثر نور بصـره، فـإذا كـان الله - سـبحانه - حكم في الدنيا بأن لا تقوم العين بالنظر إلى عين الشـمس، فـأحرى أن

وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى, كما إذا أريد بالجهة ما فـوق العـالم؛ ومعلـــوم أنه ليس في النص إثبــات لفظ الجهة ولا نفيـــه, كما فيه إثبــات العلو والاستواء والفوقية والعروج إليه ونحو ذلك, وقد علم أن ما ثم موجود إلا الخـالق والمخلوق, والخالق ‌ مباين للمخلوق, ليس في مخلوقاته شيء من ذاته, ولا في ذاته شيء من مخلوقاته.

فيقـال لمن نفى: أتريد بالجهة أنها شـيء موجـود مخلـوق؟ فالله ليس داخلًا في المخلوقات, أم تريد بالجهة ما وراء العالم؟ فلا ريب أن الله فوق العالم.. وكذلك يقال لمن قـال: (الله في جهـة): أتريد بـذلك أن الله فـوق العـالم, أو تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات؟ فإن أردت الأول فهو حق, وإن أردت الثاني فهو باطل".

يقول الشيخ الألباني: ومنه يتبين أن لفظ (الجهـة) غـير وارد في الكتـاب والسـنة وعليه فلا ينبغي إثباتهـا, ولا نفيهـا, لأن في كل من الإثبـات والنفي ما تقـدم من المحذور, ولو لم يكن في إثبات الجهة إلا إفساح المجال للمخـالف أن ينسب إلى متبني العلو ما لا يقولون به, لكفى.

وكذلك لا ينبغي نفي الجهة توهمًا من أن إثبـات العلو لله تعـالى يلـزم منه إثبـات الجهة, لأن في ذلك محاذير عديدة منها: نفي الأدلة القاطعة على العلو له تعالى، ومنهـا: نفي رؤية المؤمـنين لـربهم ‌ يـوم القيامـة, وقد صـرح بنفيهـا: المعتزلـة, والشيعة, وعلل ابن المطهر الشـيعي في (منهاجـه) النفي المـذكور بقولـه: "لأنه ليس في جهـة"!.. وأما الأشـاعرة أو على الأصح متـأخروهم الـذين أثبتـوا الرؤية فتناقضوا حين قالوا: "إنه يُرى لا في جهة" يعنون: (العلو) ، إذ كيف تستقيم رؤيته تعالى مع نفي علوه؟.

قـال شـيخ الإسـلام في (منهـاج السـنة) (2/ـ 252): "وجمهـور النـاس من مثبتة الرؤية ونفاتها يقولون: إن قول هؤلاء معلوم الفساد بضرورة العقل, كقـولهم في الكلام, ولهـذا يـذكر أبو عبد الله الـرازي أنه لا يقـول بقـولهم في مسـألة الكلام والرؤية أحد من طوائف المســـلمين"، ثم أخذ يـــرد على النفـــاة من المعتزلة والشيعة بكلام رصين متين فراجعه فإنه نفيس.

وجملة القول في لفظ (الجهة): أنه إن أريد به أمر وجودي غير الله كان مخلوقًـا, والله تعالى فوق خلقه لا يحصـره ولا يحيط به شـيء من المخلوقـات, فإنه بـائن من المخلوقـات.. وإن أريد بــ (الجهـة) أمر عـدمي - يعـني: ليس له في الوجـود مثيل، وهو مرادهم بقولهم: (بائن من المخلوقـات) - وهو ما فـوق العـالم, فليس هناك إلا الله وحده.

لا يثبت البصر للنظر إلى الله تعالى في الــدنيا، إلا أن يقويه الله تعالى، فرؤية الله تعالى في الدنيا قد اختلف فيها.

وقد روي عن أصــحاب رســول الله أن الله عز وجل تــراه العيـون في الآخـرة، وما روى عن أحد منهم أن الله تعـالى لا تـراه العيون في الآخرة، فلما كانوا على هذا مجتمعين، وبه قـائلين، وإن كانوا في رؤيته تعالى في الدنيا مختلفين، ثبتت في الآخرة إجماعًا، وإن كانت في الدنيا مختلفًا فيها.. ونحن إنما قصدنا إلى إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة.

وهذا المعنى الأخير هو المراد في كلام المثبتين للعلو والناقلين عن السلف إثبات الجهة لله تعالى.. قال القرطبي في (الأسنى) - في رد من زعم من الأشعرية أن لازم إثباتهـا: أن يكــون ســبحانه في (حــيز ومكــان)، وأنهما يســتلزمان: الحركة والسكون للتميز والتغير والحدوث - قال:
إنهم "أعرضوا عن مقتضى الكتاب والسنة وأقوال السـلف وفِطَر الخلائـق، وإنما يلزم ما ذكروه: في حق الأجسام، والله تعالى لا مثل له.. ثم نقـول: لا نسـلِّم أن كون الباري على عرشه فوق السموات يلزم منه أنه في (حيز وجهـة)، إذ ما دون العرش يقال فيه: (حيز وجهة)، وأما ما فوقه فليس هو كذلك، والله فـوق عرشه كما أجمع عليه الصـــدر الأول ونقله عنهم الأئمـــة، وقد قـــالوا ذلك رادِّين على الجهمية القائلين بأنه في كل مكان محتجين بقولـه: **وهو معكم** [الحديد :4]، فهذان القولان هما اللـذان كانا في زمن التـابعين وتـابعيهم.. وأما القـول الثـالث المتولد أخيرًا من أنه: ليس في الأمكنة، ولا خارجًا عنها، ولا فـوق عرشــه، ولا هو متصل بالخلق ولا بمنفصل عنهم.. ولا.. ولا.. فهذا شــيء لا يُعقل ولا يُفهم، مع ما فيه من مخالفة الآيـات والأخبـار، ففِـرِّ بـدينك وإيـاك وآراء المتكلمين، وآمن بالله وما جاء عن الله على مراد الله".
وتحت ما جعله ابن رشد في (الكشف عن مناهج الأدلـة) (ص66):ـ تحت عنـوان (القول في الجهة)، قال رحمه الله: "وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه, حـتى نفتها المعتزلـة, ثم تبعهم على نفيها متـأخرو الأشعرية كأبي المعالي ومن اقتـدى بقولـه, وظـواهر الشـرع كلها تقتضي إثبـات الجهة مثل قوله تعالى", ثم ذكر بعض الآيات المعروفـة، ثم قـال: "إلى غـير ذلك من الآيات التي إن سلط التأويل عليها عاد الشرع كله مـؤولًا, وإن قيل فيهـا: إنها من المتشابهات, عاد الشرع كله متشـابهًا, لأن الشـرائع كلها متفقة على أن الله في السماء, وأن منه تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين"إ.هـ.
وكان الأشعري قد نقل بــ (مقـالات الإسـلاميين) ص290 وما بعـدها، في (حكاية جملة قول أهل السنة وأصحاب الحديث) أنهم: "يقولـون: إن الله (يُـرى بالأبصـار يوم القيامة) كما يُرى القمر ليلة البدر، يـراه المؤمنـون ولا يـراه الكـافرون لأنهم عن الله محجوبون.. وأن موسى سأل الله الرؤية في الـدنيا، وأنه سـبحانه تجلى للجبل فجعله دكًّا، فأعلمه بذلك أنه لا يراه في الـدنيا بل يـراه في الآخـرة".. كما نقل إجماعهم على ذلك في (رسالة أهل الثغر)، فقال في الإجمـاع الحـادي عشر ما نصه: "وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة بأعين وجوههم، على ما أخـبر به تعـالى في قولـه: **وجــوه يومئذ ناضـرة. إلى ربها نـاظرة** [القيامة :22ـ 23]، وقد بين معــني ذلك النــبيُّ ودفع كل إشـكال فيه بقوله

على أن هــذه الرواية على المعتزلة لا لهم؛ لأنهم ينكــرون أن الله نــور في الحقيقــة.. فــإذا احتجــوا بخــبرٍ هم له تــاركون وعنه منحرفون، كانوا محجوجين.

دليل آخر:

ومما يـدل على رؤية الله تعـالى بالأبصـار؛ أنه ليس موجـود إلا وجائز أن يريناه الله عزو جل، وإنما لا يجوز أن يُرَى المعدوم، فلما كان الله عز وجل موجودًا مثبتًا، كان غــير مسـتحيل أن يرينا نفسه عز وجل، وإنما أراد مَن نَفَى رؤيةَ الله عز وجل بالأبصار التعطيــل، فلما لم يمكنهم أن يُظهروا التعطيل صـراحًا أظهـروا ما يـؤول بهم إلى التعطيل والجحود، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا.

دليل آخر:

ومما يـدل على رؤية الله - سـبحانه - بالأبصـار أن الله تعـالى يرى الأشـياء، وإذا كـان للأشـياء رائيًا فلا يَـرى الأشـياء مَن لا يَـرى نفسه، وإذا كان لنفسه رائيًا فجائز أن يرينا نفسه، وذلك أن من لم يعلم نفسه لا يعلم الأشياء، فلما كان الله تعالى عالمًا بالأشياء كان عالمًا بنفسه، فكـذلك من لا يـرى نفسه لا يـرى الأشـياء ولما كـان الله عز وجل رائيًا للأشــياء كــان رائيًا لنفســه.. وإذا كــان رائيًا لها فجـــائز أن يريَنا نفســـه، كما أنه لما كــــان عالمًا بنفسه جـــاز أن

للمؤمنين: (ترون ربكم عيانًا) وقوله: (ترو ربكم يوم القيامة كما تـرون القمـر، لا تضامون في رؤيته)، فبين أن رؤيته تعالى بأعين الوجــوه، ولم يـرد أن الله مثل القمر، فشبه الرؤية بالرؤية ولم يشبه الله بـالقمر، وليس يجب إذا رأينـاه تعـالى أن يكون شبيهًا لشيء مما نراه، كما لا يجب إذا علمناه أن يُشـبه شـيئًا نعلمـه".. ولمزيد من رد أهل الســنة على الأشــعرية في مســألة رؤية الله من جهة العلو ودحض ما تشبث به الأشـعرية في نفيهم الجهـة، ينظر (عقيـدة الأشـاعرة دراسة نقدية لمنظومة جـوهرة التوحيد لبرهـان الـدين اللقـاني على ضـوء عقيـدة أهل السنة والجماعة)، لحسان بن إبراهيم الرديعان ص362- 368.

[1](?) وإنما يكون ذلك في الآخرة ضمن نعيم الجنة، بأن يخلق الله قوة في الرائي يرى بها ذاته تعالى، وكأن الله أراد أن يقول لموسى عليه السلام في عدم تحقق ذلك في الـدنيا: إنك لا تقـوى على المشـاهدة ولن تتحمل هـذا التجلي، وهـذا هو الجبل، أقوى منك وأكثر تحملًا، فـإن تحمل الرؤية واسـتقر أمـام التجلي الأعظم، كـان من الممكن أن تُجـاب لطلبك وأن تَنـال هـذه الأمنية في الـدنيا.. فـإذا كـان تجليه ســبحانه على النحو الــذي رأى موسى ولم يقــدر على مشــاهدة الجلال والعظمة وأصبح دكًا، وخرّ عليه السلام من هول ما رأى صعقًا، فمـاذا كـان يصـنع لو أن التجلي كان له؟.

[1](?) الحديث متفق عليه.. رواه البخـاري (554، 573، 4851، 7434، 7435، 6436) ومسلم (633).

[1](?) حسن.. رواه أبو داود (2870)، والترمذي (2122)، وأحمد (5/ 267).

[2](?) رواه مسلم (178).

يُعْلِمَناها، وقد قـال تعـالى: ﴿إنني معكما أسـمع وأرى﴾ [طه : 46]، فـأخبر أنه يسـمع كلًّا منهما ويراهمـا، ومن زعم أن الله عز وجل لا يجـوز أن يُـرى بالأبصـار يلزمه أن لا يجـوز أن يكـون الله سبحانه وتعالى رائيًا ولا عالمًا ولا قادرًا؛ لأن العالم والقـادر الـرائي جائز أن يُرى.

مســـــألة:

فإن قالٍ قائل: قول النبي ﷺ : (ترون ربكم)، يعني: تعلمـون ربكم اضطرارًا، **قيل له:** إن النبي ﷺ قال لأصحابه هذا على سـبيل البشارة، فقال: (فكيف بكم إذا رأيتم الله سبحانه؟)، ولا يجـوز أن يبشرهم بأمر يشركهم فيه مع الكفار، على أن النبي ﷺ قال: (ترون ربكم) وليس يعـني رؤية دون رؤيـة، بل ذلك عـام في رؤية العين ورؤية القلب.

دليل آخر:

إن المسـلمين اتفقـوا على أن الجنة (فيها مـالا عين رأت، ولا أذن سـمعت، ولا خطر على قلب بشـــر)[1] من العيش السـليم، والنعيم المقيم، وليس نعيم في الجنة أفضل من رؤية الله عز وجل بالأبصار.. وأكثر مَن عَبَدَ اللهَ عز وجل عَبَـدَه للنظر إلى وجهه الكريم - أرانا الله إياه بفضله - فإذا لم يكن بعد رؤية الله عز وجل أفضل من رؤية نبيه ﷺ ، وكـانت رؤية نـبي الله أفضل لـذات الجنـة، كـــانت رؤية الله عز وجل أفضل من رؤية نبيه ﷺ.. وإذا كـــان ذلك كذلك لم يحرم الله أنبياءه المرسلين، وملائكته المقـربين، وجماعة المؤمنين، والصـديقين النظر إلى وجهه الكـريم، وذلك أن الرؤية لا تؤثر في المرئي؛ لأن رؤية الرائي تقـوم بـه، فـإذا كـان هـذا هكـذا، وكانت الرؤية غير مؤثرة في المـرئي، لم تـوجب تشـبيهًا ولا انقلابًا عن حقيقـــة، ولم يســـتحل على الله عز وجل أن يُـــرِي عبـــاده المؤمنين نفسه في جنانه.

مسألة في الرؤية:

احتجت المعتزلة في أن الله عز وجل لا يُرى بقوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصـار﴾ [الأنعـام :103]، قـالوا: فلما عطف الله عز وجل بقولـه: ﴿وهو يـدرك الأبصـار﴾ على قوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾، وكان قوله: ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ على العمـوم أنه يـدركها في الـدنيا والآخـرة، وأنه يراها في الـدنيا والآخـرة، كـان قولـه: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ دليلًا على أنه لا تـراه الأبصار في الدنيا والآخرة، وكان في العموم كقوله: ﴿وهو يـدرك الأبصار﴾؛ لأن أحد الكلامَين معطوف على الآخر.

---

[1] (?) سبق تخريجه.

قيل لهم: فيجب إذا كـان عمـوم القـولين واحـدًا، وكـانت الأبصار أبصار العيون وأبصار القلوب؛ لأن الله تعالى قـال: ﴿**فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصـدور**﴾ [الحج :46]، وقال: ﴿**أولي الأيدي والأبصـار**﴾ [ص :45]، أي: فهي بالأبصار، فأراد أبصار القلوب وهي الـتي يفضل بها المؤمنـون الكافرين، ويقول أهل اللغة: (فلان بصير بصـناعته)، يريـدون: بصر العلم، ويقولـون: (قد أبصـرته بقلـبي)، كما يقولـون: (قد أبصـرته بعيني).

فـإذا كـان البصر بصر العين وبصر القلب ثم أوجبـوا علينا أن يكون قوله تعالى: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ في العمـوم كقولـه: ﴿**لا تدركه الأبصـار**﴾، لأن أحد الكلامين معطـوف على الآخـر، وجب عليهم بحجتهم أن الله تعـالى لا يُـدرك بأبصـار العيـون ولا بأبصـار القلـوب؛ لأن قولـه: ﴿**لا تدركه الأبصـار**﴾ في العمـوم كقولـه: ﴿**وهو يدرك الأبصار**﴾، وإذا لم يكن عنـدهم هكـذا فقد وجب أن يكون قوله تعـالى: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ أخصُّ من قولـه: ﴿**وهو يدرك الأبصار**﴾ وانتقض احتجاجهم.

وقيل لهم: إنكم زعمتم أنه لو كـــان قولـــه: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ خاصًّـا في وقت دون وقت لكـان قولـه: ﴿**وهو يـدرك الأبصار**﴾ خاصًّـا في وقت دون وقت، وكـان قولـه:﴿**ليس كمثله شـيء**﴾ [الشـورى:11]، وقولـه: ﴿**لا تأخـذه سـنة ولا نـوم**﴾ [البقرة :255]، وقوله: ﴿**لا يظلم الناس شـيئًا**﴾ [يـونس :44] في وقت دون وقت، فـــإن جعلتم قوله تعـــالى: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ [الأنعام :103] خاصا رجع احتجاجكم عليكم، وقيل لكم: إذا كان قوله: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ خاصا ولم يجب خصوص هذه الآيات، فلمَ أنكرتم أن يكون قوله عز وجل: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ إنما أراد في الـــدنيا دون الآخـــرة؟ وكما أن قولـــه: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ أراد بعض الأبصـار دون بعض، ولا يـوجِب ذلك تخصـيص هذه الآيات التي عارضتمونا بها.

فإن قالوا: قوله تعالى: ﴿**لا تدركه الأبصـار**﴾ يُـوجِب أن لا يُـدرك بها في الـدنيا والآخـرة، وليس ينفي ذلك أن نـراه بقلوبنـا، ونبصره بها، ولا ندركه بها.

قيل لهم: فما أنكـرتم أن يكـون لا تدركه بإبصـار العيـون ولا يُوجب إذا لم ندركه بها أن لا نـراه، فرؤيتنا له بـالعيون وإبصـارنا له بها ليس بـإدراك له بهـا، كما أن إبصـارنا له بـالقلوب ورؤيتنا له بها ليس بإدراك له بها.

فــإن قــالوا: رؤية البصر هي إدراك البصــر، **قيل لهم:** ما الفــرق بينكم وبين من قــال: إن رؤية القلب وإبصــاره هو إدراكه وإحاطته، فإذا كان عِلم القلب بالله ۮ وإبصار القلب له: رؤيته إيـاه ليس بإحاطة ولا إدراك، فما أنكـــرتم أن يكـــون رؤية العيـــون وإبصارها لله عز وجل ليس بإحاطة ولا إدراك؟.

مســـــــألة:

ويقــال لهم: إذا كــان قــول الله - ســبحانه -: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ في العمـوم كقولـه: ﴿**وهو يدرك الأبصـار**﴾؛ لأن أحد الكلامين معطـوف على الآخـر، فخبرونا أليس الأبصـار والعيـون لا تدركه رؤية ولا لمسًا ولا ذوقًا ولا على وجه من الوجوه؟.

فمِن قـولهم: نعم، يقـال لهم: أخبرونا عن قوله تعـالى: ﴿**وهو يدرك الأبصار**﴾، أتزعمون أنه يدركها لمسًا وذوقًا بـأن يلمسـها؟ ومِن قــولهم: لا، يقــال لهم: قد انتُقِض قــولكم: إن قولــه: ﴿**وهو يدرك الأبصار**﴾ في العموم كقوله: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾.

إذا قــال قائل منهم: إن البصر في الحقيقة هو بصر العين لا بصر القلب.

قيل لــه: ولِم زعمتَ هــذا وقد سَــمّى أهل اللغة بصر القلب بصرًا، كما سَمّوا بصر العين بصرًا، وإن جاز لك ما قلته جاز لغيركم أن يزعم أن البصر في الحقيقة هو بصر القلب دون العين، وإذا لم نُجز هذا فقد وجب أن البصر بصر العين وبصر القلب.

ويقـال لهم: حـدِّثونا عن قـول الله عز وجل: ﴿**وهو يـدرك الأبصار**﴾، ما معناه؟ فإن قالوا: معـنى: ﴿**وهو يدرك الأبصـار**﴾ أنه يعلمهـا، قيل لهم: وإذا كـان أحد الكلامين معطوفًا على الآخـر، وكـان قوله تعـالى: ﴿**وهو يـدرك الأبصـار**﴾معنـاه: يعلمهـا، فقد وجب أن يكون قوله تعالى: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ لا تعلمـه، وهـذا نفي للعلم لا لرؤية الأبصار.

فـإن قـالوا: معـنى قوله تعـالى: ﴿**وهو يـدرك الأبصـار**﴾أنه يراها رؤية ليس معناها العلم، قيل لهم: فالأبصار الـتي في العيـون يجوز أن تَرى؟ فإن قالوا: نعم، نقضوا قولهم: (إنا لا نَرى بالبصر إلا من جنس ما نَرى الساعة)، فإن جاز أن يُرى الله وكل ما ليس من جنس المرئيات وهو الإبصار الذي في العين، فلِم لا يجـوز أن يَـرى نفسه وإن لم يكن من جنس المرئيات؟ ولِم لا يجوز أن يريَنا نفسه وإن لم يكن من جنس المرئيات؟.
ويقـال لهم: حـدثونا إذا رأينا شـيئًا، فبَصَـرُنا يـراه أم إنما يـراه الرائي دون البصر؟؛ فمِن قـولهم: إنه محـال أن يـرى البصر الـذي

في العين، يقال لهم: الآية تنفي أن تراه الأبصار، ولا تنفي أن يـراه المبصرون، وإنما قال الله: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ فهـذا يـدل على أن المبصرين لا يرونه على ظاهر الآية الشريفة[1]

الباب الثالث
صفة الكلام ورد عادية المعتزلة والجهمية ومن تابعهما

الفصل الأول

الكلام في أن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق

إن سـأل سـائل عن الـدليل على أن القـرآن كلام الله غـير مخلوق[2].. **قيل له:** الدليل على ذلك: قوله تعـالى: ﴿**ومن آياته**

---

[1](?) ويمكن أن يقال في محصـلة الـرد على المعتزلـة: أن المنفي، هـو: الإحاطة والشـمول، أو رؤية العيـون، أو في وقت دون وقت لا مطلق الرؤيـة.. وأن (أل) في (الأبصـار) للعمـوم، وتقـدُّمُ النفي على العمـوم يفيد سـلب العمـوم، فيكـون المعـنى: لا تـراه جميع الأبصـار بل يـراه البعض منها دون البعض.. ثم إن الـذي أداهم لنفي الرؤية هو: قياسهم الغائب على الشـاهد، وهـذا إنما يكـون بما أودعه الله في الكائنـات، أما رؤية الله فلا تخضع لهـذه القـوانين الدنيويـة.. أما محصـلة الرد على الأشعرية في نفي الجهة فقد سبق بيانه.

[2](?) وعلى نحو ما يُعدُّ كلام الأشعري التالي ردًا على المعتزلة ودحضًا لشـبهاتهم، فإنه يعدُّ كـذلك ردًّا ودحضًـا لشـبهات متـأخري الأشـاعرة الـذين ركبـوا رءوسـهم وتبنوا ما كان عليه شيخهم الذي تـأثر فيه بـابن كُلّاب ردحًا من الـزمن، ونبـذوا ما آل إليه واستقر عليه أمره وختم به حياته، فقد اتفق أولئك المتـأخرة مع المعتزلة على أن القرآن الذي بين أيدينا مخلوق، وزاد الأشاعرة فـأثبتوا كلامًا نفسـيًا قائمًا بنفس الله وهو غير مخلوق وهو الذي عُبر عنه بـالقرآن، فـالقرآن لـديهم إنما هو حكاية عن كلام الله وعبـارة عنــه، وليس بكلامه حقيقــة، كونــه: (لفظيًّا مــنزلًا وبحـرف وصـوت) وهـذه الأمـور ونحوها - بـرأيهم - حـوادث يتـنزه عنها كلام الله النفسـي، وأما اللفظي منه فقد خلقه الله في اللـوح المحفـوظ ثم ألهمه جبريل فهو من تأليفه أو من كلام محمد •.

وفي تقرير مذهب الأشعرية هذا الفاسد، يقول الفخر الرازي في (المحصل في علم الكلام) ص403: "أما أصـحابنا فقد اتفقـوا على أنه تعـالى ليس بمتكلم بـالكلام الــذي هو الحـــروف والأصـــوات، بل زعمـــوا أنه متكلم بكلام النفس، والمعتزلة ينكرون هذا الماهية.. فالحاصل: أن الذي ذهبوا إليه، نحن من القـائلين به"، وقد صدر هذا عن الرازي - بالطبع - قبل تراجعه.. وكان ابن التلمسـاني في شـرحه على (معـالم أصـول الـدين) للـرازي، قد ظن أن مـراد من أطلق من الحنابلـة: إن الله يتكلم بحـرف وصـوت أنها بمنزلة حروفنا نحن وأصـواتنا، وهـذا وهم منـه.. ويقـول الآمـدي كما في (المواقف في علم الكلام) ص294 وبعد أن

ان تقوم السماء والأرض بأمره [الروم :25]، وأمر الله: كلامه، فلما أمرهما بالقيام فقامتا لا يهويان؛ كان قيامهما بأمره[1]

وقال عز وجل: **ألا له الخلق والأمر** [الأعراف :54]، فالخلقُ، جميع ما خلق داخل فيه؛ لأن الكلام إذا كان لفظه عامًّا فحقيقته أنه عام، ولا يجوز لنا أن نزيل الكلام عن حقيقته بغير حجة ولا برهان، فلما قال: **ألا له الخلق** كان هذا في جميع الخلق، ولما قال: (والأمر) ذكر أمرًا غير جميع الخلق، فدل ما وصفنا على أن أمر الله غير مخلوق.

ذكر قول المعتزلة في الكلام اللفظي: "وهذا لا ننكره، لكنا نثبت أمرًا وراء ذلك، وهو: (المعنى القائم بالنفس)، ونزعم أنه غير العبارات"، وقال بنفس الصفحة: "إذا عرفت هذا فاعلم أن ما يقوله المعتزلة، وهو: خلق الأصوات والحروف وكونها حادثة قائمة، فنحن نقول به ولا نزاع بيننا وبينهم في ذلك"، وهذا اعتراف بأنهم والمعتزلة سواء في أن (القرآن) بلفظه مخلوق، وأن الأشاعرة زادوا عليه الكلام النفسي.. كما أطال السنوسي في شرح أم البراهين ص189 في بيان استحالة الحروف والأصوات على كلام الله، وكل ما لديه من بضاعة، هو: قياس الغائب على الشاهد.

وقد سبق أن أوضحنا أن البيجوري ذكر في ص78 من (شرحه على جوهرة التوحيد) - الذي لم يَخْرُج الأزهر للأسف عن تقريره ونحوه على أبنائنا على أنه معتقد أهل السنة – عن صفة كلامه تعالى: أنها "صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، ليست بحرف ولا صوت، منزهة عن التقدم والتأخر والإعراب والبناء".. إلى أن قال: "واعلم أن كلام الله يطلق على: الكلام النفسي القديم بمعنى: أنه صفة قائمة بذاته، وعلى الكلام اللفظي بمعنى: أنه خَلَقَه.. ومع كون اللفظ الذي نقرأه حادثًا لا يجوز أن يقال: (القرآن حادث) إلا في مقام التعليم.. ويصح أن يدل الكلام (اللفظي) على (النفسي) دلالة عقلية التزامية بحسب العرف، وعليه فإن أضيف له تعالى كلام لفظي كـ (القرآن)، فإنه كلام الله، بمعنى: أنه خَلَقَه في اللوح المحفوظ، فدل التزامًا على أن له تعالى كلامًا نفسيًا.. وهذا هو المراد بقولهم: (القرآن حادث ومدلوله قديم)"إ.هـ.

وذكرنا هنالك أن الأشاعرة لأجل ذلك لم يُثبِتوا لله من الكلام سوى (النفسي) منه، ولم يدرجوا هذه الصفة ضمن (صفات الأفعال) التي تتعلق بمشيئته سبحانه يفعلها متى وكيف شاء، وأنهم لأجل ذلك أيضًا نفوا كلامه تعالى لكليمه موسى عليه السلام بدعوى "أنه معنى واحد لا يُتصور أن - يتبعَّض أو - يُسمع، وإنما يخلق الله الصوت في الهواء كما قال أبو منصور الماتريدي وغيره" وهو بنصه بـ [شرح الطحاوية ص114].. ولأجله كذلك – وكما رأينا – لم يَعُدُّوا القرآن كلام الله؛ وأحالوا عليه تعالى الكلام اللفظي لمشابهته - باعتقادهم- بالحوادث، ونزهوا كلامه عن الحرف والصوت بحجة أن كلامه ليس ألفاظًا، إذ الألفاظ لا بد فيها من الترتيب فلا يُنطق بالحرف الثاني إلا إذا انقضى الحرف الأول وهكذا، ولا بد فيها من الإعراب والبناء ليُفهم المقصود، كما لا بد فيها من السكوت بين بعض الكلمات وبعضها، وكل ذلك منفي عن (الكلام النفسي).. وأن كل ذلك معلومٌ فساده بالاضطرار، ويَرِدُ عليه:

فإن قال قائل: أليس قد قال الله تعالى في كتابه: **من كـان عدوًّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال** [البقرة :98]..
قيل له: نحن نخص القـرآن بالإجمـاع وبالـدليل، فلما ذكر الله عز وجل نفسه وملائكته، ولم يُـدخل في ذكر الملائكة جبريل وميكائيل وإن كانا من الملائكة، ثم ذكرهما بعد ذلك، كان كأنه قـال: الملائكة إلا جبريل وميكائيل، ثم ذكرهم بعد ذكر الملائكة فقـال: **وجبريل وميكال**

أ-دحض الأشعري نفسه لقول أولئك الذي يدعون شرف الانتساب إليه وأنه برئ منهم ومن قولهم.
ب- وإجماع أهل السنة على أن القرآن بمعانيه وألفاظه هو من كلام الله.
جـ- وعلى عدم تفريقهم بين ما إذا قيل ذلك في مقام التعليم أو غيره.
د - وعلى أن عبارات: (لفظُ القرآن مِن خلق الله)، (الألفاظ المتلـوة مخلوقة لله فهي حادثة)، (مخلوقة له سبحانه)، (خلقه في اللوح المحفوظ)، (القرآن حادث)؛ من البدع المنكرة كونها ألفاظ موهمة.. وأضيف هنا أن:
الأشاعرة - فيما جنحوا إليه - قلدوا المعتزلة في أن القـرآن بلفظه مخلـوق، ولم يستوعبوا كلام أهل السنة:
ذلك أن صـواب أهل السـنة في (صـفة الكلام) لم يكن متصـورًا لـدى اللقـاني والـبيجوري وسـائر الأشـاعرة، كـونهم: نفـوا أن يكـون كلام الله مـنزَّلًا وباللفظ والحـرف، واستشـهدوا - في نفس الـوقت - بما وقع للبخـاري وعيسى بن دينـار والشعبي وأحمد بسبب فتنة خلق القـرآن، على الـرغم من أن ما حل بهـؤلاء وما قالوه وثبتـوا عليـه، إنما هو حجة على الأشـاعرة لا لهم.. فبينا الأمر بحق من ذَكر البيجوري أسماءهم، على: أن القـرآن كلام الله أنزلهِ بـالحرف واللفـظ، بكيفية لا نعلمها، نفى الأشاعرة أن يكون القرآن كلام الله أصلًا وقالوا: "إنما هو عبارة عنه وليس بلفظ ولا بحرف ولا بصوت ولا مـنزَّل من اللـه، لكـون هـذه الأشـياء حادثة وكلام الله يتـنزه عنهـا"، واسـتلزم قـولهم بـذلك أن يكـون مخلوقًا وإن خـافوا التصريح بذلك.. وسيأتي بيان أن كل ذلك يقع على وجه لا يشبه ما للمخلوقين.
وإن تعجب فعجبٌ قـول الأشـعرية - فيما يؤكد ويعكس خطـورة ما هم عليه وما يدرِّسونه على أبنائنا بـالأزهر-: إن "القـرآن له دلالتـان: دلالة عقلية التزامية تـدل على الكلام النفسي القديم، ودلالة وضعية لفظية تـدل على الـذي يقـرأه البشـر؛ فالكلام النفسي قديم وأما اللفظي فحادث مخلوق للـه".. وأن "الألفـاظ المنزَّلة الدالة على المعـني خلقها الله في اللـوح المحفـوظ، ثم أنزلها في صـحائف إلى سماء الدنيا في بيت العـزة، ثم أنزله على النـبي مفرقًا بحسب الوقـائع"إ.هــ من عبـارة حسـين المصـري في (توضـيح التوحيد من تحفة المريـد).. وقد مـرت بنا عبارة البيجوري.
وعبارة حسن السيد متولي نصها: إن "القرآن: كلام الله اللفظي.. حادث، لكن لا يصح وصـفه بالحـدوث دفعًا للإيهـام، إلا في مقـام التعليم".. قـال: "وما ورد مما يشعر بأن القرآن مخلوق وحادث مثل: **إنا أنزلناه في ليلة القدر** [القـدر : 1]، **إنا نحن نزلنا الــذكر** [الحجر :9]، يجب حمله على الكلام اللفظي المقـروء المتلو لا على النفسي القـائم بذاته تعـالى".. كـذا بما يعـني صـراحة أن

ولما قـــال: ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾ [الأعـــراف :54]، ولم يخصّ قوله: (الخلق) دليل، كـان قولـه: ﴿**ألا له الخلق**﴾ في جميع الخلق، ثم قـال بعد ذكـره الخلـق: (والأمـر)، فأبـان وميّز الأمر من الخلق وفرّق بينهما، وأمـرُ اللـه: كلامـه، وهـذا يـوجب أن كلام الله غير مخلوق.

وقال - سبحانه -: ﴿**لله الأمر من قبل ومن بعد**﴾ [الروم : 4] يعني: من قبل أن يخلق الخلق ومن بعد ذلـك، وهـذا يـوجب أن الأمر غير مخلوق[1].

القرآن الذي نقرأه ونتلوه ونكتبه في المصاحف والمـنزَّل من عند اللـه: هو لـدى الأشـــاعرة مخلـــوق، وليس هو عين كلام اللـــه، وإنما هو كلام جبريل أو محمد عليهما السلام، وأن حروف القـرآن مخلوقة خلقها الله ولم يتكلم بها وليست من كلامـه، ذلك أن كلامه تعـالى -بنظـرهم- يطلق على الكلام النفسي القـائم بذاته ومستحيلٌ نزولـه، ولا يكـون إلا قـديمًا كبقية صـفات المعـاني السـبع، وأن إطلاق (اللفظي) على كلام الله إنما هو على سـبيل التجـوز، ولا يلـزم من أدلـةٍ وإجمـاعٍ على أن كلامه تعالى قديم: أن يكون مُنَزّلًا، بل يدلان على نـزول عباراته عن ذلكَ القديم.

وحجة الأشـاعرة في ذلك هي: أن الكلام القـائم بالـذات إما أن يكـون حسـيًا أو نفسـيًا، والحسي لا ينبغي أن يقـوم بذاته تعـالى لأنه منتظم من حـروف لها أول وآخر، بعضها يسبق بعضًا ويدخلها التعاقب والتـأليف، وهـذه تقـوم بالحـادث والله مـنزَّهٌ عن أن يقـوم به حـادث، فتعين أن يكـون هـو: الكلام النفسي الـذي يقـوم بالذات من معاني قديمة لا يدخلها التجزؤ والانتظام كالحسي.

وقد أداهم ذلك لأن يحملوا أمثال ما رواه البخاري من حـديث: (يحشر الله العبـاد فيناديهم بصوت يَسمعه مَن بَعُد كما يسمعه من قَرُب: أنا الملك أنا الـدّيّان) على تأويل "أن يكون الصوت: للسماء، أو للمَلَك الآتي بالوحي، أو لأجنحة الملائكـة، أو أن الراوي أراد: (فيناديهم نـداء) فعبر عنه بالصـوت، وهـذا حاصل كلام من ينفي الصوت، ويلزم منه أن الله لم يُسمع أحدًا من ملائكته ورسـله كلامـه، بل ألهمهم إيـاه، وحاصل احتجـاجهم لنفي الصــوت: الرجــوع إلى القيــاس على أصــوات المخلوقين، لأنها التي عُهد أنها ذات ومخارج" كذا في فتح الباري.

يقـول ابن حجر في رد ذلـك: "ولا يخفى ما فيـه، إذ الصـوت قد يكـون من غـير مخارج كما أن الرؤية قد تكون من غير اتصال أشعة.. وصـفات الخـالق لا تقـاس على صفة المخلوق، وإذا ثبت الصوت بالأحاديث الصحيحة وجب الإيمان به" إ.هــ من فتح الباري 13/ 466

الأمر الـذي يؤكد أن الأشـعرية على أن القـرآن ليس هو كلام اللـه، بل هو عبـارة عن المعنى النفسي القائم بالله ودلالة عليـه، وأن الـذي في المصـحف - على ما كشفه بعض من فضحهم من أئمة السلف- مُحـدَث، وحروفه مخلوقـة، خلقها الله في اللوح المحفوظ فأخـذها جبريل من اللـوح أو ألَّفَها بإلهـام الله لـه، ولم يتكلم الله بها وليست من كلامه على الحقيقة، وإنما هي عبارة عنه، وفي عبارةٍ للقاني تعكس مدى اضطرابهم: "أن حقيقة (كلام الله) يطلق على اللفظ أيضًـا من بـاب (الاشتراك اللفظي)، مع المعنى القائم بالنفس".




دليل آخــر: ومما يــدل من كتــاب الله على أن كلامه غــير مخلوق؛ قوله - سـبحانه -: ﴿**إنما قولنا لشـيء إذا أردنـاه أن نقول له كن فيكـون**﴾ [النحل :40]، فلو كـان القـرآن مخلوقا لوجب أن يكـون مقـولا لـه: (كن فيكـون).. ولو كـان الله عز وجل قائلا للقول: (كن)، لكان للقول قولًا، وهذا يوجب أحد أمرين:

- إما أن يؤول الأمر إلى أن قوله تعالى غير مخلوق.
- أو يكــون كل قــول واقع بقــولٍ لا إلى غايــة، وذلك محــال، وإذا استحال ذلك صح وثبت أن لله عز وجل قولًا غير مخلوق.

على أن قولهم بأن الله خلق القرآن في اللـوح وأن جبريل أخـذه وتكلم بـه، هو - على حد قــول الإمــام أحمــد- من أخبث الأقــوال وأشــرها.. كما أن ادعــاءهم (الاشــتراك)؛ هو الآخر من ضــيق العطن، لأن (المشــترك اللفظي) يطلق على: (اللفظ الواحد له أكـثر من معــنى على ســبيل الحقيقــة)، ككلمة (العين) تطلق على: (البــئر) وعلى (الباصــرة) وعلى (الجاســوس).. إلخ، والقرينة فيه تكــون مُعَيِّنة، والأمر هنا ليس كذلك.

هـذا، ولم يقف مُنَظِّرو الأشـاعرة عند هـذا الحـد، حـتى مـالوا إلى أن كلام اللـه: مجـرد معـنى واحد وصـفة واحـدة قـامت بالله لا تعـدد فيها ولا تجـدد، فهو نفس معــانِ الأمر والنهي والاسـتفهام والنـداء والإخبـار وغيرها مما يقــوم بالـذات من معاني قديمة، ولا تختلف هذه المعاني باختلاف العبارات.. كـذا أفـاده ونسـبه إلى أهل السنة: البيجوري في (تحفة المريد)، واللقاني في (هداية المريد).

وهو من قَبل اللقــاني والــبيجوري: قــولُ ابن كُلاّب – وقد تــأثر به أبو الحسن الأشعري ثم رجع عنه لمذهب السلف – قـالا: "إنه معـنى واحد قـائم بـذات اللـه، وهو الأمر والنهي والخبر والاسـتخبار، إن عُــبر عنه بالعربية كـان قرآنًـا، وإن عُــبر عنه بالعبرية كان توراة"، وعند الماتريدي: "أن كلامه تعـالى يتضـمن معـنى قائمًا بذاته لا يُتصور أن يُسمع، هو: ما خلقه في غيره من هواء ونحوه".. كذا ذكره ابن أبي العز في شـرحه على الطحاوية ص107، ضـمن تسـعة أقـوال سـاقها في مسألة الكلام.

موقف أهل السنة من كلام الأشاعرة السالف الذكر:

وتجــدر الإشــارة إلى أن ما ذكرنــاه عن (الأشــاعرة) مغــايرٌ تمامًا لمعتقد (أهل السنة)، ذلك أن اعتقـاد أهل السـنة الـذي دل عليه الـوحيَين وآب إليه أبو الحسن الأشعري: أن الله موصوف بصفة الكلام حقيقة، وأنه متكلم - على نحـوٍ لائق به - بكلام، وأنه يتكلم بمشيئته واختياره بما شاء متى شاء كيف شاء، بحـرف وصـوت مسموع وبكيفية لا نعلمها، إذ لا يُعقل ولا يُتصور أن يكــون ثمة كلام على الحقيقة بغيرهما، وقد وصف تعالى كتابه بأنه ﴿**بلسان عربي مبين**﴾ [الشـعراء :195]، فمعــنى كلامه معــروف ومعلــوم، وأما الكيفيــة: فهي - كذاته وكســائر صــفاته- مجهولة لنا، وأن كلامه أحسن الكلام لا يشبه كلام المخلـوقين، بل هو صـفة أزلية قائمة به سـبحانه غـير بائنة ولا منفكة عنـه، لم يـزل ولا يـزال يكلِّم به مَن شـاء، ويُسمعه على الحقيقة مَن شاء بصوت نفسه، لم تتجدد له هذه الصــفة، ولم يكن ليَحْدُث له وصف الكلام بعد إن لم يكن متكلمًـا، بل كونه متكلمًا بمشـيئته هو من لــوازم ذاته المقدســة، كما كلم موسى ونـاداه حين أتـاه بصـوت نفسه فسـمعه

سـؤال:

فإن قال قائل: معنى قول الله: (أن يقـول له كن فيكـون): إنما يكون فيكون.. **قيل:** الظاهر أن يقول لـه، ولا يجـوز أن يكـون قـول الله للأشـياء كلها (كـوني)، هـو: الأشـياء؛ لأن هـذا يـوجب أن تكون الأشياء كلها كلاما لله عز وجل، ومن قال ذلك أعظم الفرية؛ لأنه يَلزمه أن يكون كل شيء في العالم من إنسان وفرس وحمـار وغير ذلك كلام الله، وفي هذا ما فيه.

فلما استحال ذلك؛ صح أن قول الله للأشياء: (كوني)، غيرهـا.. وإذا كان غير المخلوقات فقد خرج كلام الله عز وجل عن أن يكون

موسى عليه السلام.

وإن كـان نـوع كلامه تعـالى قـديمًا فـإن آحـادَه وإحـداثَ فعلـه، متجـددٌ وهو غـير مخلـوق، فقد كلم الله موسى حين جـاء ولم يكن كلمه قبل ذلـك.. وفي هـذا ردٌّ على من ما زعموه من أن كلامه سبحانه معنىً واحدٌ قـائم بـالنفس لا يُتصـور أن يُسمع، وإنه يَخْلُق الصوت في الهواء، أو أنه يتضمن معنى قائمًا بذاته هو ما خلقه في غيره على ما نص على ذلك الماتريدي.

ويعتقد أهل السـنة أن كلامه تعـالى صـفة له قائمة بـه، لا ابتـداء لاتصـافه بها ولا انتهاء، فكلماته لا نهاية لها، وأن من كلامـه: (القـرآن والتـوراة والإنجيـل)، وكلامه كذاته وكسـائر صـفاته، نـؤمن به ونُثبته له ولا نعلم كيفيته ولا نمثله بشـيء من صـفات خلقـه، ليس كمثله شـيء لا في ذاته ولا في صـفاته ولا في أفعالـه، وقد تـواتر على ذلك جميع الأنبيـاء، فكلُّهم على أن نسـبة الكلام إلى الله تقتضي أنه متكلم بكلام وبمشيئة، وأن معنى متكلم: (ذاتٌ، قامت بها صـفة الكلام)، ومن ثم فأممُهم مجمعةٌ كذلك عليه.

وكما أن كلامه تعـالى لائق به لا يشـبه كلام المخلـوقين، فكـذا صـوته لا يشـبه أصـواتهم؛ لا صـوت القـارئ ولا غـيره، فهو سـبحانه متكلم بصـوت كما جـاءت به الأحاديث الصحاح، وليس الصوت المعين قديمًا، بل هو من جنس آحاد الكلام غير مخلـوق، وكـذا هي الحـروف: قديمة العين، لازمة الـذات، ليست متعاقبـة، بل لم تـزل قائمة مقترنة بذاته لا تُسـبق.. فمن شـبه الله بخلقه أو جحد ما وصف به نفسه فقد ألحد في أسمائه وآياته.

القـرآن بمعتقد أهل السـنة - والأشـعري بعد تراجعه قد صـار واحـدًا من أئمتهم-: كلام الله تعالى (وإنه لتنزيل رب العالمين):

كما يـؤمن أهل السـنة أن القـرآن جميعه الـذي يقـرأه المسـلمون والـذي في المصحف هو بمجموع حروفه ومعانيه: كلام الله بالحقيقة وهو غير مخلـوق.. وأنه ليس من كلام محمد ولا من كلام جبريـل، وإنما هو كلام الله تكلم بـه، وتلقـاه جبريل عن الله وبلّغه، وتلقاه عنه النبي وبلغـه، فهو كلام الله المـنزَّل من عنـده، منه بـدأ وإليه ينتهي، فمن قـال: إن جبريل أخـذه من الهـواء أو من اللـوح المحفوظ، أو إن الله خلقه في شيء وأخذه جبريل من ذلك الشيء فهـو: جهمي معتزلي معطِّل خارج عن الملة، إذ لو كان مخلوقًا أو من كلام غير الله، لاستطاع أحد من الناس أن يأتوا بمثله أو بمثل سـورة منـه، فلما عجـزوا دل ذلك على أنه من كلام الله.

ويؤمنون أنه "كلام الله حقيقـة، في المصـاحف مكتـوب، وفي القلـوب محفـوظ، وعلى الألسـنة مقـروء، وعلى النـبي مـنزَّل، وتلفُظُنا بـالقرآن وأصـواتُنا بـه، من

مخلوقًا، ويلزم مَن يُثبت كلام الله مخلوقًا أن يثبت الله غـير متكلم ولا قائل، وذلك فاسـد، كما يفسد أن يكـون علم الله مخلوقًـا، وأن يكون الله غير عالم.

فلما كان الله عز وجل لم يـزل عالمًـا؛ إذ لم يَجُز أن يكـون لم يزل بخلاف العلم موصوفًا، استحال أن يكون لم يزل بخلاف الكلام موصوفًا؛ لأن خلاف الكلام الذي لا يكون معه كلام، هو: سـكوت أو آفـة، كما أن خلاف العلم الـذي لا يكـون معه علم: جهل أو شك أو آفة، ويستحيل أن يوصف ربنا عز وجل بخلاف العلم.

وكـــذلك يســـتحيل أن يوصف بخلاف الكلام من الســـكوت والآفات، فوجب لذلك أن يكون لم يزل متكلمًا، كما وجب أن يكون لم يزل عالمًا.

دليل آخر: وقال الله تعـالى: **﴿قل لو كـان البحر مـدادًا لكلمـــات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمـــات ربي﴾** [الكهف :109]، فلو كـانت البحـار مـدادًا للكتبة لنفـدت البحـار وتكسَّرت الأقلام ولم يلحق الفناء كلمـات ربي، كما لا يلحق الفنـاء

أعمالنا المخلوقة، وكتابتُنا وقراءتُنا له مخلوقة، والقرآن غـير مخلـوق.. وما ذكـره الله في القرآن حكاية عن موسى وغـيره، وعن فرعـون وإبليس، فـإن ذلك كلام الله إخبارًا عنهم، وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلـوق، فلما كلم سـبحانه موسى كلمه بكلامه الـذي هو من صـفاته لم يـزل، وصـفاته كلها خلاف صـفات المخلوقين، يَعلم لا كعلمنا ويَقـدر لا كقـدرتنا ويـرى لا كرؤيتنا ويتكلم لا ككلامنـا"، كذا بشرح الطحاوية ص114.

وعبارة البخاري في (خلق أفعال العباد): "حركاتُهم وأصواتُهم وأكسابُهم وكتابتُهم مخلوقـة، فأما القـرآن المتلو المُبَيَّن المُثبت في المصـاحف المسطور المكتـوب الموعَى في القلـوب، فهو كلام الله ليس بخلـق.. قـال ابن راهويـه: فأما الأوعية فمن يشك في خلقها؟!، قـال تعـالى: **﴿وكتاب مسـطور. في رق منشـور﴾** [الطور :2، 3]، وقال: **﴿بل هو قرآن مجيد. في لوح محفوظ﴾** [الـبروج : 22]، فذكر أنه يُحفظ ويُسَطَّر.. فأما المداد والورق ونحوه فإنه خَلْـق، كما تكتب (الله)، فالله في ذاته هو الخالق، وخطك من فعلك وهو خلق"، وكان البخـاري قد ساق قبلُ، حديث حذيفة رفعه: "إن الله يصنع كل صـانع وصـنعته)" معلِّقًا بقولـه: "فـأخبر أن الصـناعات وأهلها مخلوقـة"، وموضِّحًا أن كل شـيء دون الله هو بصُـنعه.. "والمحفـوظ عن جمهـور السـلف - كما جـاء بـالفتح 13/ـ 463-: تـرك الخوض في ذلك والتعمق فيه، والاقتصار على القول بـأن القـرآن: كلام الله وأنه غير مخلوق، ثم السكوت عما وراء ذلك".. وليتهم - أعني الأشاعرة- فعلـوا ذلـك، إذن لأصابوا مذهب السلف، ولأراحوا واستراحوا، ولَمَا ضلوا الطريق.. نسـأل الله أن يبصرنا بعيوبنا وأن يهدنا وشيوخنا سبيل الرشاد، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

[1](?) وأمر الله: كلامه وقوله للشيء (كن)

[1](?) يعـني: وثبت أن الـواو فيها للمغـايرة، وليست من قبيل عطف الخـاص على العام كما قد يُتَصور في آية البقرة





علم الله تعـــالى، ومن فَنِيَ كلامه لحقته الآفـــات وجــــرى عليه السكوت، فلما لم يجز ذلك على ربنا - سـبحانه - صح أنه لم يـزل متكلمًا؛ لأنه لو لم يكن متكلمًا لوجب السكوت والآفات، تعالى ربنا عن قول الجهمية علوًا كبيرًا.

فصـــــــل:

وزعمت الجهمية - كما زعمت النصـارى - أن كلمة الله تعـالى حواها بطن مـريم رضي الله عنها، وزادت الجهمية عليهم فـزعمت أن كلام الله مخلـوق حل في شـجرة، وكـانت الشـجرة حاوية لـه؛ فلزمهم أن تكون الشـجرة بـذلك الكلام متكلمـة، ووجب عليهم أن مخلوقًا من المخلــوقين كلَّم موسى عليه الســلام، وأن الشــجرة قالت: يا موسى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني[1].

فلو كان كلام الله مخلوقًا في شـجرة لكـان المخلـوق قـال: يا موسى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني، وقد قال تعـالى: **ولكن حق القـــول مــــني لأملأن جهنم من الجنة والنـــاس أجمعين** [السجدة :13] وكلام الله من الله تعـالى، فلا يجـوز أن يكون كلامه الذي هو منه مخلوقًا في شجرة مخلوقـة، كما لا يجـوز أن يكون علمه الذي هو منه مخلوقًا في غيره، تعـالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ويقال لهم:

كما لا يجوز أن يخلق الله إرادته في بعض المخلوقـات، كـذلك لا يجوز أن يخلق كلامه في بعض المخلوقات، ولو كـانت إرادة الله مخلوقة في بعض المخلوقات لكـان ذلك المخلـوق هو المريد لهـا، وذلك يسـتحيل، وكـذلك يسـتحيل أن يخلق الله كلامه في مخلـوق؛ لأن هذا يوجب أن ذلك المخلوق متكلم به، ويستحيل أن يكون كلام الله كلامًا للمخلوق.

دليــل آخـر:

ومما يُبطل قولَهم: أن الله قال مخبرًا عن المشـركين أنهم قـالوا: **إن هذا إلا قول البشر** [المـدثر :25] يعـني: القـرآن.. فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد جعله قولًا للبشر، وهـذا ما أنكـره الله على المشركين.

وأيضا فلو لم يكن الله متكلمًا حـــتى خلق الخلق ثم تكلم بعد ذلك لكـانت الأشـياء قد كـانت لا عن أمـره ولا عن قولـه، ولم يكن

[1] (?) وفيه ردٌّ على من نحا من متأخري الأشـاعرة منحى الجهمية وقـال في هـذه المســألة بمثل قــولهم، فــدعاوى الأشــعرية على: نفي كلام الله لموسى عليه السـلام بالكليـة، بـزعم أن كلام الله معنى واحد لا يُتصـور أن يتبعض أو يُسـمع.. ودعــاوى الماتريدية على: أن حصــول ذلك إنما كــان بخلقه تعــالى الصــوت في الهواء.. كبرت كلمة خرجت من أفواههم إن يقولـون إلا كـذبًا، إذ لازم كلامهم إما تكـذيب الله في قرآنـه، وإما أن الشـجرة الـتي كلم الله موسى عنـدها هي الـتي قـالت: **إني أنا ربـك** [طه :12]ـ **إنــني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبـدني وأقم الصلاة لذكري** [طه: 14]، وهل هذا وذاك إلا من الضلال المبين؟





قائلًا لها (كوني).. وهذا رد للقرآن، والخروج عما عليه جمهــور أهل الإسلام.

فصـــــــــل:

واعلمـــوا - رحمكم الله - أن قـــول الجهميـــة: (إن كلام الله مخلوق)، يلزمهم به أن يكون الله تعالى لم يـزل كالأصـنام الـتي لا تنطق ولا تتكلم، لو كان لم يـزل غـير متكلم؛ لأن الله تعـالى يخـبر عن إبـراهيم عليه السـلام أنه قـال لقومه لما قـالوا لـه: ﴿**أأنت فعلت هذا بألهتنا يا إبراهيم. قال بل فعله كبـيرهم هـذا فاسألوهم إن كـانوا ينطقـون**﴾ [الأنبيـاء :62ـ 63]، فـاحتج عليهم بـأن الأصـنام إذا لم تكن ناطقة متكلمة لم تكن آلهــة، وأن الإله لا يكـون غـيرَ نـاطقٍ ولا متكلم، فلما كـانت الأصـنام الـتي لا يستحيل أن يحييها الله وينطقها لا تكون آلهة، فكيف يجوز أن يكون من يستحيل عليه الكلام في قِدَمِه إلهًـا؟ تعـالى الله عن ذلك علـوًّا كبـيرًا.. وإذا لم يجز أن يكـون الله ﻷ في قِدَمِه بمرتبـةٍ دون مرتبة الأصنام التي لا تنطق؛ فقد وجب أن يكون الله لم يزل متكلمًا.

دليــل آخـر:

وقد قـال الله تعـالى مخـبرا عن نفسـه، أنه يقـول يـوم القيامـة: ﴿**لمن الملك اليوم**﴾ [غـافر :16]، وجـاءت الرواية[1] أنه يقـول هذا القول ولا يَرُدُّ عليه أحدٌ شيئًا، فيقول: ﴿**لله الواحد القهـار**﴾ [غافر :16]، فإذا كان الله قائلا مع فناء الأشـياء - إذ لا إنسـان ولا ملك ولا حي ولا جـانّ ولا شــجر ولا مـــدر- فقد صح أن كلام الله خارج عن الخلق؛ لأنه يوجد ولا شيء من المخلوقات موجود.

دليل آخـــر: وقد قـــال الله تعـــالى: ﴿**وكلم الله موسى تكليمًا**﴾ [النسـاء :164]، والتكليم هـو: المشـافهة بـالكلام[2]، ولا

[1] (?) ونصها: (ينادي منادٍ بين يدي الصيحة: يا أيها الناس أتتكم الساعة، فيسمعها الأحيـاء والأمـوات، قـال: ويـنزل الله ﻷ إلى السـماء الـدنيا فينـادي: لمن الملك اليوم.. الحديث)، وقد أخرجه عبد الله بن أحمد في السـنة (220)، والحـاكم (2/ 475) واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (366) جميعًا من حديث سليمان الـتيمي عن أبي نضرة عن ابن عباس، ورجاله ثقات وسنده صحيح، وله شواهد أخرى

[2] (?) وبصوت وحرف ولفظ تليق بجلاله من غير تكييف ولا تعطيل ولا ما يشـبه ما للمخلوقين، وإجماع أهل السنة على ذلك خلافًا للأشعرية.

وممن جاء التصـريح منهم بإثبـات ما سـبق في كلامه تعـالى: وائل بن داود التيمي التابعي، قـال في قوله تعـالى: ﴿**وكلم الله موسى تكليمًا**﴾ [النسـاء : 164]: "مشافهة.. مرارًا"، وبنحـوٍ من ذلك جـاء عن نـوح بن أبي مـريم، كـذا في (السـنة) لعبد الله بن الإمـام أحمد (546، 547)..ـ وفيها (533، 534) عن أبيه أحمد قوله - لقــوم يقولــون: (لمّا كلم الله موسى لم يتكلم بصــوت)-: "بلى إن ربك تكلم بصـوت، هـذه الأحـاديث نرويها كما جـاءت"، وقوله - بعد استشـهاده بحديث ابن مسعود (إذا تكلّم الله، سُمع له صوت كجرِّ السلسلة على الصـفوان)

يجــوز أن يكــون كلام المتكلم حــالًّا في غــيره، مخلوقًا في شــيء سواه، كما لا يجوز ذلك في العلم.

دليــل آخــــر: وقــال الله تعــالى: **قل هو الله أحــد. الله الصمد. لم يلد ولم يولـد. ولم يكن له كفُـوًا أحد** [سـورة الإخلاص]، فكيف يكون القرآن مخلوقًا وأسـماء الله في القـرآن؟! هـذا يـوجب أن تكـون أسـماء الله مخلوقـة، ولو كـانت أسـماؤه مخلوقة لكانت وحدانيته مخلوقة، وكذلك علمه وقدرته، تعـالى الله عن ذلك علوا كبيرًا.

-: "وهذا، الجهمية تنكره؛ هؤلاء كفار يريدون أن يموِّهوا على الناس، من زعم أن الله لم يتكلم فهو كافر، ألا إنّا نروي هذه الأحاديث كما جـاءت"، يعـني: إثبـات بلا كيف.

يقــول ابن الموصــلي في مختصر صــواعق ابن القيم ص506 بعد أن ذكــر: كلام أحمد في حــديث ابن مســعود الفــائت، وكلام البخــاري في أحــاديثِ تكلُّمِ الله بالصوت: "فهذان إماما أهل السنة على الإطلاق، وكلُّ أهل السنة والحــديث على قولهمــا، وقد صــرح بــذلك وحكــاه إجماعًــا: حــرب بن إســماعيل صــاحب أحمد وإســحاق، وصــرح به ابن أصــرم النســائي، وابن حــاتم المصيصــي، وأبو داود السجســتاني صــاحب السـنن، وابنه أبو بكـر، وقد احتج الإمـام أحمد بحـديث ابن مسعود وغيره، وأخبر أن المنكرين لذلك هم الجهمية"، وكـان ابن القيم قد سـاق المزيد من الأحــاديث المثبِتة للصــوت، وذكر إنكــار أحمد والبخــاري لمن نفي الصوت والحرف، وأنهما قد ساقا في ذلك الأحاديث، كما ذكر تصريح ابن القاسم صــاحب مالك في رســالته في الســنة: من أن الله يتكلم بصــوت، وتصــريح ابن سالم شيخ سهل التستري، وابن خزيمة، والسجزي، والطلمنكي.

وعن أحمد من رواية يعقــوب بن بختــان قولُه - وقد ســئل عمن زعم أن الله لم يتكلم بصوت؟-: "بلى يتكلم بصوت"، كذا في طبقات الحنابلة 1/ـ 415.. وأخـرج الخلال عن المروزي قال: "سمعت أحمد - وقد قيل له: إن عبد الوهــاب قد تكلم وقــال: (من زعم أن الله كلم موسى بلا صــوت فهو جهمي، عــدو الله وعــدو الإسلام)- فتبسم الإمام أحمد وقال: (ما أحسن ما قال!؛ عافاه الله)".. وقـال أبو يعلى في (المســائل والرســائل): "وقد نص أحمد في رواية الجماعة على إثبــات الصــوت".. كما ذكر التميمي في اعتقــاد أحمد ص124 قولــه: "وأن الله تكلم بالصوت والحرف".

وممن أثبت الحرف والصوت الحارث المحاسبي ت243، نقل ذلك عنه الكُلاباذي في كتابه (التعـرف لمـذهب أهل التصـوف)، وفيه في البـاب العاشر ص53 تحت عنــوان (اختلافهم في الكلام ما هــو؟)، ما نصــه: "وقــالت طائفة منهم: كلام الله حرف وصوت، وأنه لا يُعـرف كلامه إلا بـذلك، مع إقـرارهم أنه صـفة لله في ذاته غير مخلوق، وهذا قول الحارث المحاسبي"إ.هـ.

وللإمام البخاري ت256 في (خلق أفعال العباد) ما نصه: "ويُذكر عن النـبي ﷺ :أن الله ينادي بصوتٍ يَسمعه من بَعُد كما يَسمعه مَن قَـرُب، فليس هـذا لغـير اللـه"، قال: "وفي هذا دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق، لأن صوت الله يُسمع مِن بُعْد كما يُسـمَع مِن قــرب، وأن الملائكة يصـعقون من صـوته، فـإذا تنـادى الملائكة لم يصـعقوا، وقـال تعـالى: **فلا تجعلـوا لله انـدادًا** [البقـرة :22]،





دليــل آخــر:

وقد قــال الله تعــالى: ﴿**تبــارك اسم ربك**﴾ [الــرحمن :78] ولا يقال لمخلوق (تبارك)، فدل هذا على أن أسماء الله غير مخلوقة.

وقــال: ﴿**ويبقى وجه ربك**﴾ [الــرحمن :27].. فكما لا يجــوز أن يكــون وجه ربنا مخلوقــا، فكــذلك لا يجــوز أن تكــون أســماؤه مخلوقة.

دليــل آخــر: وقد قــال الله تعــالى: ﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولــوا العلم قائمًا بالقسط**﴾ [آل عمــران:

فليس لصفة الله ند ولا مثل، ولا يوجد شيء من صفاته في المخلوقين"إ.هـ.

وللإمام ابن سريج ت303 فيما نقله عنه ابن القيم في اجتماع الجيوش ص174، قوله - بعد أن ســرد جملة من صــفات الله الثابتة له في القــرآن والســنة، وذكر (المجيء والإتيان والفوقية) وغيرها-: "وإثبات الكلام بالحرف والصــوت وباللغــات والكلمات والسور".

ونذكر ممن نص على هذا: البربهاري إمامَ أهل الســنة في عصــره ت329، قــال في كتابه شــرح الســنة: "والقــرآن كلام الله وتنزُّلُه ونــوره، وليس بمخلــوق، لأن القرآن من الله وما كان من الله فليس بمخلوق، هكذا قال مالك وأحمد والفقهاء قبلهما وبعدهما"، ثم ذكر أن من الســنة: "الإيمــان بــأن الله هو الــذي كلم موسى يوم الطور، وموسى يسمع من الله الكلام بصــوت وقع في مســامعه منــه، لا من غيره، فمن قال غير هذا فقد كفر بالله العظيم".

أئمة أهل السنة بمختلف العصـــور المتعاقبة على إثبـــات الحـــرف والصوت :

وللآجري الإمام الحافظ الشــافعي ت360 قوله في الشــريعة ص288: "من زعم أن الله لم يكلم موسى فقد رد نص القــرآن وكفر بالله العظيم، فــإن قــال منهم قائل: إن الله خلق كلامًا في الشــجرة فكلم به موسـى، قيل لــه: هــذا هو الكفــر، لأنه يزعم أن الكلام مخلــوق وأن مخلوقًا يَــدَّعي الربوبيــة، وهــذا من أقبح القــول وأسمجه، وقيل له: يا ملحد، هل يجوز لغير الله أن يقول: (إنــني أنا اللــه)؟، نعــوذ بالله أن يكون قائل هذا مسـلمًا، هـذا كــافر يســتتاب فــإن تــاب ورجع عن مذهبه السوء وإلا قتله الإمام، فإن لم يقتله الإمام ولم يستتبه وعُلم منه أن هذا مذهبــه، هُجر ولم يُكلَّم ولم يُسَلّمْ عليــه، ولم يُصَــلّ خلفــه، ولم تقبل شــهادته، ولم يزوجْه مسلــمٌ كريمتَــه".. ويقــول شــيخَ الإســلام الهــروي ت481، في كتابه (ذم الكلام وأهله) 5/ـ 136 - كالمستنكر على الأشاعرة نفيهم للحرف والصوت-: "ثم قــالوا ليس له صوت ولا حروف".

وللأصبهاني إمامُ الشافعية في وقته ت535، في كتابه (الحجة) 2/ 515 - وبنحوه 2/ـ 312- وتحت عنوان: (الدليل على أن القرآن مــنزل وأنه ما يقــرؤه القــارئ – خلافًا لمن يقول: كلام الله ليس بمنزَّل ولا حرف ولا صــوت) -: قوله معلقًــا: "إن قيل: (المتكلم بحرف وصوت يحتاج إلى أدوات الكلام)، فقل: (عدم أداة الكلام لا يمنع من ثبــوت الكلام، كما أن عــدم آلة العلم لا يمنع من ثبــوت العلم)".. ثم ذَكَر "قوله تعالى: ﴿**حتى يسمع كلام الله**﴾ [التوبة :6]، والمسموع إنما هو الحرف والصوت، لأن المعنى لا يُسمع، بل يُفهم، يقال في اللغة: (سمعتُ الكلام وفهمتُ

18] ولا بد أن يكون شهد بهذه الشـهادة، وسـمعها من نفسـه؛ لأنه إن كان سمعها من مخلوق فليست شهادة له، وإذا كانت شهادة له وقد شهد بها فلا يخلو أن يكون شهد بها قبل كـون المخلوقـات؛ أو بعد كون المخلوقات.

فإن كـان شـهد بها بعد كـون المخلوقـات؛ فلم يسـبق شـهادته لنفسه بإلهية الخلـق، وكيف يكـون ذلك كـذلك؟ وهـذا يـوجب أن التوحيد لم يكن يشهد به شاهد قبل الخلق، ولو استحالت الشـهادة بالوحدانية قبل كـون الخلق لاسـتحال إثبـات التوحيد ووجـوده، وأن يكون واحدًا قبل الخلق؛ لأن ما يستحيل الشهادة عليه فمسـتحيل..

المعـنى)، فلما قـال: (حـتى يَسـمع)، دل على أنه حـرف وصـوت.. وقولـه: ﴿**وإذ صـرفنا إليك نفـرًا من الجن يسـتمعون القـرآن فلما حضـروه قـالوا أنصتوا**﴾ [الأحقاف :29]، وإنما يُنصت إلى الحـروف والأصـوات.. وقولـه: ﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن**﴾ [الإسراء : 88]، وهذا عند جميع أهل اللغة إشارة إلى شيء حاضـر، وما في النفس لا يصح الإشـارة إليـه، ولأن الله قد تحـدى العـرب بـأن يـأتوا بمثلـه، ولا يتحـداهم إلا بما سمعوه من الحرف والصوت".إ.هـ.

وقد سـبق أن ذكرنا له قوله في الحجة 1/ـ 429: "القـرآن كلام الله مـنزَّل غـير مخلـوق، منه بـدا وإليه يعـود، تكلم به في القِـدم بحـرفٍ وصـوت، حـرفٌ يُكتب وصوتٌ يُسمع ومعنىً يُعلم، وقالت المعتزلة: القرآن مخلـوق، وقـالت الأشـعرية: كلام الله ليس بحـرف ولا صـوت، وإنما هو معـنى قـائم في نفسه لم يَـنزل على نبينا ولا على غـيره، وما نقـرأه هو عنـدهم مخلـوق، فالدلالـةُ على بطلان قـول المعتزلة - وكذا الأشعرية النافين عن كلامه تعـالى اللفـظ، والمنكـرين أن يكـون بصوت وحرف -:

قولُه تعـالى: ﴿**إنما أمرنا لشـيء إذا أردنـاه أن نقـول له كن فيكـون**﴾ [النحل :40]، فأخبر تعـالى أنه كـوّن الأشـياء بــ (كن)، فلو كـانت (كن) مخلوقة لاحتاجت إلى (كن) أخرى تُخلق بها، وأخـرى إلى أخـرى إلى مـالا نهايـة، فيُفضِـي إلى قِدَم المخلوقات.. وقولُه: ﴿**وإن أحد من المشركين اسـتجارك فـأجره حتى يسمع كلام الله**﴾ [التوبة :6]، والمسـموع إنما هو الحـرف والصـوت لا المعنى، ولأن الاستجارة إنما حصلت للمشـركين بشـرط اسـتماع كلام اللـه، فلو كـان ما سـمعوه من النـبي ليس بكلام الله لم تحصل الاسـتجارة لهم.. وقولـه: ﴿**فلما أتاها نودي من شاطئ الـواد الأيمن**﴾ [القصص :30]، والنـداء عند جميع أهل اللغة لا يكون إلا بحرف وصوت"، إلى أن قال: "وقد أجمع أهل العربية أن ما عدا الحروف والأصـوات ليس بكلام حقيقـة".. إلى آخر ما سـبق أن نقلنـاه عنه في مقدمة الكتاب.

وفي قصة حكاها الذهبي في العلو ص194 عن مناظرة جرت بين الإمام القــدوة أبي البيــان محمد بن محفــوظ اللغــوي ت551 ورجل يُـدعى ابن تميم، قـال له الشيخ بعد كلام جـرى بينهمـا: "وَيْحـك؛ الحنابلة إذا قيل لهم: (ما الـدليل على أن القرآن بحرف وصوت؟)، قالوا: (قال الله كذا وقال رسـوله كـذا.. وسـرد الشـيخ الآيات والأخبار)، وأنتم إذا قيل لكم: (ما الـدليل على أن القـرآن معـنى قـائم في النفس؟)، قلتم: (قال الأخطل: إن الكلام لفي الفؤاد)؛ ما هذا الأخطل؟! نصراني خبيث، بنيتم مذهبكم على بيت شعر من قوله وتركتم الكتاب والسنة!".

وإن كـانت شـهادته لنفسه قبل الخلق بالتوحيد فقد بطل أن يكـون كلام الله تعالى مخلوقًا؛ لأن كلام الله شهادته.

دليــل آخــر:

ومما يـدل عليه بطلان قـول الجهميـة، وأن القـرآن كلام الله غـير مخلـوق: أن أسـماء الله من القـرآن، وقد قـال الله - سـبحانه -: ﴿**سـبح اسم ربك الأعلى. الـذي خلق فسـوى**﴾ [الأعلى :1-2] ولا يجـوز أن يكـون ﴿**سـبح اسم ربك العلى. الـذي خلق فسوى**﴾ مخلوقًا، كما لا يجـوز أن يكـون (جد ربنـا) مخلوقـا، قـال

علق الذهبي يقول: "نعم.. يكفي المسلم - في مسألة الكلام- أن يـؤمن بـالقرآن العظيم وأنه كلام الله غير مخلوق، وأنه عين ما تكلم به، فهو منشيه ومبتديه، مع اعترافنا بـأن تلاوتنا له وأصـواتنا وتلفظنا به مخلـوق، وتكلُّمُ الـرب به صـفةٌ من صفاته التي من لـوازم ذاته المقدسـة، فلا يُعلم كيفية ذلـك، وكلمـات الله لا تنفد ولو كان البحر مدادًا لها ويمده من بعـده سـبعة أبحـر، فكلامه من علمه وعلمه لا يتناهى، فلا نحيط بشيء من علمه إلا بما شاء"إ.هـ

ولأبي محمد عبد القـادر الجيلاني ت561 في كتابه الغنية ص77 وما بعـدها، قوله - بعد حديث مسـتفيض عن صـفة الكلام وأن القـرآن غـير مخلـوق -: "ونعتقد أن القـرآن حـروف مفهومة وأصـوات مسـموعة، لأن بها يصـير الأخـرس والسـاكت متكلمًا ناطقًـــا، وكلام الله لا ينفك عن ذلــــك، فمن جحد ذلك فقد كـــابر حسه وعميت بصيرته، قال الله تعالى: ﴿**الم**﴾ ، ﴿**حم**﴾، ﴿**طسم تلك آيات الكتـاب**﴾ [الشـعراء :1] فقد ذكر حروفًا وكـنى عنها بالكتـاب".. إلى أن قـال بعد أن سـاق الأدلة على كل هـذا: "وهـذه الآيـات والأخبـار تـدل على أن لكلام الله صـوت لا كصوت الآدميين.. وكما أن علمه وقدرته وبقية صفاته لا تشـبه صـفات الآدمـيين، فكذلك صوته، وقد نص أحمد على إثبات الصوت في رواية جماعة من الأصـحاب خلاف ما قالت الأشعرية من أن كلام الله معـنى قـائم بنفسـه، والله حسـيب كل مبتـدع ضـال، فالله لم يـزل متكلمًا وقد أحـاط كلامه بجميع معـاني الأمر والنهي والاستخبار".

وممن أثبت الصوت والحرف في كلام الله منزهًا الله عن الشبِيهِ: تقيُّ الدين عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ت600، قال في كتابه (الاقتصـاد في الاعتقـاد): "ونعتقد أن الحروف المكتوبة والأصوات المسـموعة: عين كلام الله لا حكايـةً ولا عبـارةً.. ومن أنكر أن يكـون حروفًا فقد كـابر وأتى بالبهتـان، وروى الترمـذي من طريق ابن مسعود: (من قرأ حرفًا من كتاب الله فله عشر حسـنات)".. ثم سـاق الأدلة في ذلك إلى أن قال: "وأجمع أئمة السلف والمقتـدى بهم من الخلف على أنه غير مخلوق، ومن قال: (مخلوق)، فهو كافر"، قال: "وقول القائل بأن الحرف والصوت لا يكون إلا من مخارج: باطل ومحال، قال تعالى:﴿**يوم نقـول لجهنم هل امتلأت وتقـول هل من مزيد**﴾ [ق :30]، وقـال إخبـارًا عن السـماء والأرض: ﴿**أتينا طـائعين**﴾ [فصلت :11]، فحصل القـول من غـير مخـارج ولا أدوات".. وشيخ حنابلة عصـره أبو الفـرج المقدسي ت682، قـال في (جـزء في امتحـان السـني من البـدعي): "أهل السـنة والجماعة - السـلف الصـالح وأئمة المسلمين- يعتقدون: أن الله تكلم بـالقرآن بحـرف وصـوت، سـمعه منه جبريـل، ومحمد عليهما السلام سمعه من جبريل بصوت جبريل، والصحابة سمعوا القـرآن

الله تعالى: قال تعالى: **وأنه تعالى جد ربنا** [الجن :3]، وكما لا يجـوز أن تكـون عظمته مخلوقة كـذلك لا يجـوز أن يكـون كلامه مخلوقًا.

دليـــل آخـــــر: وقد قــال الله تعــالى: **وما كــان لبشر ان يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجــاب أو يرسل رســولًا فيـوحي بإذنه ما يشـاء** [الشـورى :51] فلو كـان كلام الله لا يوجد إلا مخلوقًا في شيء مخلوق؛ لم يكن لاشتراط هـذه الوجـوه معنى؛ لأن الكلام قد سمعه جميع الخلق ووجدوه - بزعم الجهميّة - مخلوقًا في غـير الله تعـالى، وهـذا يـوجب إسـقاط مرتبة النبـيين صلوات الله عليهم أجمعين.

ويجب عليهم إذا زعمـــــــــوا أن كلام الله لموسى خلقه في شـجرة[1]؛ أن يكـون من سـمع كلام الله عز وجل من ملك أو من نـــبي أتى به من عند اللـــه، أفضل مرتبة من ســـماع الكلام من موســى؛ لأنهم سـمعوه من نـبي ولم يسـمعه موسى من الله عز وجل، وإنما سمعه من شـجرة، وأن يزعمـوا أن اليهـودي إذا سـمع كلام الله من النبي ﷺ أفضل مرتبة في هذا المعنى من موسى عليه السلام؛ لأن اليهودي سمعه من نبي من أنبياء الله، وموسى سمعه مخلوقًا في شـــجرة، ولو كـــان مخلوقًا في شـــجرة لم يكن مكلمًا لموسى من وراء حجاب؛ لأن من حضر الشـجرة من الجن والإنس

من النبي بصوته، فالكلام المتلو هو كلام اللـه، وأما الصـوت فهو صـوت القـارئ، لذا قال السلف: (الكلام كلام الباري والصوت صوت القاري)".

وكذا الحافظُ ابن رجب الحنبلي ت795، قال في رده على من أنكر على الحافظ عبد الغني المقدسي إثباته الصـوت للـه، وأن هـذا مخـالف لمعتقد الإمـام أحمـد: "وأما إنكـار إثبـات الصـوت عن الإمــام الــذي ينتمي إليه الحافـظ، فمن أعجب العجب، وكلامه - أي: أحمد- في إثبات الصوت كثير جِدًا"، ثم ذكر الآثـار في ذلـك، كذا في الـذيل على طبقـات الحنابلة 2/ـ 24.. ومن قبله ابن أبي العز الحنفي ت 792، قال في شرح الطحاوية ص107 وقد ذكر افتراق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال، قال:

"وتاسعها: أنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو متكلم به بصـوت يُسـمع، وإن نـوع الكلام قـديم وإن لم يكن صـورة المعين قـديمًا، وهو المأثور عن أئمة الحديث والسنة"، وقد نقله ملا على القاري ولم يُتبعْه بشيء.

بل إنه "لم يُنقل عن أحد من أئمة السلف أنه قال: إن الله يتكلم بلا صــوت أو بلا حــرف، ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصــوت أو بحــرف، كما لم يقل أحد منهم: إن الصوت الذي سمعه موسى قديم، ولا أن ذلك النداء قديم، ولا قال أحد منهم: إن هذه الأصوات المسـموعة من القـراء هي الصـوت الـذي تكلم الله بـه، بل الآثـار مستفيضة عنهم بالفرق بين الصوت الذي يتكلم الله به وبين أصوات العبـاد" كـذا نص عليه ابن قزار في رسالته (الأشاعرة في ميزان أهل السنة) ص483

[1] (?) وقد ادعت ذلك تبعًا للجهمية وتبنته: طائفة الماتريدية.





قد سمعوا الكلام من ذلك المكان، وكان سـبيل موسى وغـيره في ذلك سواء في أنه ليس كلام الله له من وراء حجاب.

مســـألة:

ثم يقــال لهم: إذا زعمتم أن معـــنى أن الله ¸ كلم موسى أنه خلق كلامًا كلمه به في الشـجرة وقد خلق الله عنـدكم في الـذراع كلامًا؛ لأن الذراع قالت لرسول الله ﷺ : (لا تأكلني فإني مسـمومة)[1]، فيلزمكم أن ذلك الكلام الذي سـمعه النـبي ﷺ كلام الله تعـالى، فإن استحال أن يكون الله تكلم بذلك الكلام المخلوق، فما أنكـرتم من أنه يســتحيل أن يخلق الله عز وجل كلامه في شــجرة؛ لأن الكلام المخلوق لا يكون كلامًا لله.

فإن كان كلام الله وكـان معـنى أن الله تكلم عنـدكم: أنه خلق الكلام؛ فيلــزمكم أن يكــون الله متكلمًا بــالكلام الــذي خلقه في الذراع، فإن أجابوا إلى ذلك؛ قيل لهم: فالله تعالى على قـولكم هو القائــل: (لا تــأكلني فــإني مسـمومة).. تعــالى الله عن قــولكم وافترائكم عليه علوًّا كبيرًا.

وإن قــالوا: لا يجــوز أن يكــون كلام الله مخلوقًا في ذراع، **قيل لهم**: وكذلك لا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقًا في شجرة.

ثم يُسـألون عن الكلام الــذي أنطق الله تعـالى به الـذئب لما أخـبر عن نبـوة النـبي ﷺ.. فيقـال لهم: إذا كـان الله عز وجل يتكلم بكلام خلقه في غيره، فما أنكرتم أن يكون الكلام الذي سـمعه من الذئب كلامًا لله، ويكون إعجازه يـدل على أنه كلام اللـه، وفي هـذا ما يجب عليهم أن الـذئب لم يتكلم بــه، وأنه كلام الله تعـالى؛ لأن كون الكلام من الذئب معجز؛ كما أن كونه من الشجرة معجز؛ فإن كان الذئب متكلمًا بـذلك الكلام المنقـول، فما أنكـرتم أن الشـجرة متكلمة بالكلام إن كان خُلق في الشجرة، وأن يكون المخلـوق فيه قال: (يا موسى إني أنا الله).. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ثم يقال لهم: إذا كـان كلام الله عز وجل مخلوقًا في غـيره عندكم، فما يُؤَمّنُكم أن يكون كل كلام تسمعونه مخلوقًا في شيء، وهو حق.. أن يكون كلامًا لله - سبحانه -؟.. **فإن قالوا**: لا تكــون الشــجرة متكلمــة؛ لأن المتكلم لا يكــون إلا حيًّا.. **قيل لهم:** ولا يجـوز خلق الكلام في شـجرة؛ لأن من خلق الكلام فيه لا يكـون إلا حيًّا، فإن جاز أن يخلق الكلام فيما ليس بحيٍّ فلِمَ لا يجوز أن يتكلم من ليس بحيٍّ.

---

[1](?) الحديث رواه البخاري (2617) ومسلم (2190) وأبو داود (4512) وأحمد (1/ 305).

ويقــال لهم: لِمَ لا قلتم: إنه يقــول من ليس بحي؛ لأن الله عز وجل أخــبر أن الســماوات والأرض: ﴿**قالتا أتينا طـائعين**﴾ [فصلت :11].

مســـألة:

ثم يقــال لهم: أليس قد قــال الله ¸ لإبليس: ﴿**وإن عليك لعنــتي إلى يــوم الــدين**﴾ [ص :78]؟.. فلا بد من نعم.. **قيل لهم:** فــإذا كــان كلام الله مخلوقًا وكــانت المخلوقــات فانيــات؛ فيلــزمكم إذا أفــنى الله عز وجل الأشــياء أن تكــون اللعنة على إبليس قد فـنيت، فيكـون إبليس غـير ملعـون، وهـذا تـرك لـدين المســلمين، ورُدٌّ لقوله تعــالى: ﴿**وإن عليك لعنــتي إلى يــوم الدين**﴾ [ص :78].

وإذا كـانت اللعنة باقية على إبليس إلى يـوم الـدين - وهو يـوم الجــزاء، وهو يــوم القيامة - لأن الله تعــالى قــال: ﴿**مالك يــوم الـدين**﴾ [الفاتحة :4] يعـني: يـوم الجـزاء، ثم هي أبـدًا في النـار، واللعنة كلام الله وهو قولــه: (عليك لعنــتي)..فقد وجب أن يكــون الله ¸ لا يجوز عليه الفناء، وأنه غير مخلوق؛ لأن المخلوقـات يجـوز عليها العــدم، فــإذا لم يجز ذلك على كلام الله عز وجل فهو غــير مخلوق.

ثم يقال لهم: إذا كـان (غضب اللـه) غـير مخلـوق، وكـذلك (رضاه وسخطه)، فلِم لا قلتم إن (كلامه) غـير مخلـوق؟ ومن زعم أن غضب الله مخلوق لزمه أن غضب الله وسخطه على الكـافرين يفنى، وأن رضاه عن الملائكة والنبيين يفنى، حـتى لا يكـون راضـيًا عن أوليائه ولا ســـاخطًا على أعدائــــه، وهــــذا هو الخـــروج عن الإسلام[1].

[1] كل هـذا وما سـبقه وما سـيلحق بـه، على نحو ما هو ردٌّ مفحم على الجهمية والمعتزلة، هو كـذلك ردٌّ مفحم على الأشـعرية الـذين عطلـوا صـفة كلامه تعـالى اللفظي

مســـألة:

ويقال: خبِّرونا عن قول الله تعالى: **إنما قولنا لشيء إذا أردناه ان نقول له كن فيكون** [النحل :40]..ـ أتزعمـون أن قوله للشيء: (كن) مخلوقٌ، مرادًا لله؟.. فـإن قـالوا: لا، قيل لهم: فما أنكرتم أن يكون كلام الله الـذي هو القـرآن غـير مخلـوق، كما زعمتم أن قول الله للشيء: (كن) غير مخلوق.

وإن زعموا أن قول الله للشيء: (كن) مخلوق.. **قيل لهم:** فـإذا زعمتم أنه مخلـوقٌ، مــرادًا؛ فقد قــال الله عز وجل: **إنما قولنا لشيء إذا أردناه ان نقـول له كن فيكـون** [النحل : 40]؛ فيلزمكم أن قوله تعالى للشيء: (كن) قال لـه: (كن).. وفي هذا ما يجب أحد أمرين:

إما أن يكون قول الله لغيره: (كن) غير مخلوق، أو يكــون لكل قـولٍ قـولٌ لا إلى غاية وذلك محال.. فـإن قـالوا: إن لله قـولًا غـير مخلوق.. قيل لهم: فما أنكـرتم أن تكـون إرادة الله للإيمــان غــير مخلوقة.

ثم يقال لهم: ما العلة التي إنما قلتم إن قول الله للشــيء: (كن) غـير مخلوق؟.. فـإن قـالوا: لأن القـول لا يقـال لـه: (كن).. فيقـال لهم: القـرآن غـير مخلـوق؛ لأنه قـول اللـه، والله لا يقـول لقوله: (كن).

مسألة في الرد على الجهمية:

ويقال لهم: أليس لم يـزل الله عالمًا بأوليائه وأعدائـه؟.ـ فلا بد من نعم.

قيل لهم: فهل تقولون إنه لم يزل مريـدًا للتفرقة بين أوليائه وأعدائه؟ـ فإن قالوا: (نعم)، قيل لهم: فإذا كانت إرادة الله لم تـزل فهي غـير مخلوقـة، وإذا كـانت إرادته غـير مخلوقة فلِم لا قلتم إن كلامه غير مخلوق؟.

وإن قــالوا: (لا)، نقــول: لم يــزل مريــدًا للتفرقة بين أوليائه وأعدائــــه، زعمـــوا أن الله لا يريد التفرقة بين أوليائه وأعدائــــه، ونسـبوه - سـبحانه - إلى النقص؛ تعـالى عن قـول القدرية علـوًّا كبيرًا.

مســـألة:

ويقــال لهم: إن الشــيء المخلــوق إما أن يكــون بــدنًا من الأبدان، شخصًا من الأشخاص؛ أو يكون نعتًا من نعوت الأشخاص.

فلا يجوز أن يكون كلام الله شخصًا؛ لأن الأشخاص يجـوز عليها الأكل والشـرب والنكـاح، ولا يجـوز ذلك على كلام الله تعـالى.. ولا يجوز أن يكون كلام الله نعتًا لشخص مخلـوق؛ لأن النعـوت لا تبقى

طرفة عين؛ لأنها لا تحتمل البقاء، وهـذا يـوجب أن يكـون كلام الله قد فني ومضى.

فلما لم يجز أن يكون شخصًا ولا نعتًا لشخصٍ لم يجز أن يكون مخلوقـا، على أن الأشـخاص يجـوز أن تموت.. فمن يُثبت كلام الله شخصًـــا مخلوقًا لزمه أن يجـــوِّز المـــوت على كلام الله عز وجل، وذلك ما لا يجوز.

وأيضًا فلا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقًا في شخصٍ مخلـوق، كما لا يجـوز أن يكـون نعتًا لِشـخص مخلـوق، ولو كـان مخلوقًا في شخص ككلام الإنسان مفعولًا فيـه، كـان لا يمكن التفريق بين كلام الله وكلام الخلق إذا كانا مخلوقَين في شخص مخلوق، كما لا يجوز أن يكون علمه مخلوقًا في شخص مخلوق.

ويقال لهم أيضًا: لو كان كلام الله مخلوقًا لكـان جسـمًا أو نعتًا لجسـم، ولو كـان جسـمًا لجـاز أن يكـون متكلمًـا، والله قـادر على قلبهما، وفي هذا ما يلزمهم، ويجب عليهم أن يجوِّزوا أن يقلب الله القـرآن إنسـانًا أو جنيًّا أو شـيطانًا، تعـالى الله عز وجل أن يكـون كلامه كذلك.

ولو كـــان نعتًا لجسم كـــالنعوت؛ فالله قـــادر على أن يجعلها أجسامًا، فكان يجب على الجهمية أن يجوِّزوا أن يجعل الله القـرآن جسمًا متجسدًا، يأكل ويشرب، وأن يجعله إنسانًا ويميته، وهذا ما لا يجوز على كلام الله، تعالى عن ذلك.



الفصل الثاني
في ذكر الرواية في القرآن

قال أبو بكر[(1)]: أتيت أنا والعباس بن عبد العظيم العنبري[(2)]، أبا عبد الله أحمد بن حنبـل؛ فسـأل العبـاسُ أبا عبد الله أحمد بن حنبل – رحمه الله - فقـال لـه: قـوم هاهنا قد حَدَّثوا؛ يقولـون: (القـرآن لا مخلـوق ولا غـير مخلـوق)[(3)].. فقـال: هـؤلاء أضر على الناس من الجهمية الـذين يقولـون: (ويلكم!؛ فـإن لم تقولـوا ليس بمخلـوق فقولـوا: مخلوق).. قـال أبو عبد اللـه: هـؤلاء قـوم سوء.. فقال العباس: ما تقول يا أبا عبد الله؟؛ فقال: (الذي أعتقد وأذهب إليه ولا أشك فيه: أن القرآن غير مخلوق).

ثم قال: (سبحان الله ومن يشك في هذا؟!).

ثم تكلم أبو عبد الله مستعظمًا للشك في ذلك، فقال: سـبحان الله أفي هـذا شـك؟! قـال الله سـبحانه وتعـالى: ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾ [الأعراف :54]، وقال: ﴿**الرحمن. علم القرآن. خلق الإنسان**﴾ [الرحمن :1- 3]، ففَـرَّق بين الإنسـان وبين القـرآن، فقــال: (علَّمَ) (خلَــقَ).. فجعل يعيــدها (علَّم) (خلَــقَ)؛ أي فَــرْقٌ بينهما!.

---

[1](?) يبدو أنه أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الحناط المقرئ، مـولى واصل الأحدب، قيل: اسمه محمد، وقيل: شـعبة، وقيل غـير ذلـك، والصـحيح: أن اسـمه كنيتـه.. روى عن: أبيـه، وأبي إسـحاق السـبيعي، وأبي حصـين عثمـان بن عاصم، وعبد العزيز بن رفيع، وغيرهم.. وروى عنـه: سـفيان الثـوري وأحمد وابن معين وابنا أبي شيبة والوراق وغيرهم.. كان إمامًا كبيرًا عالمًا عاملًا حجة من كبار أهل السنة، وكان يقول :(من زعم أن القرآن مخلوق فهو عندنا كافر زنديق عـدوٌّ لله لا نجالسه ولا نكلمه).. ت193.

[2](?) هو من أهل الاتبــاع وقد عاصر محنة الإمــام أحمد في فتنة خلق القــرآن، وواضح من كلام الأشـعري أنه ممن حرصـوا على توضـيح كل ما يتعلق بمسـألة خلق القرآن وأنه ممن دافعوا عن مذهب السلف في هـذه القضـية.. ينظر الإبانة د: فوقية توفيق ص292.

[3](?)هم الواقفة، وهم فرقة ضالة من فرق الجهمية وقفت وشكّكت في كلام الله وقالت: (لا نقول مخلـوق ولا غـير مخلـوق).. وقد رَدّ عليهم الإمـام أحمد كما في (السـنة) من رواية الخلال (1799) بقوله – عنـدما سُـئل عما يعتقدونه –: "هم أشدّ تربيثًا –أي: تزيينًا– على الناس من الجهميّة، وهم يشكّكون النـاس، وذاك أنّ الجهمية قد بان أمرهم، وهؤلاء إذ قالوا عن الله: (لا يتكلّم)، استمالوا العامّة، إنما هذا يصير إلى قول الجهميّة".. وبقوله بحق من قال: (القرآن كلام الله) ويسكت: "هذا شاك، لا!؛ حتى يقول: غير مخلـوق"، وقولـه: "من شك فقد كفـر"، وقولـه: "فلسنا نشك أن أسماء الله غيرُ مخلوقة، ولسنا نشك أن علم الله غـير مخلـوق، والقرآن من علم الله وفيه أسماء اللـه، لا نشك أنه غـير مخلـوق وهو كلام اللـه، ولم يزل الله متكلمًا" كذا في الإبانة لابن بطة 3/ 322، وغيره.





قال أبو عبد الله: والقـرآن علم اللـه، ألا تـراه يقـول: (علم القرآن) والقـرآن فيه أسـماء الله عز وجل، أيُّ شـيء يقولـون؟ ألا يقولـون: (إن أسـماء الله غـير مخلوقـة، لم يـزل الله قـديرًا عليمًا عزيزًا حكيمًا سميعًا بصـيرًا)؟، لسـنا نشك أن أسـماء الله عز وجل غــير مخلوقــة، لســنا نشك أن علم الله عز وجل غــير مخلــوق، فالقرآن من علم الله وفيه أسماء الله، فلا نشك أنه غـير مخلـوق، وهو كلام الله عز وجل، ولم يزل به متكلمًا.

ثم قال: وأيُّ كفر أكفر من هـذا؟ وأي كفر أشر من هـذا؟ إذا زعموا أن القرآن مخلوق فقد زعموا أنَّ أسـماء الله مخلوقـة، وأن عِلم الله مخلــوق، ولكن النــاس يتهــاونون بهــذا ويقولــون، إنما يقولون: القرآن مخلوق ويتهاونون به ويظنـون أنه هيِّن، ولا يـدرون ما فيه وهو الكفر، وأنا أكره أن أبوح بهـذا لكل أحـد، وهم يسـألون وأنا أكره الكلام في هذا، فبلغني أنهم يدَّعون أني أمسك.

فقلت له: فمن قال القرآن مخلوق ولا يقـول إن أسـماء الله مخلوقة ولا عِلمه ولم يزد على هذا، أقول: هو كافر؟.. فقال أحمد: هكذا هو عندنا.

ثم قــال أبو عبد اللــه: نحن لا[1] نحتــاج أن نشك في هــذا القـرآن، عنـدنا فيه أسـماء الله وهو من علم اللـه، فمن قـال: إنه مخلوق فهو عندنا كافر.

فجعلتُ أردد عليـه، فقـال لي العبـاس - وهو يسـمع - سـبحان الله أما يكفيك دون هذا.. فقال أبو عبد الله: بلى.

وذَكر الحسـين بن عبد الأول، قـال: سـمعت وكيعًا يقـول: من قال: القرآن مخلوق فهو مرتد يستتاب، فإن تاب وإلا قتل.

وذَكر محمد بن الصباح البزار[2]، قال: حـدثنا علي بن الحسـين بن شعبان، قال: سمعت ابن المبارك يقول: إنا نسـتطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية.

قال محمد: نقول: نخاف أن نكفر ولا نعلم.

وذَكر هــارون بن إســحاق الهمــداني[3] عن أبي نعيم، عن سليمان بن عيسى القاري[4]، عن سفيان الثـوري رحمه الله قـال: قال لي حماد بن أبي سليمان: أبلغ أبا حنيفة أني منه بـريء؟ قـال سليمان: ثم قال سفيان؛ لأنه كان يقـول القـرآن مخلوق.. وحاشى

---

[1](?) ورد في بعض مخطوطات الكتاب بـدون ذكر (لا) هـذه.. فيكـون الكلام على الاستفهام الذي يفيد النفي

[2](?) الدولابي، ويكنى بأبي جعفر وكان قد نزل باب الكرخ ومات سـنة 227 ينظر طبقات ابن سعد 7/ 342 والتاريخ الكبير للبخاري 10/ 118.

[3](?) روى عن محمد بن عبد الوهاب أخي فضيل بن عبد الوهاب.. ينظر الطبقات الكبرى لابن سعد 7/ 249.

[4](?) من المحـدثين ورد ذكـره في التـاريخ الكبـير للبخـاري 4/ـ 30, وينظر الإبانة بتحقيق د. فوقية 2/294، وينظر هنالك بقية تراجم من ذكرهم الأشعري.

الإمام الأعظم أبو حنيفة – رحمه الله – من هذا القـول، بل هو زور وباطل، فإن أبا حنيفة من أفضل أهل السنة[1].

وذَكر سـفيان بن وكيع قـال: سـمعت عمر بن حمـاد بن أبي سليمان قال: أخبرني أبي قـال: الكلام الـذي اسـتتاب فيه ابن أبي ليلى أبا حنيفة هو قوله: (القرآن مخلوق)، قال: فتـاب منه وطـاف به في الخلـق، قـال أبي: فقلت له كيف صـرتَ إلى هـذا؟، قـال: خِفت والله أن يقدم عليَّ فأعطيته التَّقيّة.

وذَكر هارون بن إسحاق قال: سمعت إسـماعيل بن أبي الحكم يـــذكر عن عمر بن عبيد الطنافسي أن حمـــاد - يعـــني ابن أبي ســليمان - بعث إلى أبي حنيفـــة: (أني بـــريء مما تقـــول، إلا أن تتوب)، وكان عنده ابن أبي عقبة، قال: فقال: أخبرني جارك أن أبا حنيفة دعاه إلى ما استتيب منه بعد ما استتيب.. وهذا كـذب محض على أبي حنيفة رحمه الله.. وذُكر عن أبي يوسف قال: نـاظرت أبا حنيفة رحمه الله شهرين حتى رجع عن خلق القرآن.

وقال سليمان بن حرب: القرآن غير مخلوق، وأخذته من كتاب الله تعـــالى، قـــال الله تعـــالى: **ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم** [آل عمـران :77] وكلام الله ونظـره واحـد، يعـني غـير مخلوق.

وذَكر الحسين بن عبد الأول، قال: حـدثنا محمد بن الحسن ابن أبي يزيد الهمـــداني عن عمـــرو بن قيس الملائي، عن أبي قيس المديني، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله : (فضل كلام الله عز وجل علي ســــائر الكلام كفضل الله على خلقـه)[2]، فهـذا يُثبت أن القـرآن كلام الله عز وجل وما كـان كلامًا لله لم يكن خلقًا للــــه، وقد بيّن الله أن القــــرآن كلامه بقوله عز وجل: **حتى يسمع كلام الله** [التوبة :6]، ودل على ذلك في

---

[1](?) ولعل الذي ساعد على ترويج هذا الكلام هو أن عمر بن حمـاد بن أبي حنيفة قد قال هذا القول ونسبه إلى آبائه قائلًا: (القرآن مخلوق، وهو رأيي ورأي آبـائي) لكن رده بشر بن الوليد وقـــال: (أما رأيك فنعم، وأما رأي آبائك فلا).. وقد كـــان المعتزلة الذين اعتنقوا هذا المذهب يروجون لذلك بـأن ينحلـوه رجـالًا ذوي مكانة وعلم وفقه كـأبي حنيفـة، وهو في حقيقة الأمر لا أسـاس له من الصـحة.. ولا تستبعد د. فوقية أن يكـون اسـمه اختلط بمشـابه له في الاسم واللقب.. ينظـر: (أبو حنيفـة) لمحمد أبو زهـرة ص201 وما بعـدها، والـرد على الجهمية ص372 والعقيـدة الطحاوية ص114، وينظر ص163، 278 وهـامش (الإبانـة) 2/ـ 984 بتحقيق أبي عمرو محمد ريحان، وبتحقيق د فوقية ص294.

[2](?) ضـعيف مرسـل.. أخرجه الترمـذي (2927) والـدارمي (3356) وهو في الضعيفة (1335) وضعيف الجامع، ولعل الصواب وقفه على شهر بن حوشب، أو أبي عبد الله السلمي.

مواضع من كتابه العزيـز، وقد قـال الله تعـالى مخـبرًا أن الله كلم موسى تكليمًا.

ورَوى وكيع عن الأعمش عن خيثمة، عن عدى بن حـاتم، قـال: قــال رســول الله : (ما منكم من أحد إلا ســيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان)[1].

ومما يــبين أن الله عز وجل متكلِّم، وأن له كلامًـا: ما رواه عفـان، قـال: ثنا حمـاد بن سـلمة عن الأشـعب الحـداني عن شهر بن حوشب قـال: (فضل كلام الله عز وجل على سـائر الكلام كفضل الله على خلقه).

وروى يعلى بن المنهــال الســعدي، قــال: حــدثنا إســحاق بن سليمان الرازي، قال: ثنا الجـراح بن الضـحاك الكنـدي، عن علقمة بن مرثل، عن أبي عبد الرحمن السـلمي، عن عثمـان بن عفـان ¢ قـال، قـال رسـول الله : (أفضـلكم مَن تعلّم القـرآن وعلّمـه)[2]، وقــــال: (إن فضل القـــرآن على ســـائر الكلام كفضل الله على خلقه).. وذلك أنه منه.

وروى سعيد بن داود، قـال: حـدثنا أبو سـفيان، عن معمـر، عن قتــادة: قوله تعــالى:قــال تعــالى: **ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سـبعة أبحر ما نفـدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم** [لقمان :27].

وذكر هارون بن معـروف قـال: حـدثنا جريـر، عن منصـور، عن هلال بن أسـاف، عن فـروة بن نوفل وقـال: كنت جـارًا لخبـاب بن الأرت، فقـال لي: يا هــذا تقــرب إلى الله عز وجل بما اسـتطعت فإنك لن تتقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه.

ورُوى عن ابن عبـاس رضي الله عنه في قوله تعـالى: **قرآنًا عربيًا غير ذي عـوج** [الزمر :28] قـال: (غـير مخلوق).. وروى الليث بن يحــيى، قــال: حــدثني إبــراهيم بن أبي الأشـعث، قــال: سمعت مؤمل ابن إسماعيل يحدث عن الثوري، قال: (من زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر).. وصحت الرواية عن جعفر بن محمد أن القــــرآن لا خـــالق ولا مخلوق.. وروي ذلك عن عمه زيد بن علي، وعن جده علي بن الحسين رضي الله عنهم أجمعين.

ومَن قال: (إن القرآن غير مخلوق وإن من قال بخلقه كـافر) - من العلماء، وحملة الآثار، ونقلة الأخبار - لا يحصـون كـثرة، ومنهم:

[1](?) متفق عليه.. رواه البخاري (6537، 6539)، ومسلم (1016، 2876)

[2](?)صـحيح.. أخرجه البخـاري (5028) وأحمد (1/ـ 57، 69) وأبو داود (1452) والترمذي (2908) وابن ماجة (211، 212).

الحمّـادان[3] والثـوري وعبد العزيز بن أبي سـلمة، ومالك بن أنس رحمه الله، والشافعي رحمه الله وأصـحابه، وأبو حنيفـة، وأحمد بن حنبـل، والليث بن سـعد، وسـفيان بن عيينـة، وهشـام الدسـتوائي، وعيسى بن يــونس، وحفص بن غيــاث، وســعيد بن عــامر، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبو بكر بن عياش، ووكيـع، وأبو عاصم النبيـل، ويعلى بن عبيد، ومحمد بن يوسف، وبشر بن الفضل، وعبد الله بن داود، وسلام بن أبي مطيع، وابن المبارك، وعلي بن عاصم، وأحمد بن يــونس، وأبو نعيم، وقبيصة بن عقبــة، وســليمان بن داود، وأبو عبيد القاسم بن سلام، ويزيد بن هارون، وغيرهم.

ولو تتبعنا ذكر من يقــول بــذلك لطــال الكلام بــذكرهم، وفيما ذكرنا من ذلك مَقنع، والحمد لله رب العالمين.

وقد احتججنا لصحة قولنا: (إن القرآن غـير مخلـوق) من كتـاب الله عز وجل، وما تضمنه من البرهان وأوضحه من البيان، ولم نجد أحدًا ممن تُحمل عنه الآثار، وتُنقل عنه الأخبـار، ويَـأتم به المؤتمُّون من أهل العلم يقـول بخلق القـرآن، وإنما قـال ذلك رعـاع النـاس، وجهَّال من جهالهم، لا موقع لهم.

والحِجَـاجُ الـذي قـدمناه في ذلك يـأتي على كثـير من قـولهم، ودفع باطلهم، والحمد لله على قوة الحق حمدًا كثيرًا.

---

[3] (?) حماد بن زيد من أئمة أهل زمانه ت99، وحمـاد بن سـلمه بن دينـار، وكـان دائما مشـغولًا بنفسه إما أن يحـدث أو يصـلي أو يقـرأ أو يسـبح ت167.. وفي فضلهما قال عبيد الله بن الحسن: "إذا طلبتم العلم فاطلبوه من الحمّادَين"

الفصل الثالث

الكلام على من توقف في القرآن، وقال: (لا أقول إنه مخلوق ولا أنه غير مخلوق)

جواب: يقال لهم[1]: لِم زعمتم ذلك وقلتموه؟ فإن قـالوا: قلنا ذلك؛ لأن الله لم يقل في كتابه إنه مخلوق، ولا قاله رسول الله ، ولا أجمع المسلمون عليه، ولم يقل في كتابه إنه غـير مخلـوق، ولا قال ذلك رسول الله ، ولا أجمع عليه المسـلمون، فتوقفنا لـذلك، ولم نقل إنه مخلوق، ولا إنه غير مخلوق.

يقال لهم: فهل قال الله تعالى لكم في كتابه توقفوا فيه ولا تقولـوا: إنه غـير مخلـوق، وقـال لكم رسـول الله توقفـوا عن أن تقولوا: إنه غير مخلـوق؟، وهل أجمع المسـلمون على التوقف عن القول إنه غير مخلوق؟!.

فإن قالوا: نعم، فقد بُهتوا.. وإن قـالوا: لا، قيل لهم: فلا تقفـوا عن أن تقولوا غـير مخلـوق بمثل الحجة الـتي بها ألـزمتم أنفسـكم التوقف.

ثم يقال لهم: ولمَ أبيتم أن يكون في كتاب الله ما يدل على أن القـرآن غـير مخلـوق؟! فـإن قـالوا: لم نجـده، قيل لهم: ولم زعمتم أنكم إذا لم تجـدوه في القـرآن فليس بموجـود فيـه؟ ثم إنّا نوجدهم ذلك، ونتلو عليهم الآيـات الـتي احتججنا بها في كتابنا هـذا، واستدللنا بها على أن القرآن غـير مخلـوق، كقوله تعـالى: **ألا له الخلق والأمر** [الأعراف :54]، وكقولـه: **إنما قولنا لشـيء إذا أردنـاه ان نقو لله كن فيكـون** [النحل :40]، وكقولـه: **قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمـــات ربي ولو جئنا بمثله مـــددًا** [الكهف :109]، وسائر ما احتججنا في ذلك من آي القرآن.

ويقـال لهم: يلـزمكم أن تتوقفـوا في كل ما اختَلف النـاس فيه، ولا تُقْدِموا في ذلك على قول، فإن جاز لكم أن تقولـوا ببعض تأويل المسلمين إذا دل على صحتها دليل؛ فلم لا قلتم: إن القـرآن غـــير مخلـــوق بـــالحجج الـــتي ذكرناها في كتابنا هـــذا قبل هـــذا الموضع؟!.

فإن قـال قائل: حـدِّثونا، أتقولـون: إن كلام الله في اللـوح المحفوظ؟.

قيل له: كذلك نقـول؛ لأن الله تعـالى قـال: **بل هو قرآن مجيد. في لوح محفـوظ** [الـبروج :21-ـ 22]، فـالقرآن في اللـــوح المحفوظ.. وهو في صـــدور الـــذين أوتـــوا العلم، قـــال الله

---

[1] (?) أي: الواقفة الذين سبق الحديث عنهم بالباب الفائت.

تعالى: ﴿**بل هو آيات بينات في صدور الـذين أوتـوا العلم**﴾ [العنكبوت :49].. وهو متلو بالألسنة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به**﴾ [القيامة :16].

والقــرآنُ مكتــوبٌ في مصــاحفنا في الحقيقــة، محفــوظٌ في صدورنا في الحقيقة، متلـوٌّ بألسـنتنا في الحقيقـة، مسـموعٌ لنا في الحقيقـة، كما قـال تعـالى: ﴿**فـأجره حـتى يسـمع كلام الله**﴾ [التوبة :6].

مســـــألة:

فإن قـال قائـل: حـدِّثونا عن اللفظ بـالقرآن كيف تقولـون فيه؟ قيل له: القرآن يُقرأ في الحقيقة، ويُتلى، ولا يجـوز أن يقـال: (يُلفظ به)؛ لأن القائل لا يجـوز له أن يقـول: (إن كلام الله ملفـوظ به)؛ لأن العرب إذا قال قائلهم: (لفظتُ باللقمة من فمي) فمعناه: رميتُ بها، وكلام الله تعالى لا يقال: (يُلفظ به)، وإنما يقال: (يُقـرأ، ويُتلى، ويُكتب، ويُحفظ).

وإنما قال قوم[1]: (لفظنا بالقرآن) ليُثبتوا أنه مخلـوق، ويزينـوا بـدعتهم وقـولهم بخلقـه، ويُدلِّسـوا كفـرهم على من لم يقف على معنـاهم، فلما وقفنا على معنـاهم أنكرنا قـولهم، وكـذا لا يجـوز أن يقـال: (إن شـيئًا من القـرآن مخلـوق)؛ لأن القـرآن بكماله غـير مخلوق.

مســــــألة:

فإن قال قائل: أليس قد قال الله تعالى: ﴿**ما يـأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون**﴾ [الأنبيـاء :

[1] (?) الكلام هنا عن: (اللفظية)؛ وهم أيضًا فرقة ضالة من فرق الجهمية يقولـون: (إن لفظهم بالقرآن مخلوق) ومبتغـاهم أن القـرآن مخلـوق، "وهـذا عند أحمد بن حنبل ومن كـان على طريقتـه: منكر عظيم، وقائل هـذا مبتـدع خـبيث لا يُكلم ولا يُجـالس، ويُحَـذَّرُ منه النـاس، لا يَعـرف العلمـاء غـير ما تقـدم ذكرنا لـه، وهو أن: (القـرآن كلام الله غـير مخلـوق)، ومن قـال: (مخلـوق)، فقد كفـر، ومن قـال: (القرآن كلام اللـه) ووقف فهو جهمي، ومن قـال: (لفظي بـالقرآن مخلـوق) فهو جهمي أيضًا، كذا قال أحمد بن حنبل وغلَّظ فيه القـول جـدًا، وكـذا من قـال: (إن هـذا القـرآن الـذي يقـرأه النـاس، وهو في المصـاحف، حكاية لما في اللـوح المحفوظ) - ويعني بهم: الأشعرية والماتريدية - فهذا قـولٌ منكر ينكـره العلمـاء" كذا ذكره الآجري في الشـريعة ص89 وجعل يسـوق له نصـوص الآي والأحـاديث والآثار والمناظرات.. وكان اللالكائي قد أورد في (شرح أصـول السـنة) 1/ـ 149 لأحمد بن حنبل قوله: "والقـرآن كلام الله وليس بمخلـوق، ولا تَضْـعُف أن تقـول: ليس بمخلـوق، فـإن كلام الله منه وليس ببـائن منـه، وليس منه شـيء مخلـوق، وإياك ومناظرة مَن أحدث فيه، ومَن قال باللفظ ومن وقف فيه فقـال: (لا أدري، مخلـوق أو غـير مخلـوق)"، أو قـال: (القـرآن كلام الله ولا نقـول غـير مخلـوق).. كونهم يضمرون القول بخلق القرآن.

وفي بيان ما يجب اعتقاده في هـذه القضـية وما يجب الحـذر منه يقـول أبو نعيم الأصـبهاني ت430: "طريقتنا طريقة السـلف المتبعين للكتـاب والسـنة وإجمـاع الأمة، ومما اعتقدوه: أن الله لم يـزل كـاملًا بجميع صـفاته القديمـة، لا يـزول ولا يحول، لم يزل عالمًا بعلم، بصيرًا ببصر، سميعًا بسمع، متكلمًا بكلام.. وأن القرآن كلام الله، وكذلك سائر كتبه المنزلـة، كلامه غـير مخلـوق، وأن القـرآن في جميع الجهات: (مقروءً) و(متلوًّا) و(محفوظًـا) و(مسـموعًا) و(مكتوبًـا) و(ملفوظًـا) كلام الله حقيقـــة، لا حكاية ولا ترجمـــة، وأنه بألفاظنا كلام الله غـــير مخلـــوق، وأن (الواقفية) و(اللفظيـة) من (الجهميـة)، وأن من قصد القـرآن بوجه من الوجـوه يريد به خلق كلام الله، فهو عندهم من الجهمية، وأن الجهمي عندهم كافر"، قـال الذهبي في العلو ص176 معلقًا:

"قد نقل هذا الإمامُ الإجماعَ على هـذا القـول ولله الحمـد، وكـان أبو نعيم حافـظَ العجم في زمانه بلا نزاع، جمع بين علو الرواية وتحقيق الدراية"إ.هـ.. وبنحـوٍ مما ذكره أبو نعيم، تكلم الإمـام علي بن مهـدي الطـبري تلميذ أبي الحسن الأشعري ونقله عنه الصابوني في (عقيدة السلف) ص23 واستحسنه.

وكان أبو يعلى قد ذكر في كتابه (إبطال التأويل) ص267 ما نصه: "الجهمية على ثلاث ضـروب: فرقة قـالت: (القـرآن مخلـوق)، وفرقة قـالوا: (كلام اللـه،




2]؟: قيل له: الذِّكر - المحدث - الذي عناه الله عز وجل هنا ليس هو القرآن، بل هو كلام الرسول ووعظه إياهم[1].

وقد قـال الله تعـالى لنبيـه: **وذكر فـإن الـذكرى تنفع المؤمنين** [الذاريات :55]، وقال تعالى: **قد انزل الله إليكم ذكـرًا. رسـولاً** [الطلاق :10ـ 11] فسـمى الرسـول ذكـرًا، والرسول مُحدَث.

وأيضا فإن الله تعالى قال: **ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبـون** [الأنبيـاء :2]، يخـبر أنه لا

ونقف)، وفرقة قالوا: (ألفاظنا بالقرآن مخلوقة)، فهم عنـدي في المقالة واحـد"، كونهم يريدون رأي جهم وقد استتروا بهذه الأقوال.

[1] **(?) وعليه فمن أرجع الإحـداث في الآية إلى كلامه تعـالى، سـعيًا لنفي أن يكون ما بالمصحف كلام الله اللفظي وتعطيل تلك الصفة ومِن** ورائها سائر صفاته تعالى الفعلية، وأنه لا يتكلم ولا يفعل ما يشاء بإرادته.
فجوابه: "أن هذا قـول بعض المعتزلة - وقد تـأثر بهم الأشـاعرة - وهو خطـأ، لأن الذكر الموصوف في الآية بالإحداث ليس هو نفس كلامـه، لقيـام الـدليل على أن الذكر الموصوف في الآية بأنه محدث، هـو: (الرسـول) بـدليل قوله تعـالى: **قد أنـزل الله إليكم ذكـرًا** [الطلاق :10، 11] فيكـون المعـنى: ما يـأتيهم من رسولٍ مُحدَثٍ.. وقال بعضهم: إن مرجع الإحداث: إلى (الإتيان) الوارد في قولـه: (وما يأتيهم)، لأن نزول القرآن على الرسول كان شيئًا بعد شـيء، فكـان نزوله يحـدث ويأتيه حينًا بعد حين، كما أن العـالِم يعلم ما لا يعلمه الجاهل فـإذا علمه حدث عنده العلم، وهذا هو الأقرب لما ترجم له البخاري في هذا الباب، فإذا تقرر هذا فالإنزال حادث والمُنْزَل قديم.
وقال ابن المُنَيَّر: ويحتمل أن يُحمل لفظ (محدث) على: (الحديث)، فيكون معنى (ذكر محدث) أي: متحدّثٍ به.. وعن نعيم بن حمـاد - وكـان من أوعية العلم، أخذ في محنة خلق القرآن فسُجن حتى مـات في القيد سـنة 228 - :(كلام الله ليس بمحدث، لأنه لم يزل متكلمًا لا أنه كـان لا يتكلم حـتى أحـدث كلامًا لنفسـه، فمن زعم ذلك فقد شبه الله بخلقه، لأن الخلق كانوا لا يتكلمون حتى أحـدث لهم كلامًا فتكلَّموا به)، ولابن راهويه في آية الأنبياء قوله: (قديم من رب العزة، محدث إلى الأرض)، وظاهر كلام البخاري (أن حَدَثَه لا يشبه حدث المخلـوقين)" كـذا في فتح الباري لابن حجر 13/ 506، 507، قال:
"الذي يظهر أن مراد الداودي أن القـرآن هو الكلام القـديم الـذي هو من صـفات الله وهو غـير محـدث، وإنما يطلق الحـدث بالنسـبة إلى: إنزاله إلى المكلفين وبالنسبة إلى قراءتهم له وإقرائهم غيرهم ونحو ذلك، قال ابن الـتين بحق عائشة حيث أنزل الله براءتهـا: (المـراد بـأنزل: أن الإنـزال هو المحـدَث ليس أن الكلام القديم نزل الآن، ولا أن يكون الله متكلمًا بكلام حادث فتحلّ فيه الحوادث)، وهذا مراد البخاري"إ.هـ بتصرف.
وممن أفـاض في رد شُـبه الأشـاعرة: اللالكـائي، وذلك في كتابه (شـرح أصـول السـنة) 1/ـ 272، فقد أورد الأدلة على أن القـرآن تكلم الله به على الحقيقة وليس حكاية عنه ولا عبارة له، وأنه تعالى لم يزل متكلمًا، وأن الكلام من صـفات ذاته، وساق في ذلك الإجماع.

يأتيهم ذكر محدث إلا استمعوه وهم يلعبون، ولم يقل لا يـأتيهم ذكر إلا كان محدثًا، وإذا لم يقل هذا لم يوجب أن يكون القرآن محدثًا.

ولو قال قائل: ما يـأتيهم رجل من التميمـيين يـدعوهم إلى الحق إلا أعرضوا عنه، لم يـوجب هـذا القـول أنه لا يـأتيهم رجل إلا كان تميميًّا، فكذلك الحكم فيما سألونا عنه.

فـإن سـألونا عن قــول الله تعـالى: **قرءنا عربيًا**[الزمر : 28].. قيل لهم: الله عز وجل أنزله وليس بمخلوق.

فـإن قــالوا: فقد قـال الله تعـالى: **وأنزلنا الحديد فيه بأس شـديد** [الحديد :25] والحديد مخلوق.. **قيل لهم:** الحديد جسم موات، وليس يجب إذا كـان القـرآن مـنزلًا أن يكـون جسـمًا مواتًا، فكذلك لا يجب إذا كان القرآن منزلًا أن يكـون مخلوقـا، وإن كان الحديد مخلوقًا.

ويقــال لهم: قد أمَرنا الله تعــالى أن نســتعيذ به وهو غــير مخلـوق، وأمر أن نسـتعيذ بكلمـات الله التامـات، وإذا لم نُـؤمر أن نستعيذ بمخلوق من المخلوقات، وأمرنا أن نستعيذ بكلام الله، فقد وجب أن كلام الله غير مخلوق[1].

---

[1] (?) كل هذا يعدُّ من أبي الحسن ردًا مباشرًا على ترهات الأشعرية الذين أثاروا - ولا يزالون - الشبهات حول صفة (كلامه تعالى اللفظي) ليشغبوا على معتقد أهل السنة، وليثبتوا أن القرآن باعتبار لفظه مخلوق وليحيلوا وينفوا أن يكـون المـنزل على محمد هو كلام الله، بحجة أن القرآن نفسه قد صرح بالحدوث، وبـزعم أن نزوله أيضًا من الحدوث الذي يجب تنزيه الله وكلامه عنه.

وكان الأشعري قد ساق في (رسالة أهل الثغر) - ص213 وما بعدها، وتحديدًا في الإجماع الثالث وما بعـده - الإجمـاع على إثبـات (صـفة الكلام اللفظي) له تعـالى على الوجه اللائق بجلاله، ليقطع أمامهم الطريق ويقيم – حتى على من لا تعترف بكتابه (الإبانة) – حجة الله البالغة، فقال ما نصه:

"وأجمعـوا أنه تعـالى لم يـزل موجـودًا حيًّا قـادرًا عالمًا مريـدًا متكلمًـا.. على ما وصف به نفسه وتَسمّى به في كتابه وأخبرهم به رسوله ودلت عليه أفعالــه، وأن وصفه بـذلك لا يـوجب شَبَهُه لمن وُصف من خلقه بـذلك.. وأجمعـوا على إثبـات حياة لله لم يزل بها حيًّا وعلمًا لم يزل به عالمًا وقدرة لم يزل به قادرًا وكلامًا لم يزل به متكلمًا.. وأجمعوا على أن صفته لا تشبه صفات المحـدثين كما أن نَفْسَـه لا تشبه أنفس المخلوقين، واستدلوا على ذلك بأنه لو لم تكن له هذه الصفات لم يكن موصوفًا بشيء منها في الحقيقة.. وأنه إذا كان وصف الباري بسائر ما ذكرنا في الحقيقة دون المجاز والتقليب، وجب إثبـات هـذه الصـفات الـتي اشـتُقّ له ¸ الأوصـاف من أخص أسـمائها.. ولا يجب إذا أثبتنا هـذه الصـفات له على ما دلت عليه العقـول واللغة والقـرآن والإجمـاع أن تكـون محدثـة، لأنه تعـالى لم يـزل موصوفًا بها، ولا يجب أن تكـون أعراضًـا لأنه ¸ ليس بجسم وإنما توجد الأعـراض في الأجسام، ويُدل بأعراضها فيها وتعقبها عليها على حدثها".

يقول: "وأجمعوا على أن أمره وقوله غير محدث ولا مخلوق، وقد دل على صـحة ذلك بقولـه: **ألا له الخلق والأمر** [الأعـراف :54]، ففـرق تعـالى بين خلقه

الباب الرابع
ذكر الاستواء على العرش

إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟؛
قيل له: نقول: إن الله ¸ يستوي على عرشه اسـتواء يليق به من غــير طــول اسـتقرار، كما قــال: **الــرحمن على العــرش استوى** [طه :5]، قد قال تعالى: **إليه يصعد الكلام الطيب والعمل الصالح يرفعه** [فاطر :10]، وقال تعالى: **بل رفعه الله إليه** [النســاء :158]، وقــال تعــالى: **يــدبر الأمر من**

وأمره، وقال: **إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقـول له كن فيكـون** [يس : 82]، فبين بذلك أن الأشياء المخلوقة تكون شيئًا بعد أن تكن بقوله وإرادته، وأن قوله، غير الأشياء المخلوقة من قِبَل أن أمره تعالى للأشياء وقوله لهـا: (كـوني)، لو كان مخلوقًا لوجب أن يكون قد خلقه بأمر آخـر، وذلك القـول لو كـان مخلوقًا لكان مخلوقًا إلى ما لا نهاية، وهـذا قـول أهل الـدهر بعينـه، أو يكـون ذلك القـول حادثًا بغير أمره عز وجل له، فبطل معنى الامتداح بذلك، وقد نص على هـذا عليٌّ بحضرة أوليائه من الصحابة وأعدائه من الخوارج لما أنكـروا عليه التحكيم فقـال: (والله ما حكّمْتُ مخلوقًا وإنما حكّمتُ كلام اللـــــه).. وأجمعـــــوا على وصف الله بجميع ما وصف به نفسه ووصفه به نبيه من غير اعتراض فيه ولا تكييف لـه، وأن الإيمان به واجب وترك التكييف له لازم"إ.هـ

هــذا، ولم يَفُتْ الأشــعري - بعد أن ذكر أقــوال الجهمية والرافضة والمعتزلة في صفة كلامه تعـالى - أن يحكي ما كـان عليه شـيخه عبد الله بن كُلاّب الـذي يمثل همزة الوصل بين ما كان عليه الأشعري في مرحلته الوسطى التي لا يــزال يتبعه فيها كثيرون ممن ينتسبون إليه، وبين ما آل إليه أمـره.. ففي حكاية ما كـان عليه ابن كلاّب في مسألة اتصافه تعالى بصفة الكلام يقول الأشعري في المقالات ص 584 – وبنحوه ص169، 298، 517: -

"قال ابن كُلاّب: إن كلامه تعالى صـفة له قائمة به وأنه قـديم بكلامـه، وأن كلامه قائم به.. وأن الكلام ليس بحروف ولا صـوت، ولا ينقسم ولا يتجـزأ ولا يتبعض ولا يتغـاير، وأنه معـنى واحد باللـه، وأن الرسم هو الحـروف المتغـايرة وهو قــراءة القرآن.. وأن العبـارات عن كلام الله تختلف وتتغـاير وكلام الله ليس بمختلف ولا متغـــاير.. وإنما سُـــمّي كلام الله عربيًا لأن الرسم - الــذي هو العبـــارة عنه وهو قراءته - عربي، وكـذلك سـمي عبرانيًا لأن الرسم الـذي هو عبـارة عنه عـبراني، وكـذلك سُـمي أمـرًا لعِلّة وسُـمي نهيًا لعِلّة وخـبرًا لعِلـة.. وزعم ابن كُلاّب أن ما نســمع التـالين يتلونه هو عبـارة عن كلام الله وليس هـو، وأن موسى سـمع الله متكلمًا بكلامه، وأن معنى قوله **فأجره حتى يســمع كلام الله** [التوبة :6]: حتى يفهم كلام اللـه، ويحتمل على مذهبه أن يكـون معنـاه: حـتى يسـمع التـالين يتلونه".

كذا بما يعني نفي أن يكـون ما في المصـحف كلام اللـه، وأنه إنما هو عبـارة عنه وحكاية له.. إلى غير ذلك مما يقول به الأشاعرة، وبما يعني أن من يدينون بــذلك من الأشــاعرة هم على مــذهب ابن كُلاَّب، لا الأشــعري الــذي بــرئ إلى الله منه ورجع مؤخرًا عن معتقده.

السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه [السجدة :5]، وقال تعالى حاكيًّا عن فرعــون لعنه اللــه: **يا هامان ابن لي صـرحا لعلي أبلغ الأسباب. أسباب السـماوات فـأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبًا** [غــافر :36-ــ 37]، فكـــذب موسى عليه السلام في قوله: إن الله - سبحانه - فوق السماوات.

وقــال تعــالى: **أأمنتم من في السـماء أن يخسف بكم الأرض** [الملك :16] فالســـماوات فوقها العـــرش، فلما كـــان العرش فوق السـماوات قـال: **أأمنتم من في السـماء**؛ لأنه مستو على العرش الذي فوق السـماوات، وكل ما علا فهو سـماء،

ولا أدل على صحة ما ذكرنا من اعتراف الأشعري نفسه بمغـايرة ما عليه الكُلاّبية لما عليه أهل السنة، وذلك قوله فيما سـبق: "وزعم ابن كُلّاب.. إلخ"، وكـذا قوله في (المقالات) ص298: "فأما أصحاب ابن كُلاّب فإنهم يقولـون بـأكثر ما ذكرنـاه عن أهل السنة.. ويثبتون العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر والعظمة والكلام صفات لله، ويقولون: إن أسماء الله وصفاته (لا يقال لها: هي غـيره ولا يقـال إن علمه غــيره) كما قــالت الجهمية و(لا يقــال: إن علمه هو هُــو) كما قــال بعض المعتزلة، وكذلك قولهم في سائر الصفات".

على أن قول الأشعري عن أصحاب ابن كلاّب: (إنهم يقولون بأكثر ما ذكرنـاه عن أهل السـنة)، إنما يعـني به ما وافق الكُلاّبية فيه أهل السـنة من إثبـات ما نفـاه المعتزلة من أسـماء الله وصـفات المعـاني، غـير أن الأشـعري زاد على ذلـك: ما أقــره السـلف من إثبـات مفصل ونفي مجمـل، وهو ما اسـتقر عليه أمـره بعد تراجعه عن مذهب شـيخه ابن كُلاّب من أن "أهل السـنة وأصـحاب الحـديث.. لم يقولوا شيئًا إلا ما وجدوه في الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله "، كذا في (مقالات الإسلاميين) ص211، وبنحوه في ص217.

وكما هو ملاحظ فإن هذا جـاء من الأشـعري على وجه الإجمـال، أما تفصـيل ذلـك، فهو ما حكاه هنا في (الإبانة) وفي (المقالات) ص290 وما بعـدها، من (جملة قـول أصحاب الحديث وأهل السـنة)، وفيها بعد إثبـات جميع ما أثبته تعـالى لنفسه وأثبته له رسـوله: "أن القـرآن كلام الله غـير مخلـوق، وأن من قـال باللفظ والوقف فهو مبتدع، لا يقال: اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق"إ.هـ.

والحق أن كلامَ الأشـعري في (الإبانـة) لإثبـات (صـفة الكلام) لله والـرد على من تأولوها - ممن لزمــوا مرحلته الوسـطى وقد تبعهم فيها متـأخرو الأشـاعرة- بـــ (الكلام النفسي) وادعـوا أنه ليس مـنزلًا ولا هو كلام اللـه، وأن ما في المصـحف إنما هو قول جبريل أو محمد عليهما السـلام يكـثر بشـكل لافت، فقد طفق - كما رأينا - يستنطق الآيات ويُعمل العقل في إثبـات صـفة الكلام على حقيقتها ويطيل النَّفَس في رد عادية من يعطلها أو يتأولها، ومن ذلك: قوله تعـالى **قـالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم. قـال بل فعله كبـيرهم هـذا فاسـألوهم إن كانوا ينطقـون** [الأنبيـاء :62، 63]، وقولـه: **لمن الملك اليـوم لله الواحد القهار**[غـافر :16]، **وكلم الله موسى تكليمًا** [النسـاء :164]، وآيــات سـورة الإخلاص، وقوله تعــالى: **تبــارك اسم ربك** [الـرحمن :78]، وقولـه: **سـبح اسم ربك الأعلى. الـذي خلق فسـوى** [الأعلى :1، 2]، وقوله لإبليس: **وغن عليك لعنــتي إلى يــوم الــدين** [ص :78]، وقولـه: **إنما قولنا لشـيء إذا أردنـاه ان نقـول له كن فيكـون** [النحل :40]،






والعـــرش أعلى الســـماوات، وليس إذا قـــال: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ يعني جميع السماوات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السـماوات، ألا تـرى الله تعـالى ذكر السـماوات، فقـال: ﴿وجعل القمر فيهم نورًا﴾ [نوح :16]، ولم يرد أن القمر يملأهن جميعا، وأنه فيهن جميعا، ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيـديهم إذا دعـوا نحو السـماء؛ لأن الله تعـالى مسـتو على العـرش الـذي هو فـوق السماوات، فلولا أن الله عز وجل على العـرش لم يرفعـوا أيـديهم نحو العرش، كما لا يحطّونها إذا دعوا إلى الأرض.

وقوله: ﴿**الرحمن. علم القرآن. خلق الإنسان**﴾ [الـرحمن :1ـ 3]، وقولـه: ﴿**ولا يكلمهم الله يوم القيامة**﴾[آل عمـران :77]، وقولـه: ﴿**قرآنًا عربيًا**﴾ [الزمر :28].. إلخ.

إذ خلص من كل ذلك - وكما لاحظنا – إلى:

أن العقل يعاضد النقل في إثبات "أن الأصنام - في آية الأنبياء- إذا لم تكن ناطقة متكلمة لم تكن آلهة، وأن الإله لا يكون غير ناطق ولا متكلم".. وأنه "إذا كان الله قائلًا مع فناء الأشياء - كما في آية غافر- فقد صح أن كلام الله خارج عن الخلـق، لأنه يوجد ولا شيء من المخلوقات موجود".

وأن "التكليم - كما أفادته آية النساء- هو المشـافهة بـالكلام، ولا يجـوز أن يكـون كلام المتكلم حالًّا في غيره، مخلوقًا في شيء سواه".. وأنه "كيف يكـون القـرآن مخلوقًا وأسماء الله -على ما دلت عليه آيـات سـور الـرحمن والأعلى والإخلاص- في القرآن؟".. وأنه "لا يُقال لمخلوق: (تبارك)".

وأنه "لا يجوز أن يكون (اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى) مخلوقًا، كما لا يجوز أن يكون ﴿**جدُّ ربنا**﴾ [الجن :3] مخلوقًا، وكما لا يجوز أن تكـون عظمته مخلوقة كذلك لا يجوز أن يكون كلامه مخلوقًا".

وأنه "إذا كان كلام الله مخلوقًا وكانت المخلوقـات فانيـات، فيلـزم إذا أفـنى الله الأشياء أن تكون اللعنة على إبليس قد فـنيت، فيكـون إبليس غـير ملعـون، وهـذا ترك لدين المسلمين وردٌّ لقوله تعالى: ﴿**وإن عليك لعنتي إلى يوم الـدين**﴾ [ص :78]".

"وأن الزعم بأن قول الله للشيء (كن) مخلوق، يلزمه أن قوله للشيء: (كن) قد قال له: (كن)، والله لا يقول لقولـه: (كن)".. وأن الله في صـدر سـورة الـرحمن "فرّق بين الإنسان وبين القرآن، فقال: (علّم)، (خلق)، والقرآن من القُـران: علم الله، والقرآن فيه أسماء الله، وكما أنه سبحانه لم يزل (قديرًا عليمًا عزيزًا حكيمًا سميعًا بصيرًا) فهو لم يزل (متكلمًا)".

وأن قولــه: ﴿**ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم**﴾ [آل عمــران :77] دال على أن "كلامه ونظره واحد، يعني: غير مخلـوق"، وأن أثر ابن عبـاس على أن قولـه: ﴿**قرآنا عربيًا غير ذي عوج**﴾ [الزمر :28] يعـني: "غـير مخلـوق" هو حجة في حد ذاته.

تلك باختصار هي عقيدة أبي الحسن الأشعري لمن أراد أن يَصْـدق من الأشـعرية في نسـبة نفسه إليه وقد سـاق لها الإجمـاع.. ولكن هيهـات للأشـعرية أن يفعلـوا ذلك، لأنهم - إلا من رحم الله – عقدوا قلـوبهم على فسـاد المعتقد وصـدق فيهم

فصـــل:

وقد قال قـائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى قـول الله تعـالى: ﴿**الرحمن على العـرش اسـتوى**﴾ [طه :5] أنه: استولى وملك وقهر[1]، وأن الله تعالى في كل مكان، وجحدوا أن يكـون الله عز وجل مسـتو على عرشـه، كما قـال أهل الحـق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة.

ولو كـان هـذا كما ذكـروه كـان لا فـرق بين العـرش والأرض السابعة؛ لأن الله تعالى قادر على كل شيء، والأرض لله - سبحانه - قادر عليها، وعلى الحشـوش، وعلى كل ما في العـالم، فلو كـان الله مستويًا على العرش بمعنى: الاستيلاء، وهو تعـالى مسـتو على الأشـــياء كلها لكـــان مســتويًا على العـــرش، وعلى الأرض، وعلى السماء، وعلى الحشوش، والأقدار؛ لأنه قادر على الأشياء مسـتولٍ عليها.

وإذا كـــــان قــــادرًا على الأشـــــياء كلها ولم يجز عند أحد من المســـلمين أن يقـــول: (إن الله تعـــالى مســـتو على الحشـــوش والأخلية)، تعـــالى الله عن ذلك علـــوًّا كبـــيرًا، لم يجز أن يكـــون الاستواء على العرش: الاسـتيلاء الـذي هو عـام في الأشـياء كلهـا، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الأشياء كلها.

قوله تعـالى: ﴿**فإنها لا تعمى الأبصــار ولكن تعمى القلــوب الــتي في الصدور**﴾ [الحج :46].

[1](?) وبنحوه قال متأخرو الأشاعرة، وعليه فردُّ الأشعري على من ذَكرَ من الفرق الضـــالة، ردٌّ عليهم كـــذلك، كما ينظر في تفاصـــيل الأدلة والإجمـــاع على ثبـــوت استوائه تعالى وفي دحض تأويلات الأشاعرة، كتابنا: (قـــرائن اللغة والنقل والعقل في حمل صفات الله على ظاهرها دون المجاز)

وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله تعـــالى في كل مكان[1]، فلزمهم أنه في بطن مريم وفي الحشوش والأخلية، وهذا خلاف الدين.. تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

ويقال لهم: إذا لم يكن مستويًا على العـرش بمعـنى يختص العرش دون غيره، كما قـال ذلك أهل العلم، ونقلة الأخبـار، وحملة الآثـار، وكـان الله عز وجل في كل مكـان؛ فهو تحت الأرض الـتي السماء فوقها، وإذا كان تحت الأرض والأرض فوقه، والسماء فـوق الأرض؛ ففي هـــذا ما يلـــزمكم أن تقولـــوا إن الله تحت التحت، والأشياء فوقه، وأنه فوق الفوق والأشياء تحتـه، وفي هـذا ما يجب

[1](?) وقد شابههم فيه الحلولية الذين يزعمون أن معبـودهم في كل مكـان بذاتـه، فينزهونه عن اســـتوائه على عرشه وعلـــوه على خلقه ولا يصـــونونه عن أقبح الأمـاكن وأقـذرها.. وأسـوأ منهم: الأشـعرية والماتريدية الـذين شـبهوه بالعـدم، وجعلوا يقولون: إنه تعالى ليس داخل العـالم ولا خارجـه، وهو قـول خلاف العقل والشـرع؛ لأنه رفع للنقيضـين، فما من موجـود حقيقي إلا كـان داخل العـالم أو خارجه، وهذا القول أيضًا: خلاف النصـوص وما أجمع عليه السـلف، ولا دليل عليه من كتاب أو سنة أو إجماع، بل ولا هو قول معـروف عن إمـام من أئمة السلف.. قـال الـذهبي رحمه الله: "والله فـوق عرشه كما أجمع عليه الصـدر الأول ونقله عنهم الأئمة، وقالوا ذلك رادين على الجهمية القائلين بأنه في كل مكـان محتجين بقوله تعالى: ﴿**وهو معكم**﴾ [الحديد :4].

ووضح من خلال ما سـبق تـأثر من ذكرنا من الحلولية والأشـعرية والماتريدية، بكلام الجهمية الذين صرح من تولى كبره منهم لما نـاظره السُّـمنية في ربه وحار في ذلك وفكر وقدّر، فقال: (هو هـذا الهـواء الـذي في كل مكـان)، وإنما كانوا يتوسلون إلى ذلك بالسلب المحض والتعطيل الصرف كما فهمه منهم أئمة الإسـلام.. وهـؤلاء لا يـزال بلاؤهم حـتى الآن يشـيع في أذهـان بعض الخاصة وفي أوساط العامة من النـاس فما تكـاد تجلس في مجلس خـير إلا وتسـمع من يقولـــون: (الله موجـــود في كل مكـــان)، ومن يقولـــون: (الله موجـــود في كل الوجود)، وما درى هؤلاء وأولئك أنهم يقولون بقول جهم وأتباعه الـذين ما فهمـوا من صفات الرب تعالى إلا ما يليق بالمخلوقين.

"وكلام السلف في رد ذلك وفي إثبات صفة العلو كثير جدًا، فمنـه: ما رَوى شـيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه: (الفاروق) بسنده إلى مطيع البلخي أنه سأل أبا حنيفة عمن قال: لا أعـرف ربي في السـماء أم في الأرض؟؛ فقـال: (قد كفر؛ لأن الله يقول: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ [طه :5] وعرشه فـوق سبع سماوات)، قلت: فإن قـال: إنه على العـرش، ولكن يقـول: لا أدري العـرش في السماء أم في الأرض؟؛ قال: (هو كافر؛ لأنه أنكر أنه في السـماء، فمن أنكر أنه في السـماء فقد كفـر)، وزاد غـيره: (لأن الله في أعلى علـيين، وهو سـبحانه يُدعى من أعلى لا من أسفل)"إ.هـ.

قال ابن أبي العز في شـرحه على الطحاوية ص232 معلقًـا: "ولا يُلتفت إلى من أنكر ذلك ممن ينتسب إلى مذهب أبي حنيفـة، فقد انتسب إليه طوائـفُ - معتزلة وغيرهم - مخالفون له في كثير من اعتقاداتـه، وقد ينتسب إلى مالك والشـافعي وأحمد من يخـالفهم في بعض اعتقـاداتهم، وقصة أبي يوسف في اسـتتابته لبشر المريسي لمّا أنكر أن يكون الله فوق العـرش مشـهورة، رواهـا عبد الـرحمن بن





أنه تحت ما هو فوقــه، وفــوق ما هو تحتــه، وهــذا هو المحــال المتناقض، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

دليـل آخــر:

ومما يؤكد أن الله عز وجل مسـتو على عرشه دون الأشـياء كلها، ما نقله أهل الرواية عن رسول الله ﷺ.. روى عفـان، قـال: ثنا حماد بن سلمة، قال: حـدثنا عمـرو بن دينـار، عن نـافع، عن جبـير، عن أبيه رضي الله عنهم أجمعين، أن النـبي ﷺ قـال: (يـنزل ربنا عز وجل كل ليلة إلى السماء الـدنيا فيقـول: هل من سـائل فأعطيـه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ حتى يطلع الفجـر)[1].. وروى عبيد الله بن بكر قـال: ثنا هشـام بن أبي عبد اللـه، عن يحـيى بن كثـير، عن أبي جعفر، أنه سمع أبا حفص يحدث أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (إذا بقى ثلث الليل يـنزل الله تبـارك وتعالى فيقـول: من ذا الـذي يـدعوني فأسـتجيب لـه؟ من ذا الـذي يستكشف الضر فأكشـفه عنـه؟ من ذا الـذي يسـترزقني فأرزقـه؟ حتى ينفجر الفجر)[2].

وروى عبد الله بن بكر السـهمي، قـال: ثنا هشـام بن أبي عبد الله عن يحيى بن كثـير، عن هلال بن أبي ميمونـة، قـال: ثنا عطـاء بن يسار أن رفاعة الجهني حدثه قال: فكنا مع رسـول الله ﷺ حـتى إذا كنا بالكديد - أو قال: بقديد - حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (إذا مضى ثلث الليل - أو قـــال ثلثا الليل - نـــزل الله إلى الســـماء، فيقول: من ذا الذي يدعوني أستجيب له؟ من ذا الـذي يسـتغفرني أغفر له؟ من ذا الذي يسألني أعطيه؟ حتى ينفجر الفجر)[3]، نـزولًا يليق بذاته من غير حركة وانتقال، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

دليـل آخــر:

قال الله تعـالى: ﴿**يخافون ربهم من فـوقهم**﴾ [النحل : 50]، وقال تعالى: ﴿**تعرج الملائكة والروح إليه**﴾ [المعارج :4]، وقال تعالى: ﴿**ثم استوى إلى السماء وهي دخان**﴾ [فصلت :

أبي حاتم وغيره"إ.هـ

[1] (?) صـحيح.. رواه أحمد (4/ـ 81) من حـديث حمـاد بن سـلمة، ورجاله ثقـات.. وينظر في تفاصـيل الأدلة والإجمـاع على ثبـوت نزوله تعـالى على الوجه اللائق بجلاله وفي دحض تـأويلات الأشـاعرة، كتابنـا: (قـرائن اللغة والنقل والعقل في حمل صفات الله على ظاهر دون المجاز)

[2] (?) صحيح.. أخرجه أحمد (2/ 258) والنسائي في الكبرى (10310) من حديث يحيى بن أبي كثير ورجاله رجال الصحيح

[3] (?) صحيح أخرجه أحمد 4/ـ 16 والطبراني 5/ـ 50 (4557) وابن حبـان (212) من حديث هلال بن أبي ميمون

11]، وقـال تعـالى: ﴿ثم اسـتوى على العـرش الـرحمن فاسئل به خبيرًا﴾ [الفرقان :59]، وقـال تعـالى:﴿ثم اسـتوى على العـــــرش ما لكم من دونه من ولي ولا شــــــفيع﴾ [السـجدة :4]، فكل ذلك يـدل على أنه تعـالى في السـماء مسـتو على عرشه، والسماء بإجماع النـاس ليست الأرض، فـدل على أنه تعـالى منفــرد بوحدانيتــه، مســتوٍ على عرشه اســتواءً منزهًا عن الحلول والاتحاد.

دليـل آخــر:

قال الله تعالى: ﴿وجاء ربك والملك صفًا صَـفًا﴾ [الفجر :22]، وقـال تعـالى: ﴿هل ينظـرون إلا أن يـأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة﴾ [البقـرة :210]، وقـال: ﴿ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسـين أو أدنى. فـأوحى إلى عبـده ما أوحى. ما كـــذب الفـــؤاد ما رأى. أفتمارونه على ما يـرى. ولقد رآه نزلة أخـرى﴾ [النجم :8ـ- 13]، إلى قوله : ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ [النجم :18].

وقـال تعـالى لعيسى ابن مـريم عليه السـلام: ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾[آل عمـران :55]، وقـال تعـالى: ﴿وما قتلـوه يقينًا. بل رفعه الله إليه﴾ [النساء :157- 158].

وأجمعت الأمة على أن الله - ســـــــبحانه - رفع عيسى عليه السـلام إلى السـماء، ومن دعـاء أهل الإسـلام جميعا إذا هم رغبـوا إلى الله تعـالى في الأمر النـازل بهم يقولـون جميعًـا: (يا سـاكن السماء)[1]، ومن حلفهم جميعا: (لا والذي احتجب بسبع سماوات).

دليـل آخــر:

قــال الله عز وجل: ﴿وما كــان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولًا فيوحي بإذنه ما يشـاء﴾ [الشـورى :51]، وقد خَصَّـت الآية الشـريفة البشر دون غــيرهم ممن ليس من جنس البشــر، ولو كـانت الآية عامة للبشر وغيرهم، كان أبعد من الشبهة وإدخـال الشك على من يسـمع الآية أن يقول: (ما كان لأحد أن يكلمه الله إلا وحيًا، أو من وراء حجـاب، أو يرسل رسـولًا)، فـيرتفع الشك والحـيرة من أن يقـول: (ما كـان لجنس من الأجنـــاس أن أكلمه إلا وحيًــا، أو من وراء حجـــاب، أو

[1] (?) بيد أن الشـيخ الألبـاني¬ اسـتنكر هـذا الأثر في مختصر العلو ص240 قـائلًا ومعللًا: بـ "أنه لم يرد في خبر صحيح فيما علمتُ"




أرسل رسولًا)، ونـنزل أجناسًـا لم يعممهم بالآية فـدل ما ذكرنا على أنه خصّ البشر دون غيرهم.

دليـل آخــر:

قـــال الله تعـــالى: **ثم ردوا إلى الله مــولاهم الحق** [الأنعــام :62]، وقــال: **ولو تــرى إذ وقفــوا على ربهم** [الأنعــام :30]، وقــال: **ولو تــرى إذ المجرمــون ناكســوا رءوســـهم عند ربهم** [الســـجدة :12]، وقـــال عز وجل: **وعرضوا على ربك صـفًا** [الكهف :48]، كل ذلك يـدل على أنه تعالى ليس في خلقه ولا خلقه فيـه، وأنه مسـتوٍ على عرشه - سـبحانه - بلا كيف ولا اسـتقرار، تعـالى الله عما يقـول الظـالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا، فلم يُثبتوا له في وصفهم حقيقة، ولا أوجبوا له بذكرهم إياه وحدانية؛ إذ كل كلامهم يـؤول إلى التعطيـل، وجميع أوصافهم تدل على النفي، يريدون بذلك التنزيه ونفي التشبيه على زعمهم، فنعوذ بالله من تنزيه يوجب النفي والتعطيل[1].

دليـل آخــر:

قال الله تعالى: **الله نور السماوات والأرض** [النــور : 35]، فسمى نفسه نورًا، والنور عند الأمة لا يخلو من أن يكون أحد معنيين:

إما أن يكون نورًا يُسْمَع، أو نورًا يُرَى.

فمن زعم أن الله يُسمَع ولا يُرى، فقد أخطأ في نفيه رؤية ربه وتكذيبه بكتابه وقــول نبيه ﷺ.. فقد وروت العلمـــاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (تفكروا في خلق الله ولا تفكـــروا في الله عز وجل، فإن بين كرسيه إلى السماء ألف عـام، والله عز وجل فوق ذلك)[2].

دليـل آخــر:

ورَوت العلماء رحمهم الله عن النـبي ﷺ أنه قـال: (إن العبد لا تزول قدماه من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن علمه)[3].

---

[1](?) وصـدق الأشـعري واللـه!.. والسـؤال: أين الأزهر وشـيوخه وكل من يـدَّعي شرف الانتساب إليه من ك لهذا ونحن نـرى أن بينهم وبينه بعد المشـرقين، علمًا بأن هذا الكلام مِن قِبَلِ الأشعري موجّهٌ لهم في المقام الأول قبل غيرهم، كـونهم أسَّ النفي والتعطيل؟.

[2](?) أخرجه أبو الشـيخ في العظمة (1، 2، 4، 21) والطـبراني في الوسط (6319) وحسنه الألباني في الصحيحة (1788).

وروت العلمـاء أن رجلًا[1] أتى النـبي بأَمَـةٍ سـوداء فقـال: يا رسول الله إني أريد أن أعتقها في كفارة، فهل يجوز عتقها؟ فقـال لها النبي :أين الله؟ قالت: في السماء، قال فمن أنا؟ قالت: أنت رسول الله، فقـال : أعتقها فإنها مؤمنـة)[2].. وهـذا يـدل على أن الله تعــالى على عرشه فـــوق الســماء فوقية لا تزيـــده قُربًا من العرش.

---

[3](?) صـحيح.. أخرجه الترمـذي (2417) من حـديث أبي بكر بن عيـاش عن أبي برزة الأسلمي مرفوعًا، لكن بلفظ: (وعن علمه فيم فعل).

[1](?) هو معاوية بن الحكم بن مالك بن خالد بن صـــخر بن الشـــريد الســـلمي، صـاحب مقولـة: (بـأبي هو وأمي ما رأيت معلمًا قبله ولا بعـده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني)، وذلك حين قال لرجل عطس: (يرحمك الله)، فما كـان منه عليه السـلام إلا أن قـال لـه: (إن هـذه الصـلاة لا يصـلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن).. يقول ¢: كـانت لي جارية ترعى غنمًا لي قِبَل أُحُـدٍ والجوانية فـاطلعت ذات يـوم فـإذا الـذئب قد ذهب بشاة من غنمها - وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون - لكني صـككتها صكة، فأتيت رسول الله فعظَّم ذلك علي، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قـال: (ائتني بها)، فأتيته بها، فقال لها: (أين الله؟) قالت: في السماء.

[2](?) صحيح.. رواه مسلم (537).

الباب الخامس
الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين

قــال الله ســبحانه وتعــالى: ﴿**كل شــيء هالك إلا وجهه**﴾ [القصص :88]، وقــال تعــالى: ﴿**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكـرام**﴾ [الــرحمن :27]، فــأخبر أن له - ســبحانه - وجهًا لا يفنى، ولا يلحقه الهلاك[1]، وقال تعــالى: ﴿**تجري بأعيننا**﴾ [القمر

---

[1](?) والأشاعرة قد عمدوا إلى تعطيل (صفة الوجه) في الآيتين بـزعم تنزيه الله عن الحوادث وعن إيهام الجوارح، مستدلين على صحة تأويل (الوجه) بـ (الـذات) بقــول ابن عبــاس: "الوجــه: عبــارة عنــه".. كما عضـدوا مـذهبهم بـأن مجاهـدًا والضحاك والشافعي أوَّلوا صـفة (الوجـه) في قـول الله تعـالى: ﴿**فأينما تولوا فثم وجه الله**﴾ [البقرة :115] بـ "قبلة الله" أو على معـنى: "فثم الوجه الـذي وجهكم الله إليه".
وجوابـه: أن (الوجـه) في الآية الأخـيرة: مما اختلف السـلف في كونها من آيـات الصـفات، وأن أكـثرهم على أنها ليست من آياته ففسـروها بما ذُكـر، لاسـيما أن (الوجه) قد يراد به في لغة العرب: (الجهة)، وعليه فإن مثل هذا لا يسمى تـأويلًا، إنما التأويل: صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف.
أما هذا الذي نقله - في آية الرحمن عن ابن عبـاس - غـيرُ واحد من المفسـرين: فليس له أصـل، والثـابت عنه إثبـات الوجه لله تعـالى بلا تكـييف ولا تجسـيم ولا تشـبيه، فقد قـال في قوله تعـالى: ﴿**للـذين أحسـنوا الحسـنى وزيـادة**﴾ [يونس :26]: "الزيادة: النظر إلى وجه الله" وقد رواه عنه البيهقي في (الأسماء والصفات) ص150، وكذا اللالكائي في (شرح أصول السنة) 1/ 378.. كما رواه اللالكائي عن كعب بن عجرة وسعيد بن المسيب والحسن البصري وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعامر بن سعد وأبي إسحاق وابن سابط وعكرمة وقتادة وغـيرهم.. ورواه الدارقطني في كتاب (الرؤية) عن الضحاك.
كما قال اللالكائي في (شـرح أصـول السـنة) 1/ـ 373 وتحت عنـوان: (سـياق ما فُسر من الآيـــات في كتـــاب الله على أن المؤمـــنين يـــرون الله يـــوم القيامة بأبصـــارهم): قد "رُوي عن النـــبي فيما صح عنه من تفســـيره، أن (الزيـــادة): (النظر إلى الله عز وجل).. ورَوي ذلك من الصحابة: أبو بكر الصـديق وحذيفة بن اليمان وأبو موسى الأشعري وابن مسـعود.. ومن التـابعين: عبد الـرحمن بن أبي ليلى وسعيد بن المسيب والحسن وعكرمة وعـامر بن سـعد البجلي وأبو إسـحاق السبيعي ومجاهد وعبد الرحمن بن سابط وقتادة والضحاك وأبو سنان".
إذًا فهما – النظر إلى الله أو إلى وجهه تعالى - روايتان غير متعارضـتين ولا يمكن التغاضي عن إحـداهما على حسـاب الأخـرى.. ويؤكد هـذا أن مجاهـدًا وجميع من نُقل عنهم تفسير الآية من سورة الرحمن، لم ينف (صفة الوجه) عن الله.. وكـذا فَعل البخاري عندما عقد بابًا في (كتاب التوحيد) من صحيحه، في إثبات (الوجـه) لله مسـتدلًا بالآية ذاتهـا، وسـاق من الأحـاديث ما يوضح أن تفسـير (الوجـه) بــ (الذات) لا ينافي إثبات صفة الوجه، وبما يعـني: أن الـذي يُنكر في هـذا المقـام، هـو: تعطيل (صـفة الوجـه) لله تعـالى، أما تفسـير هـذه الصـفة بــ (الـذات) فلا

:14]، وقـال تعـالى: ﴿**واصنع الفلك بأعيننا ووحينا**﴾ [هـود : 37]، فأخبر تعالى أن له وجهًا وعينًا لا تكيَّف ولا تحدُّ، وقال تعالى: ﴿**واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا**﴾ [الطور :48]، وقال تعالى: ﴿**ولتصنع على عيني**﴾ [طه :39][(1)]، وقال تعالى: ﴿**وكان الله سميعًا بصيرًا**﴾ [النساء :134]، وقـال لموسى وهـارون -عليهما أفضل الصـلاة والسـلام-: ﴿**إنـني معكما أسـمع وأرى**﴾ [طه : 46].. فأخبر تعالى عن سمعه وبصره ورؤيته.

غضاضة فيه، فالشـيء قد يُعـبر عنه ببعض صـفاته.. وعليه فقولـه: ﴿**كل شـيء هالك إلا وجهه**﴾ [القصص :88)] وبمـوجب السـياق، المـراد بـه: ذاته تعـالى المتصفة بالصفات العلى ومنها (الوجه)، وهذا ظاهر لا خفاء فيـه، إذ لا يفـنى منه شيء تعالى عن ذلك، وإنما عبر القـرآن عن ذلك بـذكر صـفة من صـفاته تعـالى، وهي: وجهه.

قال الحافظ ابن كثير – في تفسيره لآية الـرحمن بعد أن سـاق قـول مجاهد بـأن المراد من الآية: "إلا ما أريد به وجهه" -: "وهـذا القـول، لا ينـافي القـول الأول – يعني: تفسيره (الوجه) بـ (الذات) – فإن هذا إخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة إلا ما أريد بها وجه الله من الأعمــال الصــالحة المطابقة للشــريعة، والقــول الأول مقتضاه: أن كل الـذوات فانية وهالكة إلا ذاته تعـالى، فإنه الأول الآخـر، الـذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء".

وكـان الأشـعري أبو الحسن قد سـاق حكاية أهل السـنة وأصـحاب الحـديث في إثبات (صفة الوجه) لله تعـالى وسـيأتي نص عبارتـه.. كما ينظر للمزيد من الأدلة على إثباتها كتابنـــا: (قـــرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صــــفات الله على ظاهرها دون المجاز)، وعلى رد تأويل (صـفة الوجـه) دون ما قرينة مانعـة: كتابنا (موقف السلف من المجاز في الصـفات) صـفحات 72، 110، 116، 132 وما بعدها

[1](?) أما عن الأربع آيات الأخيرة التي استشهد الأشعري بها بشأن (صفة العينين) لله تعالى، فهي لبيان وجوب إثباتهما بحقه تعالى والإخبـار بـذلك على حـدِّ قولـه، وإلا فلإثبات هذه الصفة لله أدلة أكثر صراحة وأوضح استدلالًا عليها.. وإنما نقــول ذلك لأنه لم يَجُــزْ لـدى سـلفنا إغفـال سـياقات الكلام ومقتضـيات الأحـوال في معالجة مثل هذه الأمور، فأئمة السـلف لم يمنعـوا تفسـير الصـفة بلازمها بمعونة السياق، شريطة إثباتها له تعالى على الوجه اللائق به من غـير تكـييف ولا تشـبيه ولا تجسيم ولا تأويل ولا تفويض.

وعليه فقد وجب التنبيه على أن مَن لم ينكر ثبوت هذه الصفة لله تعالى من أئمة أهل السـنة وذهب إلى تفسـيرها في نحو آيـتي: (القمر) و(هـود) بلازمها - حيث الحديث عما كان من أمر نوح عليه السـلام وكيـدِ قومِه لـه، وباعتبـار أن نوحًا ولا فُلكَه لم يكونا في نفس عين الله، لكون ذاته تعـالى ليست محلًا للمخلوقـات كما هو معلوم لـدى كل عاقل - فـإن ذلك لا يُعَـدُّ في حقه تـأويلًا، لكـون ثبـوت اللازم فرعًا من ثبـــوت الملـــزوم، وبخاصة مع ما ورد عن ابن عبـــاس من أنه في آية القمـر: (أشـار إلى عينيـه).. وبنحـوٍ من ذلك يقـال بحق نـبي الله موسى ومحمد عليهما السلام الوارد ذكرهما في آيتي (الطور) و(طه)

فصـــل:

ونفى الجهمية أن يكون لله تعالى (وجهٌ) كما قال، وأبطلوا أن يكون له (سمع وبصر وعين)، ووافقـوا النصـارى؛ لأن النصـارى لم تُثبت الله (سميعًا بصيرًا) إلا على معنى: أنه (عالم)، وكـذلك قـالت الجهميـة، ففي حقيقة قـولهم أنهم قـالوا: نقـول إن الله عـالم، ولا نقول سميع بصير على غير معنى عالم، وذلك قول النصارى.

قالت الجهمية: إن الله لا علم لـه، ولا قـدرة، ولا سـمع لـه، ولا بصـر، وإنما قصـدوا إلى تعطيل التوحيـد، والتكـذيب بأسـماء الله

وكــذا لو قــال قائل في قوله تعــالى بحق موسي وهــارون وكيد فرعــون لهمــا: ﴿إنــني معكما أســمع وأرى﴾ [طه :46]، (أي: أنتما في حفظي ورعــايتي)، وكذا الآية 39 من نفس السورة؛ لكان صحيحًا وليس هذا من قبيل التأويل للرؤية أو الســـماع، لكـــون إثباتهما حاصل بثبـــوت لازمهمـــا.. وينظر للمزيد في ذلك (الأشـاعرة في مـيزان أهل السـنة) ص559:ـ 561 كما ينظر في رد تأويل صـفة العين لله فيما سـوى ذلك كتابنــا: (موقف السـلف من المجــاز في الصــفات) صفحات 81، 114، 116، 132 وما بعدها.

على أن ما سـبق لا يمنع بل يسـتوجب ذِكْـرَ (قـرائن النقل أو الشـرع أو السـمع) على حمل (صــفة العيــنين) على ظاهرها دون ما تأويل ولا تمثيل ولا تكــييف ولا تجسيم ولا تفويض، ونذكر منها - من غير ما أورده الأشعري -:

ما أخرجه الشيخان - البخـاري (7407) وبنحـوه (3439) ومسـلم (2932) - عن نافع من أن ابن عمر أخبره أن الدجال ذُكر بين ظهراني الناس، فقال رسول الله ﷺ :(إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بــأعور – وأشــار بيــده إلى عينه – وإن المسيخ الدجال أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية).

وهي فيما جعله البخاري تحت باب: (حجة الـوداع) - 4402 وبنحـوه 7132 - عن ابن عمـر، بلفـظ: (ما بَعث الله من نـبي إلا أنـذر أمتـه، أنـذره نـوح والنـبيون من بعده، وإنه يخرج فيكم، فما خفي عليهم من شـأنه فليس يخفى عليكم.. إن ربكم ليس بــأعور، وإنه أعــور عين اليمــنى، كــأن عينه عنبة طافيــة).. وكـذا فيما جعله تحت بـاب (قـول الرجـل: اخسـأ) - (6175) وبنحـوه: (3057، 3337، 7127) ومسلم (2931) - عنه، بلفظ: (قام رسول الله ﷺ في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: (إني أنذركموه، وما من نبي إلا وقد أنـذره قومَـه، ولقد أنذر نوح قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، تعلمون أنه أعــور، وأن الله ليس بــأعور).. وفيما أخرجه البخــاري أيضًــا – (7408، 7131 ومسلم 2933) - من رواية أنس عنه ﷺ بلفظ: (ما بَعث الله من نبي إلا وقد أنــذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر).

ووجه الاسـتدلال في جملة هـذه الأحـاديث - على اختلاف ألفاظها وتنـوع عباراتها وتعدد طرقها ورواياتهــا، وهي قليلة من كثـير، وعلى نحو ما نص عليه ابن المنـير ونقله عنه ابن حجر في الفتح 13/ـ 401 –: "إثبـات العين لله من جهة أن العـور عرفًا: عدم العين، وضد العور: ثبوت العين، فلما نُزعت هذه النقيصة، لـزم ثبـوت الكمـال بضـدها، وهـو: وجـود العين"، يقـول الـدارمي أبو سـعيد كما في (عقائد السلف) للنشـار ص315: "قـول رسـول الله ﷺ : (إن الله ليس بـأعور)، بيـان أنه تعالى بصير ذو عينين، خلاف الأعور".. فهذا بضـميمة قوله عز من قائـل: ﴿**ليس**

تعالى، فأعطوا ذلك له لفظًا، ولم يحصلوا قولهم في المعنى، ولولا أنهم خـافوا السَّـيف؛ لأفصـحوا بـأن الله غـير سـميع ولا بصـير ولا عالم، ولكن خوف السيف منعهم من إظهار زندقتهم.

وزعم شيخ منهم نحْسٌ مقـدَّم فيهم أن علم الله هو اللـه، وأن الله - سـبحانه - علم، فنفى العلم من حيث أوهم أنه يثبته حـتى ألـزم أن يقـول: يا عِلم اغفر لي؛ إذ كـان علم الله عنـده هو اللـه، وكـان الله - على قياسه الفاسد - علمًا وقـدرةً.. تعـالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

كمثله شـيء [الشـورى :11] دال على أنها ليست بحدقة ولا مما يُظن فيه التشبيه.
وعليه فلا يُلتفت لما جنح إليه المتكلمة من تأويل تلك الصـفة، أو حملها على التمثيل أو التشـبيه أو التجسـيم، لأن شـيئًا من ذلك لا يتـأتى إلا بعد تكـييف، وهو مجهـول! ولأن أحـدًا – ممن أثبتها من أهل السـنة وأصـحاب الحـديث على النحو اللائق به سبحانه وتعالى– ما قال إنها على معنى: إثبـات الجارحة له تعـالى، وقد ساق ابن حجر بالفتح 13/ـ 402 في ذلك كلام الشيخ شهاب الدين السـهروردي ت632 في كتاب (العقيدة) له، قال:
"أخبر الله في كتابه وثبت عن رسـوله: (الاسـتواء) و(الـنزول) و(النفس) و(اليـد) و(العين)، فلا يُتصـرف فيها بتشـبيه ولا تعطيـل، إذ لـولا إخبـار الله ورسـوله ما تجاسر عقل أن يحوم حول هذا الحمى.. قال الطيـبي: هـذا هو المـذهب المعتمد وبه يقـول السـلف الصـالح، وقـال غـيره: لم يُنقل عن النـبي ولا عن أحد من أصحابه من طريق صـحيح، التصـريح بوجـوب تأويل شـيء من ذلك ولا المنع من ذكـره، ومن المحـال أن يَـأمر الله نبيه بتبليغ ما أنـزل إليه من ربـه، ويُـنزل عليه **اليوم أكملت لكم دينكم** [المائدة :3]، ثم يَترك هذا الباب فلا يُميِّز ما يجوز نسبته إليه مما لا يجوز، مع حضه على التبليغ عنه بقوله :(ليبلغ الشاهد الغائب)، حـتى نقلـوا أقواله وأفعاله وأحواله وصـفاته وما كـان بحضـرته، فـدل على أنهم اتفقوا على الإيمان بهذه الصـفة على الوجه الـذي أراده الله منهـا، ووجب تنزيهه عن مشابهة المخلوقـات بقوله تعـالى: **ليس كمثله شـيء** [الشـورى :11]، فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم، فقد خالف سبيلهم"أ.هـ.
وهو إنما اقتصر في وصف الـدجال على ذكر العـور مع أن أدلة الحـدوث فيه ظـاهرة، لكـون العـور أمر محسـوس، يدركه العـالِم والعـامي ومن لا يهتـدي إلى الأدلة العقلية، فإذا ادَّعى الربوبية وهو ناقص الخلقة – والإله يتعالى عن النقص – عُلم أنه كاذب، وأن الله تعالى متصف بضده ومنزه عن النقص، كذا أفاده صاحب الفتح 13/ 103.
ومن الأدلة الشرعية على إثبات تلك الصفة من غير ما ذُكر:
1) حديث أبي هريرة - الذي صحح إسناده الألبـاني في (صـحيح أبي داود) - وفيه يقول أبو هريـرة: رأيت رسـول الله يقـرأ قوله تعـالى: **إن الله يأمركم أن تـؤدوا الأمانـات إلى أهلها**، إلى قوله تعـالى: **إن الله كـان سـميعًا بصيرًا** [النسـاء :58]، ويضع – أبو هريـرة – إبهامه على أذنه والـتي تليها على عينـه، ويقـول: (رأيت رسـول الله يقرأها ويضع أصـبعيه).. وإنما فعلاه تحقيقًا لمعنى الصفة وبيـان أنها حقيقة وليست مجـازًا، وحاشـاهما أن يكونا قد فعلا ذلك

قال الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشـعري رحمه الله ورضي عنـه: بالله نسـتهدي، وإيـاه نسـتكفي، ولا حـول ولا قـوة إلا بالله العلي العظيم، وهو المسـتعان.. أما بعـد: فمن سَـألنا فقـال: أتقولون إن لله - سبحانه - وجهـا؟، قيل لـه: نقـول ذلـك، خلافًا لما قاله المبتـدعون، وقد دل على ذلك قوله تعـالى: **﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾** [الرحمن :27].

تشبيهًا بعين المخلوق.

2) وما ذكره ابن حجر في الفتح 13/ـ 385 كشاهد لحـديث أبي هريـرة السـالف الذكر، من حديث عقبة بن عامر وسنده حسن، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقــول على المنبر: (إن ربنا سميع بصير) وأشار إلى عينيه صلوات الله عليه.

3) وكذا ما أورده اللالكائي في شرح أصـول السـنة 1/ـ 337 تحت بـاب: (ما دل من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله بأن الله سـميع بسـمع بصـير ببصـر)، فقد ذكر فيه ضمن ما ذكر: ما أخرجه أبو داود بسـند صـحيح من أن النـبي ﷺ قـرأ آيـة: **﴿سميعًا بصـيرًا﴾**[النسـاء :58]، فوضع إصـبعه وإبهامه على عينه وأذنـه.. وما أورده هو بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى: **﴿تجري بأعيننا﴾** [القمر :14]، قال: أشار بيـده إلى عينيـه.. وفيهما وما قبلهما ما في السـابق من تحقيق معـنى الصفة وعدم صرفها إلى المجاز.

4) ومن أدلة ثبوتها كـذلك: ما ذكـره البخـاري في بـاب: **﴿وكـان الله سـميعًا بصيرًا﴾**، من نحو حديث أبي موسى 7386، قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال: (أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تـدعون أصم ولا غائبًـا، إنما تدعون سميعًا بصيرًا قريبًـا)، وقد علق عليه ابن حجر في الفتح 13/ـ 385 بقـول ابن بطال:

"غرض البخاري في هذا الباب: الرد على من قال: (إن معنى سميع بصير: عليم) – ويعني بذلك: أهل الاعـتزال – قـال: (ويلـزم من قـال ذلك أن يسـويه بـالأعمى الذي يعلم أن السماء زرقاء ولا يراهـا، والأصم الـذي يعلم أن في النـاس أصـواتًا ولا يسـمعها، ولا شك أن من سـمِع وأبصر أدخل في صـفة الكمـال ممن انفـرد بأحدهما دون الآخر، فصح أن كونه سميعًا بصيرًا يفيد قدرًا زائدًا على كونه عليمًا، وكونه سميعًا بصيرًا يتضمن أنه يسمع بسمع ويبصر ببصر، كما تضـمن كونه عليمًا أنه يعلم بعلم، ولا فرق بين إثبات كونه سميعًا بصيرًا وبين كونه ذا سـمع وبصـر)، قال: (وهذا قول أهل السنة قاطبة)".

لكن الغـريب في الأمر أن ابن حجر وكل من حجل بقيـده من متكلمة الأشـاعرة؛ يـردُّون على المعتزلة إنكـارهم لصـفتي السـمع والبصر على هـذا النحو المفحم، وهم من يخالفون أهل السنة ويتأولون (صفة العين) وينفونها بزعم تنزيه الله عن مشـابهة الحـوادث، فعطلـوا بعد أن شـبهوا وكيَّفـوا، والأغـرب أنهم يشـاركون المعتزلة في تعطيل غـير صـفات المعـاني وفي تحريف نصوصـها، بل ويعتمـدون نفس تأويلاتهم الباطلة في سائر صـفات الله الخبرية والفعليـة، ويتبعـون سـننهم في هذا حذو القُـذَّة بالقُـذة، والحق أنه ليس ثمة تنـاقض أفحش من هـذا، بل هو التناقض عينه.

مســـــألة:

قد سُئلنا أتقولون إن لله يدين؟، قيل: نقول ذلك بلا كيـف، وقد دل عليه قوله تعــالى: ﴿**يد الله فــوق أيــديهم**﴾ [الفتح :10]، وقوله تعالى: ﴿**خلقت بيـدي**﴾ [ص :75].. ورُويَ عن النـبي ﷺ أنه قال: (إن الله مسح ظهر آدم بيده فاسـتخرج منه ذريتـه)[1]، فثبتت اليد بلا كيف.

وجـاء في الخـبر المـأثور عن النـبي ﷺ (أن الله تعـالى خلق آدم بيده، وخلق جنة عـدن بيـده، وكتب التـوراة بيـده، وغـرس شـجرة

---

5) ومن أدلة الشرع على ما نحن بصدده من إثبـات صـفة العيـنين لله تعـالى: ما أخرجه مسلم وغـيره من حـديث أبي هريـرة: (إن الله ¸ لا ينـام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعـه، يُرفع إليه عمل الليل قبل النهـار وعمل النهـار قبل الليل، وحجابه النور، لو كشفه لأحـرقت سُـبُحات وجهه كل شـيء أدركه بصـره)، وفي رواية له عن أبي ذر: (لأحــــرقت سُــــبُحات وجهه ما انتهى إليه بصــــره من خلقه).. فقوله: "(لو كشفه: يعني: لو رفع الحجاب عن أعينهم ولم يُثَبِّتْهم لرؤيته؛ لاحــترقوا وما اســتطاعوا"، انتهى من كلام الــبيهقي، وكــان أن نقل في معــنى (السُبُحات) قولة أبي عبيدة: "إنها جلال وجه الله، ومنها قيل: (سبحان الله)، وهو تعظيم له تعالى وتنزيه".

6) و(ما جاء في إثبات صفة البصر والرؤية لله تعالى): وهذا عنوان جعله البيهقي ص252 – ومن على شــاكلته من أهل الاعتقــاد – بابًا أدرج تحته ما ورد من ذلك من نصـوص القــرآن، من نحو قوله تعــالى: ﴿**فسـيرى الله عملكم**﴾ [التوبة : 105]، وقوله تعالى: ﴿**إنه كان بعباده خبيرًا بصيرًا**﴾ [الإسراء :30]، وقوله: ﴿**إن الله بعباده لخبـير بصـير**﴾ [فـاطر: 31] وقولـه: ﴿**ألم تعلم بـأن الله يرى**﴾ [العلق :14].

7) وكذا ما استشهد به ابن حجر في الفتح لنصوص البـاب، من نحو قوله تعـالى: ﴿**ولا ينظر إليهم**﴾ [آل عمـران :77]، وحـديث: (لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء).. إلى آخر ذلك مما يدل بطريق المخالفة على إثبات صفة العين، ولا يوجد معه دليل يصـــرفها عن ظاهرهـــا.. بل العكس على ما أفـــاده قوله ﷺ فيما رواه مسـلم عن أبي هريـرة رفعـه: (.. ولكن ينظر إلى قلـوبكم)، وحـديث: (إن رجلًا ممن كـان قبلكم لبس بـردتين يتبخـتر فيهمـا، فنظر الله إليه فمقتـه).. وهل ثمة نظر إلا بالعين؟!

وقد تبين مما سبق أن له تعالى عيـنين يحيط بهما خلقه ويَحـرِم بعضَ عبـاده من النظر إليه تعـالى مجـازاة، خلافًا للأشـاعرة الـذين يثبتـون لله البصر ولا يثبتـون العين، ويقولون: (إن الله يَـرى لكن لا بعين) ويقفـون عند هـذا الحـدّ.. وإنما قـال أهل السـنة: (إن الرؤية شـيء والعين شـيء آخـر، وإنه لا يلـزم من إثبـات البصر إثبـات العين) مع سـلامة الاعتقـاد في إثبـات صـفة العيـنين له تعـالى على النحو السالف الذكر، لأن ذلك ممكن عقلًا، فهذا هو القرآن يتحدث عما يكون عليه حال الأرض يوم القيامة فيقول: ﴿**يومئذ تحدث أخبارها**﴾ [الزلزلة :4]، فـأخبر أنها تُحَـدِّث بما كـان يَعمل عليها النـاس، وما كـانت تسـمعه منهم: بلا أذن، وما كـانت تراه لهم: بلا عين، وخالقها سبحانه قادر على كل شيء، ويقال للمجسـمة الـذين ذهبوا إلى الجارحة وكذا للمتأولة: "لا نقول إن لها مثيلًا حتى تلزمونا بـذلك، وأنتم

طوبى بيده)[1]، وقال تعالى: ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾ [المائدة :64].. وجاء عن النبي ﷺ أنه قـال: (كلتا يديه يمين)[2].. وقـال تعـالى: ﴿**لأخذنا منه باليمين**﴾ [الحاقة :45].

وليس يجوز في لسان العرب، ولا في عادة أهل الخطــاب، أن يقول القائل: (عملت كذا بيـدي)، ويعـني بـه: (النعمـة).. وإذا كـان الله عز وجل إنما خـــاطب العـــرب بلغتها وما يجــري مفهومًا في كلامها، ومعقولًا في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل: (فعلت بيدي)، ويعـني: (النعمـة).. بطل أن يكـون معنى قوله تعالى: ﴿**خلقت بيدي**﴾ [ص :75]: (النعمة).

إذا ألزمتمونا بذلك ألزمناكم بذلك في ذاته تعالى".. إذ للخلق ذوات وهي أجسام، ولكن ذاته تعـالى لا تشـبه ذواتهم، كـذا في شـرح العقيـدة السـفارينية ص149، 210.

وأما دلالة اللغة على إثبات صفة العين له تعالى وإبطال صـرفها من ثَمّ إلى المجاز، فمن وجوه عدة، أهمها:

1-إشارة النبي ﷺ إلى عينيه عند ذكر صفة البصر أو العين، وكـذا مَن رووا عنه من الصـحابة على نحو ما ذكرنا فيما سـبق، وفي ذلك يقـول الـبيهقي في (الأسـماء والصفات) ص254 وقد نقله عنه ابن حجر في الفتح 13/ 385: "المراد بالإشارة المروية في الخبر - يعـني خـبر أبي هريـرة الفـائت - تحقيق الوصف لله بالسـمع والبصر، فأشار إلى محلي السمع والبصر منا، لإثبات صفتهما له تعالى، كما يقال: (قبض فلان على مال فلان)، ويشار باليد، على معنى: أنه حاز ماله"، قال: "وأفاد هـذا الخـبر أنه سـميع بصـير، له سـمع وبصر لا على معـنى أنه عليم، إذ لو كـان بمعنى العلم لأشار في تحقيقه إلى القلب لأنه محل العلوم منا، وليس في الخـبر إثبات الجارحة، تعالى الله عن شَبَه المخلوقين علوًّا كبيرًا".

2-أن فيما ذكرنـاه لابن بطـال، الـرد القـاطع على من أخـرج الصـفة إلى المجـاز وتأولها.. وفي المزيد من رد ما فاه به أهل الاعــتزال – وقد تبعهم فيه أهل الكلام – يقـول ابن حجر في الفتح 13/ـ 385: "واحتج المعـتزلي بـأن السـمع ينشأ عن وصول الهواء المسموع إلى العصب المفروش في أصل الصماخ والله مــنزه عن الجوارح.. وأجيب: بأنها عادة أجراها الله تعـالى فيمن يكـون حيًّا فيخلقه الله عند وصـول الهـواء إلى المحل المـذكور، والله سـبحانه يَسـمع المسـموعات بـدون الوسائط، وكذا يَرى المرئيات بـدون المقابلة وخـروج الشـعاع، فـذات البـاري مع كونه حيًّا موجودًا لا تشبه الذوات، وكذلك صفات ذاته لا تشبه الصفات"إ.هـ.

3- أن إثبات هذه الصفة إنما يأتي قياسًـا على سـائر صـفاته تعـالى الذاتية الثابتة في حقه تعـالى من سـمع وقـدرة وإرادة وعلم وحيـاة، على الوجه اللائق به من غـير تكـييف ولا تشـبيه ولا تمثيل ولا تجسـيم، لأن دلالة العقل والسـمع على أنه (رحمن رحيم سميع بصير)، كدلالتهما على أن له تعالى (عينين ويد ووجه ومجيء ويمين وإتيـان وأصـابع) تليق بذاتـه، ودلالتهما عل إثبـات ذلك لا تتنـافى مع دلالة اللغة بل تتلاقى معها تمامًا، لكون المعـنى المفهـوم في حقنا – على ما تقضي به اللغة – يمتنع على الله، فكما أن (إرادته) ليست من جنس إرادة خلقه (فرحمتـه) كذلك، وكـذا (محبته واسـتواؤه ووجهه ويـداه وعينـاه)، وكل ذلك معلـوم بالبديهة على ما أفاده شيخ الإسلام في (الإكليل) ص23: 36.

وذلك أنه لا يجـوز أن يقـول القائـل: (لي عليه يـدي)، بمعـنى: (لي عليه نعمــتي)، ومن دافعنا عن اســتعمال اللغة ولم يرجع إلى أهل اللسان فيها، دوفع عن أن تكـون (اليـد) بمعـنى: (النعمـة)؛ إذ كـان لا يمكنه أن يتعلق في أن (اليـد: النعمــة) إلا من جهة اللغـة، فــإذا دَفَع اللغة لزمه أن لا يفسر القــرآن من جهتهــا، وأن لا يُثبت (اليد نعمة) من قِبَلها.

لأنه إن روجع في تفسير قوله تعالى: ﴿**بيـدي**﴾: (نعمـتي) إلى الإجمـاع، فليس المسـلمون على ما ادّعى متفقين، وإن روجع إلى

4-مجيئُها مثناة، على ما هو مفـاد من قوله ﷺ في وصف الـدجال: (إنه أعـور، وإن ربكم ليس بـأعور)، وكـذا لفـظ: (أعـور العين اليمـنى).. ذلك أنه لا عـور إلا لـذي عيـنين، كما لا يقـال في لغة العـرب: (أعـور) إلا لعـور العين، خلافًا لِما لو قيـل: (عوِر) أو (عوار) فإنه ربما يراد به مطلق العيب.
على أن ورودها في نحو قوله تعــالى: ﴿**ولتصـــنع على عيـــني**﴾ [طه :39]، وقوله: ﴿**واصـبر لحكم ربك فإنك بأعيننا**﴾ [الطـور :48]، وقولـه: ﴿**تجـري بأعيننا**﴾ [القمر :14]، كذا بصيغة الإفراد تارة وبصيغة الجمع أخـرى، يعـدُّ قرينة دالة كــذلك على أن المــراد منها الحقيقة والحمل على الظــاهر المســوِّغ لجعل المعنى: (ولتُربي وتُحبب إلى الخلق وتُغذى على عيني)، فهو "كقولك: (أفعلُ هـذا على عيني) و(أحبُّك على عيني)، ولا يريد أن له عينًا واحدة، أما إذا أضيفت العين إلى اسم الجمع ظـــاهرًا ومضـــمرًا فالأحسن – على حد ما جـــاء في مختصر الصواعق ص27 – جمعها مشاكلة للفظ"، والمعـنى في آية الطـور: (اصـبر على أذاهم ولا تبـالِهم فإنك بمـرأى منـا)، وفي آية القمـر: (تجـري بأمرنا وبمـرأى منا وتحت حفظنا وكلاءتنـا)، وتلك عبـارات الحافظ ابن كثـير وفَهم الأشـعري إمـام المذهب، فهُما وسواهما من أهل الحق لم يفهمـوا من (الأعين) أعينًا كثـيرة على نحو ما يتراءى لأهل الزيغ والضلال.
والقول بأن هذا تأويل، يرِد عليه: أن دلالة السياق على ذلك، وعلى منع أن يكـون الظاهر: أن كليم الله موسى وحبيبه محمد أو سفينة نوح تجـري في نفس العين، فإن هذا لا تقتضيه اللغة العربية.. لكن ذلك مشروط – كما سبق أن أشرنا – بـأن يتأتى ممن يُقرُّ بالصفة، فيكون من باب التفسير باللازم مع إثبات الأصل وإلا عُــدَّ ذلك منه تحريفًا، لكون هذه المعاني لا تستعمل أصلًا إلا لمن له عين حقيقية.. ولا يبعد أن تحمل صيغ الجمع في مثل هذا: على ما دون الثلاثة وأن أقله اثنــان، وأنه إنما لم يُرد به مدلوله التعـددي وإنما المعنـوي وهو التعظيم، تمامًا كما هو الحـال في قوله تعالى:﴿**أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا**﴾ [يس :71]، ولغة العرب تتسع لذلك أيضًا، فقد يعبر فيها عن الاثنين بلفظ الجمـع، وقد يقوم فيها الواحد مقام الاثنين، والقرآن إنما نزل بلغة العرب.
5- أن العين مما يتنوع فيه المضاف بتنوع المضاف إليه.. فـإذا قيـل: (بصر اللـه) و(سمعه) و(وجهـه) و(يـده) و(علمـه) و(قدرتـه) و(مشـيئته) و(إتيانـه).. كـان ذلك حقيقـة، وكـان المضـاف فيه بحسب المضـاف إليـه، فـإذا لم يكن المضـاف إليه مماثلًا لغيره لزم بالضرورة أن يكون المضاف كذلك غـير مماثـلٍ لغـيره، فـدعوى لزوم التشبيه والتمثيل التي تكررت كثيرًا في كلام مَن نفى الصفة، دعوى باطلة، لأنه متى لزم من إثبـات العين لله حقيقة التمثيل والتشـبيه، لـزم ذلك في إثبـات

اللغة فليس في اللغة أن يقول القائل: (بيدي)، يعني: (نعمتي)، وإن لجأ إلى وجه ثالث سألناه عنه، ولن يجد له سبيلًا[1].

مســــألة:

ويقال لأهل البدع: ولم زعمتم أن معنى قوله: (بيدي): (نعمتي)؟!؛ أزعمتم ذلك إجماعًا أو لغة؟.. فلا يجدون ذلك إجماعًا ولا في اللغة.

وإن قـــــالوا: قلنا ذلك من القياس؛ **قيل لهم:** ومن أين وجدتم في القياس أن قوله تعالى: ﴿ﯾﺒ﴾ لا يكون معناه إلا

سائر الصفات التي أثبتوها، وإذا أشبهَت الصفة القديمة صفات المخلوقين لزم وقوع التشبيه بين الذاتين، وهذا – بالطبع – باطل فبطل ما أدى إليه.

6-أن العقل حاكم بكون صفة العين صفة كمال ونفيها نقص، وكل كمال في المخلوق فالله تعالى أولى به، وعليه فتأويلها بـ (الحفظ والرعاية) وما أشبه بدون دلالة السياق، مما يدخل في إطار النفي لهذه الصفة أو التعطيل، ولا تساعده اللغة ولا تدل عليه، بل يعد اتهامًا للخالق بالنقص وهو سبحانه منزه عنه.

7-يدل على أن نفي العين في حق الله نقص - ومن ثم تكون ثابتة له تعالى على الوجه اللائق به ويكون إثباتها له صفة كمال -: أقواله ' المتضافرة في نفي نقص العور عنه تعالى كما في أحاديث الدجال التي مرت بنا.. وفي تأكيد ما سبق - ومن غير ما جاء في كلام الأشعري في الإبانة - يقول البيهقي والطيبي: "عَرَفنا بقوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ [الشورى :11] أنها ليست بحدقة ولا مما يُظن فيه التشبيه أو التجسيم، وكان إثبات أهل السنة وأصحاب الحديث للصفة على النحو الذي نقله عنهم أبو الحسن الأشعري وعدم نفيها كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج"، كذا أفاده البيهقي في الاعتقاد ص70 والأسماء والصفات ص446 كما نقله ابن حجر عن الطيبي في الفتح 13/ 402.

8-قول متنطعي الإثبات من الحشوية بأن (ما سبق أن ذكرناه مما اقتضته السياقات: تعطيل أو تحريف للكلم عن مواضعه أو مخالفة لأوضاع اللغة)، يرد عليه: أن هذا - وعلى ما تقتضيه اللغة - غير صحيح بالمرة، لكونه من قبيل التفسير باللازم المتفرع والمستلزم لثبوت الملزوم، وهو فضلًا عن كونه ليس بالغريب عن لغة العرب، هو مما يسيغه السياق، إذ من المعلوم ما كان يكيده أقوام نوح وموسى ومحمد لأنبيائهم عليهم السلام، فكانت التسلية من الله لهم: أنكم بمــــرأى منا وتحت نظرنا وحفظنـــا، وهو – مع ذلك – إنما يُقبل فقط مما الشرط في قائله أن يكون ممن يثبت الصفة لا ممن ينكرها ولا يثبتها، ولا ممن يتأولها بدون دليل فيكون ممن يحرفون الكلم عن مواضعه.

على أن أبا الحسن الأشعري إمام المذهب لم يكتف بما ذكره هنا في (الإبانة)، حتى جعل يؤكده في (مقالات الإسلاميين) ص211 إبّان ردّه أيضًا عادية المعتزلة والمجسمة ومن تبعهما أو كان على شاكلتهما، في تأويلاتهم صفة العين لله تعالى.. وليعلن أنه ضد الأشعرية وأنه يدين الله تعالى بمذهب أهل السنة وأصحاب الحديث.

وذلك قوله: "وقال أهل السنة وأصحاب الحديث: ليس بجسم ولا يشبه الأشياء.. وأن له عينين كما قال: ﴿**تجري بأعيننا**﴾ [القمر :14]".. وقوله رحمه الله في موضع آخر بنفس المصدر ص217 في سياق الاختلاف في العين والوجه واليد



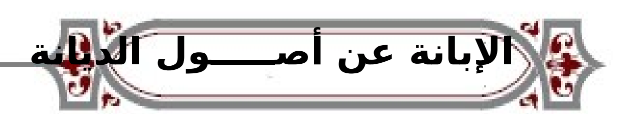

(نعمتي؟)؛ ومن أين يمكن أن يُعلم بالعقل أن تفسير كـذا وكـذا مع أنّا رأينا الله عز وجل قد قال في كتابه العزيز، الناطق على لسـان نبيه الصـادق: **وما أرسـلنا من رسـول إلا بلسـان قومه** [إبراهيم :4]، وقال تعالى: **لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مـبين** [النحل :103]، وقـال تعـالى: **إنا جعلنـاه قرآنًا عربيًا** [الزخـرف :3]، وقـال تعـالى: **أفلا يتدبرون القرآن** [محمد :24]، ولو كـان القـرآن بلسـان غـير العرب لما أمكن أن نتدبره، ولا أن نعرف معانيه إذا سـمعناه، فلما كان من لا يحسن لسان العـرب لا يحسـنه، وإنما يعرفه العـرب إذا

ونحوها: "وقال أصحاب الحديث: لسنا نقول في ذلك إلا ما قاله الله، أو جاءت به الرواية عن رسـول الله ، فنقـول: (وجه بلا كيـف، ويـدان وعينـان بلا كيـف)".. وأشـــار في موضع ثـــالث بنفس المصـــدر ص290 إلى أن: "جملة ما عليه أهل الحـديث والسـنة: الإقـرار بالله وملائكته وكتبه ورسـله وما جـاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ، لا يـردُّون من ذلك شـيئًا.. وأن الله على العـرش كما قال.. وأن له عينين بلا كيف كما قال: **تجري بأعيننا** [القمر :14]".. إلى أن قـال: "فهـذه جملة ما يـأمرون به ويسـتعملونه ويرونه (وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب)"إ.هـ.

وكان ¬ قد ساق في (رسالته إلى أهل الثغر) الإجماع على إثبات جميع ما أثبته تعالى لنفسه وأثبته له رسوله ، فذكر في (الإجماع الرابـع) أن أهل السـنة "أجمعوا على إثبات حياة لله لم يزل بها حيًّا.. وسـمعًا وبصـرًا لم يـزل به سـميعًا بصيرًا، وعلى أن شيئًا من هذه الصفات لا يصح أن يكون محـدثًا، إذ لو كـان شـيئًا منها محـدثًا لكن تعـالى قبل حـدثها موصـوفًا بضـدها، ولو كـان ذلك لخـرج عن الإلهية".

إلى أن قال في (الإجماع الخامس): "ولا يجب إذا أثبتنا هـذه الصـفات له ٍ على ما دلت العقول واللغة والقرآن والإجماع عليها – أن تكون محدثـة، لأنه تعـالى لم يـزل موصـوفًا بهـا، ولا يجب أن تكـون أعراضًـا لأنه ٍ ليس بجسـم، وإنما توجد الأعراض في الأجسام، ويُدلُّ بأعراضها فيها وتعاقبها عليها على حدثها.. فلـذلك لا يجوز على صفاته ما يجوز على صفاتنا".. وقال في (الإجماع السـابع): "وأجمعـوا على أنه ٍ (يسمع ويـرى)، وأن له تعـالى (يـدين مبسـوطتين)، وأن الأرض جميعًا (قبضته) يوم القيامة، والسموات مطويـات (بيمينـه) من غـير أن يكـون جوارحًـا، وأن (يديه) تعالى غير نعمته".. وقال في (الإجماع العاشر): "وأجمعوا على وصف الله تعـالى بجميع ما وصف به نفسه ووصـفه به نبيه من غـير اعـتراض فيه ولا تكيُّف له".. وقال في (الإجماع الثالث والأربعين): "وأجمعوا على التصـديق بجميع ما جاء به رسول الله في كتاب الله وما ثبت به النقل من سائر سننه، ووجـوب العمل بمحكمه والإقرار بنص مشكله ومتشابهه" إلخ.

فـأبو الحسن – على نحو ما رأينا – يـرد قالة السـوء الـتي نطق بها (المتأوِّلـة) و(المجسـمة) من كل وجـه، بل ومن يزعمـون أنهم على مذهبه من (الأشـاعرة)؛ ولا يخـرج عما فـاه به (أهل السنة والجماعـة)، ولا يكف عن تقرير مـذهبهم.. ولا غـرو فهو واحـدٌ منهم، ومن ثم فقد تسـنى له أن يـبين أن مـذهبهم – الـذي هو مذهبه – يتمثل في: إثبات ما أثبته تعالى لنفسه وأثبته له رسوله من غير تكييف ولا تجسيم ولا تشبيه ولا تمثيل، وأن من ذلك (صفة العين) التي يتنزه سبحانه أن

ســـمعوه على أنهم إنما علمــوه؛ لأنه بلســـانهم نـــزل، وليس في لسانهم ما ادَّعُوه؟.

تكون جزءً أو بعضًا من ذاتـه، فـإن الجـزء أو البعض: ما جـاز أن ينفصل عن الكل وذلك ممتنع عليه تعــالى.. ولو أخــذنا نســرد ما قاله أئمة أهل الســنة من غــير الأشعري في إثبات صفة العينين لطال بنا الحديث، ونكتفي هنا بالإشارة لما جــاء من نصوص كلامهم في كتابنا: (قرائن اللغة والنقل والعقل في حمل صــفات الله الخبرية والفعلية على ظاهرها دون المجاز).
ولكن السؤال الـذي يطـرح نفسه ويحق لكل منصف أن يسـأله: هل ثمة مختصر لعقيـدة المسـلمين أفضل مما سـقناه للأشـعري في كتبـه؟ وأين الأزهر من هـذا التراث التليد؟ ولما يصر على ألا يقـرر كتبه على أبنائـه، وهي بعد ومع بسـاطتها، من أجلّ كتب التراث التي طالما ينادي الأزهر بعـدم التخلي عنها وعـدم الخـروج عن قواعـدها وأصـولها؟.. أسـئلة تنتظر جوابًا لهـا، ومن قبـل: تجـردًا لمعتقد أهل السنة والجماعة والله الهادي إلى سواء السبيل.

[1](?) رواه أبو داود (4703)، والترمذي (3075) وفي سنده إرسال وله شواهد

[1](?) صحيح موقوفًا.. أخرجه وبنحوه الدارقطني في الصفات (28)، وقال الحاكم صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، ورجاله ثقات

[2](?) صحيح.. رواه مسلم (1827).

[1](?) وتحـدي الأشـعري هـذا في عـدم إسـاغة جعل اليد المثنـاة بمعـنى النعمة أو القدرة لا لغة ولا إجماعًا وجوابُه وردُّه ذلك، إنما هو في الحقيقة تحدٍّ وجـوابٌ وردٌّ على كل من عطّل صـــــفة اليـــــدين لله تعـــــالى فأنكرها أو تأولها من الجهمية والمعتزلة والأشعرية، ومن أهم ما لفت الأشعري النظر إليه ثمة، هو تصديه لمن اعتل بقوله تعالى: **والسماء بنيناها بأيد** [الـذاريات :47] فجعل يـؤول على إثرها كل ما جاء من نصوص الوحي بشأن (صفة اليد بحقه تعالى)، وفي الأسـطر القليلة التالية من (الإبانة) أبلغ ردٍّ على تلك الشبهة والإشكالية التي لا يزال يتردد صداها في أوسـاط الأشـاعرة، حيث وضـعهم الأشـعري من خلال رده عليهم في أقماع السماسم، وأوضح أن لفظ (الأيد) هنا ليس جمع (اليد)، بل هو مصـدر: (آد يئيد أيدًا) إذا اشتد وقوي، يقال: أيَّدته، أي: قوَّيتُه، و(التأييد): مصدر.. قال تعـالى: **إذ أيدتك بروح القدس** [المائـدة :110]، وقـرئ: (إذ أيـدتك) أي: قوّيتـك، وعليه قوله تعالى: **واذكر عبدنا داود ذا الأيد** [ص :17]، أي: ذا القوة.. كذا أفاده ابن منظور في لسان العرب.
وقد كشف الأشـــعري إبَّان ذلك عن أنه لا يمكن بحـــال حمل آية **لما خلقت بيـدي** [ص :75] على المجــاز - يعــني: على العكس مما ســبق - لأن الأصل و"حكم كلام الله أن يكون على ظاهره وحقيقتـه، ولا يخـرج الشـيء عن ظـاهره إلى المجـاز إلا بحجـة" أي قرينة مانعة من حمل اللفظ على حقيقتـه، وعليه فإنه





مســـــألة:

وإن اعتل معتل بقـول الله تعـالى: ﴿**والسماء بنيناها بأيد**﴾ [الذاريات :47]، وقال: (الأيد القوة فـوجب أن يكـون معـنى قوله تعالى: ﴿**بيدي**﴾ [ص :75]: بقدرتي)، قيل له: هذا التأويل فاسد[1] من وجوه:

أحـدها: أن الأيد ليس جمع لـ(اليـد)؛ لأن جمع (يـد) (أيـدي)، وجمع (اليـد) الـتي هي: (نعمـة) أيـادي، وإنما قـال تعـالى: ﴿**لما**

يستحيل أن يكون المعنى في الآية: (لما خلقت بقدرتي أو نعمـتي)، لأن القرينة – وهي هنا أن يكــون لله قــدرتان - مانعة من ذلــك، وتلك قاعــدة بلاغية غاية في الأهمية في تفهم معاني ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ.

يقـــــــول ابن خزيمة في التوحيد ص87: "وزعم بعض الجهمية - وقد تبعهم فيه الأشعرية-: أن معنى قوله عز وجل: (خلق الله آدم بيديه)، أي: بقوتـه، فـزعم أن اليد هي: القوة، وهذا من التبديل أيضًا، وهو جهل بلغة العرب، والقوة إنما تسمى (الأيد) بلغة العرب، فمن لا يفرق بين (اليـد) و(الأيـد)، فهو إلى التعليم والتسـليم إلى الكتاتيب أحوج منه إلى الترؤس والمناظرة.

هذا، وقد سبق نص عبارة الأشعري بحق إثبات (صفة اليدين) لله تعالى من كتابه (مقالات الإسلاميين) في حكاية ما كان عليه أهل السنة وأصحاب الحـديث، وكـذا سوق إجماعهم في (رسالته إلى أهل الثغر)، وكان مما ذكره بشأن صـفة اليـدين قوله في الإجماع السابع:

"وأجمعوا على أنه عز وجل يسـمع ويـرى، وأن له تعـالى يـدين مبسـوطتين، وأن الأرض جميعًا قبضته يـوم القيامة والسـموات مطويـات بيمينه من غـير أن يكـون جوارحًا، وأن يديه تعالى غير نعمتـه"إ.هــ.. وينظر لمزيد من الأدلة ونصـوص أئمة أهل السنة وإجماعهم على إثبات هذه الصفة: كتابنا (قــرائن اللغة والنقل والعقل في حمل صفات الله على ظاهرها دون المجاز).

[1](?) قولـه: "وهـذا التأويل فاسـد"، يقصد بـه: فسـاد تأويل قوله تعـالى: (بيـدي) لتكـون بمعـنى: (القـوة) قياسًـا على آية الـذاريات، والتحقيق – ولعله مـراد أبي الحسـن- أن اليد تسـتعمل فيما تسـتعمل على الحقيقـة، بمعـنى: القـوة، وهو ما عليه آية الذاريات، ومنه – كما أفاده صاحب لسان العرب -: قولهم: "(فلان أيّـده الله) أي: قوّاه، و(ما لي من فلان يدان) أي: طاقة.. وقوله ﷺ : (المسلمون تتكافأ دمـاؤهم.. وهم يد على من سـواهم)، أي: كلمتهم واحـدة فبعضـهم يقـوّي بعضًـا، والجمع: (أيدٍ).. وفي التنزيل: ﴿**أولي الأيدي والأبصـار**﴾ [ص :45]، أي: أولي القوة والعقول، والعرب تقول: (ما لي به يد) أي: قوة، (ومالي به يـدان، وما لهم بذلك أيدٍ)، أي: قـوة"، فهـذه الـتي مفردها في الأصـل: (يَـدْي) كـ (عَبْد وأعبـد).. وهي على خلاف ما تكون للأعضاء أو الجوارح فهـذه تجمع على (أيـادي) ومفردها (يَدَيَ) كـ (عَصَا ورَحَـا)، وتسـتعمل على هـذا النحو في النعم أيضًـا، ويـراعى فيما بينهما سياقات الكلام ومقامات الأحوال، وكلٌّ في سياقه على سـبيل الحقيقة ولا يُعدُّ تأويلًا.

ويمكن أن يستأنس بما سبق على أن قوله تعالى: (يد الله فـوق أيـديهم) بمعـنى قوته، وإلا لقال: (فوق أياديهم)، ويكون على الحقيقة دون المجاز لوجـود القرينة،

خلقت بيـدي [ص :75]، فبطل بـذلك أن يكـون معـنى قولـه: (بيدي) هو معنى قوله: **بنيناها بأيدٍ**.

وأيضًا فلو كان أراد (القوة) لكان معنى ذلك بـ (قدرتي)، وهذا نـاقض لقـول مخالفنـا، وكاسر لمـذهبهم؛ لأنهم لا يثبتـون قـدرة واحدة[1]، فكيف يثبتون قدرتين.

وأيضًا فلو كان الله تعالى عنى بقوله: **لما خلقت بيـدي**: (القـدرة) لم يكن لآدم ’ على إبليس مزية في ذلـك، والله تعـالى أراد أن يرى فضل آدم عليه السلام عليـه؛ إذ خلقه بيديه دونـه، ولو كـان خالقا لإبليس بيـده كما خلق آدم عليه السـلام بيـده لم يكن لتفضيله عليه بذلك وجه، وكان إبليس يقول محتجا على ربـه: (فقد خلقتني بيديك كما خلقت آدم بهمـا)، فلما أراد الله تعـالى تفضـيله عليه بذلك، وقال الله تعالى موبخًا له على استكباره على آدم عليه السلام أن يسـجد لـه: **ما منعك ان تسجد لما خلقت بيـدي أستكبرت؟** [ص :75]، دل على أنه ليس معنى الآية (القـدرة)؛ إذ كـان الله تعـالى خلق الأشـياء جميعًا بقدرتـه، وإنما أراد: إثبـات يدين، ولم يشارك إبليس آدم ’ في أن خلق بهما.

فصـــــل:

وليس يخلو قوله تعـالى: **لما خلقت بيــدي** [ص :75] أن يكون معنى ذلك: إثبات يدين نعمتين.. أو يكون معـنى ذلـك: إثبـات يدين جارحتين، تعالى الله عن ذلـك.. أو يكـون معـنى ذلـك: إثبـات يدين قدرتين.. أو يكون معـنى ذلك إثبـات يـدين ليسـتا نعمـتين ولا جارحتين ولا قدرتين لا توصفان إلا كما وصف الله تعالى.

فلا يجوز أن يكون معـنى ذلـك: نعمـتين؛ لأنه لا يجـوز عند أهل اللسان أن يقول القائل: (عمِلتُ بيدَي) وهو نعمتي، ولا يجوز عندنا ولا عند خصـومنا أن يعـني: جـارحتين، ولا يجـوز عند خصـومنا أن يعني: قدرتين.. وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع؛ وهو أن معنى قوله تعالى: **بيدي**: إثبـات يـدين ليسـتا جـارحتين، ولا قـدرتين، ولا نعمـتين لا يوصـفان إلا بـأن يقـال: إنهما يـدان ليسـتا كالأيدي، خارجتان عن سائر الوجوه الثلاثة التي سلفت.

وأن التثنية في آية (ص) إنما هي على الحقيقة الشرعية.

[1](?) وسيأتي بيان أن الجهمية لا تثبت لله قـدرة ولا سـواها وان المعتزلة قصـروا صـفات الله على ثلاثـة، هي: (القـدرة والعلم والحيـاة)، ثم اختزلوها في (صـفة العلم) بعد أن نفوا حقيقة هذه الصفات جميعًا واكتفوا بمسـماها، بـزعم أن تعـدد الصفات مؤذن بتعدد القدماء.




وأيضًا فلو كان معنى قوله تعالى: ﴿**بيدي**﴾:) نعمتي)؛ لكان لا فضـــيلة لآدم عليه الســـلام على إبليس في ذلك على مـــذاهب مخالفينا؛ لأن الله تعالى قد ابتدأ إبليس على قولهم، كما ابتــدأ آدم عليه السلام.

وليس تخلو النعمتـان أن يكونا هما بـدن آدم عليه السـلام، أو يكونا عَرَضين خلقًا في بدن آدم عليه السـلام، فلو كـان عـنى بـدن آدم عليه السلام، فالأبـدان عند مخالفينا من المعتزلة جنس واحـد، وإذا كانت الأبدان عندهم جنسًـا واحـدًا فقد حصل في جسد إبليس على مـــذاهبهم من النعمة ما حصل في جسد آدم عليه الســـلام، وكذلك إن عنى عَرَضين فليس مِن عَـرَض فعله في بـدن آدم عليه السـلام من لـون، أو حيـاة، أو قـوة، أو غـير ذلك إلا وقد فعل من جنسه عندهم في بدن إبليس، وهذا يـوجب أنه لا فضـيلة لآدم عليه السـلام على إبليس في ذلـك، والله تعـالى إنما احتج على إبليس بذلك ليريه أن لآدم في ذلك الفضـيلة، فـدل ما قلنـاه على أن الله عز وجل لما قال: (خلقت بيدي) لم يعن: (نعمتيّ).

ويقـال لهم: لم أنكـرتم أن يكـون الله تعـالى عـنى بقولـه: (بيدي): يدين ليستا نعمتين؟.

فإن قالوا: لأن اليد إذا لم تكن نعمة في الشـاهد([1])، لم تكن إلا جارحـــة، **قيل لهم:** ولم قضـــيتم أن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة؟

وإن رجعونا إلى شـاهدنا، أو إلى ما نجـده فيما بيننا من الخلق فقـالوا: اليد إذا لم تكن نعمة في الشـاهد لم تكن إلا جارحـة.. قيل لهم: إن عملتم على الشاهد وقضيتم به على الله تعالى فكذلك لم نجد حيًّا من الخلق إلا جسـمًا لحمًا ودمًا فاقضـوا بـذلك على الله - تعالى عن ذلك - وإلا كنتم لقولكم تاركين ولاعتلالكم ناقضين.. وإن أثبتم حيًّا لا كالأحياء منا فلمَ أنكـرتم أن تكـون اليـدان اللتـان أخـبر الله تعالى عنهما يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين، ولا كالأيدي؟

وكذلك يقال لهم: لم تجدوا مدبِّرًا حكيمًا إلا إنسـانًا ثم أثبتم أن للـدنيا مـدبرًا حكيمًا ليس كالإنسـان، وخـالفتم الشـاهد ونقضـتم إعتلالكم فلا تمنعوا من إثبات يدين ليستا نعمـتين ولا جـارحتين من أجل أن ذلك خلاف الشاهد.

---

[1] (?) إذ إن من حججهم القوية الداحضة في الغيبيات: قياس الغائب على الشاهد.. وهذا باطل إذ هو غيب ومما يستحيل أن يكون له شاهد في دنيانا.

مســـــــألة[1]:

فـإن قـالوا: إذا أثبتم لله عز وجل يـدين لقوله تعـالى: **لما خلقت بيـــدي** [ص :75] فلم لا أثبتم له أيـــدي لقوله تعـــالى: **عملت أيدينا** [يس :71]؟

قيل لهم: قد أجمعـوا على بطلان قـول من أثبت لله أيـدي، فلما أجمعوا على بطلان قـول من قـال ذلـك؛ وجب أن يكـون الله تعالى ذكر أيدي ورجع إلى إثبات (يدين)؛ لأن الدليل عنده دل على صحة الإجماع، وإذا كان الإجماع صـحيحا وجب أن يرجع من قولـه: (أيدي) إلى (يدين)؛ لأن القرآن على ظاهره، ولا يزول عن ظـاهره إلا بحجة، فوجدنا حجة أزلنا بها ذكر (الأيدي) عن الظاهر إلى ظاهر آخـر، ووجب أن يكـون الظـاهر الآخر على حقيقته لا يـزول عنها إلا بحجة.

فـــإن قـــال قائـــل: إذا ذكر الله عز وجل (الأيـــدي) وأراد: (يدين)، فما أنكرتم أن يذكر الأيدي ويريد يـدًا واحـدة؟.. **قيل له:** ذكر تعـالى (أيـدي) وأراد: (يـدين)؛ لأنهم أجمعـوا على بطلان قـول من قال: أيدي كثيرة، وقول من قال يدًا واحدة، فقلنا: (يدان)؛ لأن القـرآن على ظـاهره([2])، إلا أن تقـوم حجة بـأن يكـون على خلاف الظاهر.

فـإن قـال قائـل: ما أنكـرتم أن يكـون قوله تعـالى: **مما عملت أيدينا** [يس :71]، وقوله تعـالى: **لما خلقت بيـدي** [ص :75] على المجاز؟

قيل له: حُكْمُ كلام الله تعالى أن يكون على ظاهره وحقيقته، ولا يخرج الشيء عن ظاهره إلى المجاز إلا بحجة[3].. ألا تـرون أنه إذا كـان ظـاهر الكلام العمـوم، فـإذا ورد بلفظ العمـوم والمـراد به الخصوص فليس هو على حقيقة الظاهر، وليس يجوز أن يُعـدل بما ظاهره العموم عن العموم بغير حجة.

كـذلك قوله تعـالى: **لما خلقت بيـدي** [ص: 75] هو على ظـاهره أو حقيقته من إثبـات اليـدين، ولا يجـوز أن يُعـدل به عن ظاهر اليدين إلى ما ادّعاه خصومنا إلا بحجـة.. ولو جـاز ذلك لجـاز لمـدع أن يَـدّعي أن ما ظـاهره العمـوم فهو على الخصـوص، وما ظـاهره الخصـوص فهو على العمـوم بغـير حجـة، وإذا لم يجز هـذا

[1](?) في دفع إشـكالية ما جـاء من (اليـد) في آي التنزيل على سـبيل الإفـراد أو الجمع

[2]) من إثبات اليدين على الحقيقة يعـني كما في قوله تعـالى: (لما خلقت بيـدي) [ص: 75] وقوله: (بل يداه مبسوطتان) [المائدة: 64].

[3](?)) أو - كما في بعض مخطوطات الكتاب - (لحجة)



لمدعيه بغـير برهـان لم يجز لكم ما ادعيتمـوه أنه مجـاز أن يكـون مجـازًا بغـير حجـة، بل واجب أن يكـون قوله تعـالى: ﴿**لما خلقت بيدي**﴾ [ص :75] إثبات يدين لله تعالى في الحقيقة غـير نعمـتين، إذا كـانت النعمتـان لا يجـوز عند أهل اللسـان أن يقـول قـائلهم: (فعلت بيدي)، وهو يعني: (النعمتين).






الباب السادس
الرد على الجهمية في نفيهم علم الله تعالى وقدرته وجميع صفاته

قال الله تعالى: ﴿**أنزله بعلمه**﴾ [النساء :166]، وقال تعالى: ﴿**وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه**﴾ [فاطر :11]، وذكر (العِلم) في خمسة مواضع من كتابه العزيز.

وقال تعالى: ﴿**فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أُنزل بعلم الله**﴾ [هود :14]، وقال تعالى: ﴿**ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء**﴾ [البقرة :255].

وذكر (القوة) فقال: قال تعالى: ﴿**أو لم يروا أن الله الـذي خلقهم هو أشد منهم قوة**﴾[فصلت :15]، وقال تعـالى: ﴿**ذو القـوة المـتين**﴾ [الـذاريات :58]، وقـال تعـالى: ﴿**والسـماء بنيناها بأيد**﴾ [الذاريات :47].

فصـــل:

وزعمت الجهمية أن الله تعالى لا علم له، ولا قـدرة، ولا حيـاة، ولا سمع، ولا بصر له، وأرادوا أن ينفوا أن الله تعـالى عـالم، قـادر، حي، سميع، بصير، فمنعهم خوف السيف من إظهـارهم نفي ذلـك، فأتوا بمعناه؛ لأنهم إذا قالوا لا علم لله ولا قدرة له، فقد قـالوا: إنه ليس بعالم ولا قادر، ووجب ذلك عليهم، وهـذا إنما أخـذوه عن أهل الزندقة والتعطيل؛ لأن الزنادقة قد قال كثـير منهم: إن الله تعـالى ليس بعـالم، ولا قـادر، ولا حي، ولا سـميع، ولا بصـير، فلم تقـدر المعتزلة أن تُفصح بذلك فأتت بمعناه، وقالت: إن الله عالم، قـادر، حي، سميع، بصير من طريق التسمية من غـير أن يثبتـوا له حقيقة العلم، والقدرة، والسمع، والبصر.

وقد قـال رئيس من رؤسـائهم - وهو أبو الهـذيل العلاف - إن (علم الله) هو (الله)، فجعل الله تعالى عِلمًا.. وألزِم، فقيل لـه: إذا قلت: إن علم الله هو الله، فقل: (يا علم الله اغفر لي وارحمـني)، فأبى ذلك فلزمه المناقضة.

واعلمـــوا رحمكم الله أن من قـــال: (عـــالِم ولا علم)؛ كـــان مناقضًا، كما أن من قال: (عِلم الله ولا عَالِم) كان مناقضًا، وكـذلك القـــول في القـــادر والقـــدرة، والحيـــاة والحي، والســـمع والبصر والسميع والبصير.

مســألة:

ويقال لهم: خبِّرونا عمن زعم أن الله متكلم، قائل، آمـر، نـاهٍ.. لا قول لـه، ولا كلام، ولا أمر لـه، ولا نهى، أليس هو منـاقض خـارج عن جملة المسلمين؟ فلا بد من نعم.

يقال لهم: فكذلك من قال: إن الله تعالى عـالم ولا علم لـه، كان ذلك مناقضًا خارجًا عن جملة المسلمين.

وقد أجمع المســـــلمون قبل حــــــدوث الجهمية والمعتزلة والحرورية على أن لله علمًا لم يزل، وقد قالوا: عِلم الله لم يــزل، وعِلم الله سابق في الأشياء، ولا يمتنعون أن يقولــوا في كل حادثة تحدث ونازلة تـنزل: (كل هـذا سـابق في عِلم اللـه)، فمن جحد أن لله علمًا فقد خالف المسلمين وخرج عن اتفاقهم.

ويقال لهم: إذا كـان الله مريـدًا فله إرادة؟؛ فـإن قـالوا: لا، قيل لهم: فإذا أثبتم مريـدًا لا إرادة له فـأثبتوا أن قـائلًا لا قـول لـه، وإن أثبتـوا الإرادة؛ قيل لهم: فـإذا كـان المريد لا يكـون مريـدًا إلا بإرادة، فما أنكرتم أن لا يكون العالم عالمًا إلا بعلم، وأن يكـون لله علم كما أثبتم له الإرادة.

مســألة:

وقد فرقـــوا بين العلم والكلام فقـــالوا: إن الله تعـــالى علَّم موسى وفرعون، وكلَّم موسى ولم يكلِّم فرعون، فكذلك قد يقال: علَّم موسى الحكمة وفصل الخطـاب، وآتـاه النبـوة، ولم يعلِّم ذلك فرعــون فــإن كـان لله كلام؛ لأنه كلَّم موسى ولم يكلِّم فرعــون، فكذلك لله عِلم؛ لأنه علَّم موسى ولم يعلِّم فرعون.

ثم يقــــال لهم: إذا وجب أن لله كلامًا به كلم موسى دون فرعــون؛ إذ كلم موسى دونــه، فما أنكــرتم إذا علِمهما جميعًا أن يكون له عِلم، به علِمهما جميعًا.

ثم يقال: قد كلم الله الأشياء بأن قال لها: (كوني)، وقد أثبتم لله قولًا، فكذلك علِم الأشياء كلها فله عِلم.

ثم يقــــال لهم: إذا أوجبتم أن لله كلامًا وليس له علم؛ لأن الكلام أخص من العلم، والعلم أعم منــه، فقولـوا: (إن لله قـدرة)؛ لأن العلم أعم عنـــدكم من القـــدرة؛ لأن مـــذاهب القدرية أنهم لا يقولون: إن الله يقـدر أن يخلق الكفر[1]، فقد أثبتـوا القـدرة أخص من العلم، فينبغي لهم أن يقولوا على اعتلالهم إن لله قدرة.

---

[1]) وحجتهم في ذلــك: أنه لا يفعل الكفر إلا كــافر وهو ســبحانه لا يريــده لهم.. وسيأتي رد الأشعري على كل هذه الشُّبه.

ثم يقال لهم: أليس الله عالمًـا، والوصف له بأنه عـالم أعم من الوصف له بأنه متكلم مكلِّم؟ ثم لم يجب؛ لأن الكلام أخص من أن يكـون الله تعـالى متكلمًا غـير عـالم؟ فلم لا قلتم: إن الكلام - وإن كـان أخص من العلم - أن ذلك لا ينفي أن يكـون لله علم، كما لم ينف بخصوص الكلام أن يكون الله عالمًا؟.

ويقال لهم: من أين علمتم أن الله عـالم[1]؟.. فـإن قـالوا: بقوله تعالى: ﴿**إنه بكل شيء عليم**﴾ [الشـورى:12]، قيل لهم: وكذلك فقولـوا: إن لله (علمًـا) بقولـه: ﴿**أنزله بعلمه**﴾ [النسـاء : 166]، وبقولــه:﴿**وما تحمل من أنــثى ولا تضع إلا بعلمه**﴾ [فاطر :11]، وكـذلك فقولـوا إن له (قـوة) لقوله تعـالى: ﴿**أو لم يـروا أن الله الـذي خلقهم ه أشد منهم قـوة**﴾ [فصـلت : 15].

فإن قالوا: قلنا: إن الله عـالم؛ لأنه صـنع العـالم على ما فيه من آثـار الحكمة واتسـاق التـدبير.. **قيل لهم:** فلمَ لا قلتم إن لله علمًا بما ظهر في العـالم من حكمة وآثـار تـدبيره؟؛ لأن الصـنائع الحكمية لا تظهر إلا من ذي علم، كما لا يظهر إلا من عالم، وكذلك لا تظهر إلا من ذي قوة كما لا تظهر إلا من قادر.

مســألة:

ويقال لهم: إذا نفيتم علم الله فلم لا نفيتم أسـماءه؟؛ فـإن قـالوا: كيف ننفي أسـماءه وقد ذكرها في كتابـه؟؛ **قيل لهم:** فلا تنفوا العلم والقوة؛ لأنه تعالى ذكر ذلك في كتابه العزيز.

ويقال لهم:

قد علَّم الله تعالى نبيه ﷺ الشرائع والأحكـام، والحلال والحـرام، ولا يجوز أن يعلمه ما لا يعلمه، فكـذلك لا يجـوز أن يُعَلِّمَ الله نبيه ﷺ ما لا عِلم لله به، تعالى الله عن قول الجهمية علوًّا كبيرًا.

ويقال لهم: أليس إذا لعن الله الكـافرين، فلعنُه لهم معـنى، ولعن النبي ﷺ لهم معنى؟ فمن قولهم نعم.. يقـال لهم: فما أنكـرتم من أن الله تعالى إذا علَّم نبيه ﷺ شيئًا فكان للنبي عِلم، ولله تعـالى عِلم، وإذا كنا مـتى أثبتنـاه غضبـانًا على الكـافرين فلا بد من إثبـات غضــب، وكـذلك إذا أثبتنـاه راضـيًا عن المؤمـنين فلا بد من إثبـات

[1]) يعني: على طريقتكم في التسمية وقولكم: إن (سميع بصير) بمعـنى: (عليم)؛ من غير أن تثبتوا له حقيقة العلم.

رضا([2])، وكذلك إذا أثبتناه حيًّا سميعًا بصـيرًا فلا بد من إثبـات حيـاة وسمع وبصر.

ويقال لهم:

وجدنا اسم (عالم) اشتق من (عِلم)، واسم (قـادر) اشـتق من (قــدرة)، وكــذلك اسم (حي) اشــتق من (حيــاة)، واسم (ســميع) اشتق من (سمع)، واسم (بصير) اشتق من (بصر)، ولا تخلو أسماء الله عز وجل من أن تكون مشتقة إما لإفادة معنى، أو على طريق التلقيب، فلا يجوز أن يسمى الله تعـالى على طريق التلقيب باسم ليس فيه إفادة معنى، وليس مشتقًا من صفة.

فإذا قلنا: إن الله تعالى (عـالم قـادر) فليس تلقيبًـا، كقولنـا: (زيد وعمــر)، وعلى هــذا إجمــاع المســلمين.. وإذا لم يكن كــذلك تلقيبًـا، كـان مشـتقًا من (عَلِم)، فقد وجب إثبـات العِلم، وإن كـان ذلك لإفـادة معـنى، فلا يختلف ما هو لإفـادة معـنى واجب إذا كـان معنى العالم منـا، أن له علمًا أن يكـون كل عـالم فهو ذو علم، كما إذا كان قولي: (موجود) مفيدًا فينا الإثبات؛ كان الباري تعـالى واجبًا إثباته؛ لأنه ً موجود.

مســألة:

ويقال للمعتزلة والجهمية والحرورية: أتقولـون إن لله عِلمًا بالأشــياء ســابقًا فيهــا، وبوضع كل حامــل، وحَمْل كل أنــثى، وبإنزال كل ما أنزلـه؟ فـإن قـالوا: نعم، أثبتـوا العلم ووافقوا.. وإن قالوا: لا، قيل لهم: هذا جَحْـدٌ منكم لقوله تعـالى: ﴿**أنزله بعلمه**﴾ [النسـاء :166]، ولقولـه: ﴿**وما تحمل من أنـثى ولا تضع إلا بعلمه**﴾ [فــاطر :11]، ولقولــه: ﴿**فــإن لم يســتجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله**﴾ [الرعد :11].

وإذا كان قـول الله تعـالى: ﴿**بكل شـيء عليم**﴾ [الشـورى : 12]، وقولـه: ﴿**وما تسـقط من ورقة إلا يعلمها**﴾ [الأنعـام :

[2]) وفي كلامه هـذا، وكـذا في قوله من قبل ردًّا على المخـالفين: "ومن زعم أن غضب الله مخلــوق!؛ لزمه أن غضب الله وســخطه على الكـافرين يفـني، وأن رضاه عن الملائكة والنبيين يفـنى، حـتى لا يكـون راضـيًا عن أوليـاءه ولا سـاخطًا على أعدائـه، وهـذا هو الخـروج عن الإسـلام".. دلالة واضـحة على إثباته صـفات (الرضا والغضب والمحبة والكراهة في نحو قوله تعالى: ﴿**كره الله انبعاثهم**﴾، إلى أخر ذلك)، لله تعالى على الوجه اللائق بجلاله.

وعليه يحمل ما أوهم خلاف ذلك في مثل قوله في (رسـالة أهل الثغـر) بالإجمـاع التاسع: "وأجمعـوا على أنه عز وجل يرضى عن الطـائعين لـه، وأن رضـاه عنهم: إرادته لنعيمهم.. إلخ"، إن كان قصـده فيها التأويل أو عـدم ذكر شـيء من لـوازم هذه الصفات.

وإلا فلا يبعد – وقد صح أن الإبانة كانت آخر ما ألفه – أن يكـون قد رجع في هـذه المسألة عما ذكره في الرسالة أو عما سـبق أن تـأثر به بعبد الله بن كلاب الـذي كان يرى ذلك

59] يوجب أنه عليم يعلم الأشـياء، فكـذلك؛ فما أنكـرتم أن تكـون هذه الآيات توجب أن لله علمًا بالأشياء - سبحانه - وبحمده.

مسـألة:

ويقـــــــال لهم: هل لله عز وجل علم بالتفرقة بين أوليائه وأعدائـــه؟ وهل هو مريد لـــذلك؟ وهل له إرادة للإيمـــان إذا أراد الإيمان؟ فإن قالوا: نعم، وافقوا.

وإن قالوا: إذا أراد الإيمان فله إرادة.. **قيل لهم:** وكذلك إذا فرق بين أوليائه وأعدائه، فلا بد من أن يكون له علم بـذلك، وكيف يجـوز أن يكـون للخلق علم بـذلك، وليس للخـالق علم بـذلك؟ ! وهذا يوجب أن للخلق مزية في العلم وفضـلًا على الخـالق؛ تعـالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

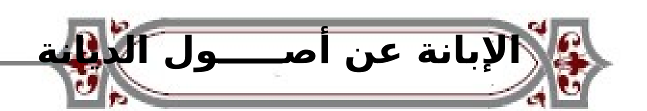
وقيل لهم: إذا كـــــان من له علم من الخلق أولى بالمنزلة الرفيعة ممن لا علم لـــه، فـــإذا زعمتم أن الله تعـــالى لا علم له لزمكم أن الخلق أعلى مرتبة من الخالق؛ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ويقـال لهم: إذا كـان من لا علم له من الخلق يلحقه الجهل والنقصان، فما أنكرتم من أنه لا بد من إثبات علم الله؛ وإلا ألحقتم به النقصـان - جل عن قـولكم وعلا - ألا تـرون أن من لا يعلم من الخلق يلحقه الجهل والنقصـان؟، ومن قـال ذلك في الله عز وجل وصف الله تعـالى بما لا يليق بـه، فكـذلك إذا كـان مَن قيل له مِن الخلق لا علم له لحقه الجهل والنقصان، وجب أن لا يُنفى ذلك عن الله تعالى؛ لأنه لا يلحقه جهل ولا نقصان.

ويقال لهم: هل يجوز أن تنسق الصـنائع الحكمية ممن ليس بعالم؟.. **فإن قالوا:** ذلك محال، ولا يجوز في وجود الصنائع الـتي تجـري على تـرتيب ونظـام إلا من عـالم قـادر حي.. **قيل لهم:** وكـذلك لا يجـوز وجـود الصـنائع الحكمية الـتي تجـري على تـرتيب ونظام إلا من ذي علم وقـدرة وحياة، فـإن جـاز ظهورها لا من ذي علم فما أنكـرتم من جـواز ظهورها لا من عـالم قـادر حي.. وكل مسـألة سـألناهم عنها في (العلم) فهي داخلة عليهم في (القـدرة) و(الحياة) و(السمع) و(البصر).

وزعمت المعتزلة أن قـول الله تعـالى: ﴿**سـميع بصـير**﴾ [الحج :61] إن معنـاه عليم.. **قيل لهم:** فـإذا قـال الله تعـالى: ﴿**إنـني معكما أسـمع وأرى**﴾ [طه :46]، وقـال: ﴿**قد سـمع الله قول التي تجادلك في زوجها**﴾ [المجادلة :1] فهل معنى ذلك عندكم علم.

فــــإن قــــالوا: نعم؛ قيل لهم: فقد وجب عليكم أن تقولوا: معنى قولـه: ﴿إنـني معكما أسـمع وأرى﴾ [طه : 46]: أعلم وأعلم، إذا كان معنى ذلك العلم.



فصـــــل:

ونفت المعتزلة صـــفات رب العـــالمين، وزعمت أن معـــنى: ﴿سـميع بصـير﴾ [الحج :61] راءٍ بمعـنى: عليم[1]، كما زعمت النصـارى أن سـمع الله هو بصـره، وهو رؤيتـه، وهو كلامـه، وهو علمه، وهو ابنه؛ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

فيقـال للمعتزلـة: إذا زعمتم أن معـنى: (سـميع وبصـير)، معنى: (عالِم)، فهلا زعمتم أن معنى: (قادر)، معنى: (عـالِم).. وإذا زعمتم أن معنى: (سـميع وبصـير)، معـنى: (قـادر)، فهلا زعمتم أن معـنى: (قـادر)، معـنى: (عـالم).. وإذا زعمتم أن معـنى: (حي)، معنى: (قادر)، فلمَ لا زعمتم أن معنى: (قادر)، معنى: (عالم).

[1] (?) وكانوا قبل ذلك قد قصروا إيمانهم في الصـفات على ثلاث فقط هي: (العلم والقدرة والحياة)، ونفوا ما عداها من نحـو: (السـمع والبصـر) لكونهما – على حد ما ذكروا – من عوارض الأجسام، وزعموا "أن معنى ﴿**سميع بصـير**﴾ [القمـان : 28] راء، بمعـنى عليم، كما زعمت النصـارى أن سـمع الله هو بصـره وهو رؤيته وهو كلامه وهو ابنه"، وقد بنا المعتزلة أساس مذهبهم هذا في التوحيد - الذي هو عنـدهم أحد الأصـول الخمسة - على حجج داحضة مسـتقاة من الفلسـفة الهندية واليونانية ومؤداها: القول بنفي الكثرة والتركيب وبوحدة الذات الإلهية وبسـاطتها من كل وجه، وأن هذه الثلاث المثبتـة- على ما يقتضـيه العقل بـزعمهم- هي عين الـذات، وأن ما عـداها زائد عن الـذات ومـؤذن- على حد زعمهم أيضًـا- بتعـدد القدماء لكونها غير الذات.. والحق أنه حتى هذه الثلاث، تأثروا في نفيها بالجهمية والزنادقة، وأرجعوها إلى العلم الذي هو عين الـذات، لكن "لم تقـدر المعتزلة أن تفصح بذلك، فأتت بمعناه وقالت: إن الله عـالم قـادر حي.. من طريق التسـمية، من غير أن يثبتوا له حقيقة العلم والقدرة.. وقد قـال أبو الهـذيل العلاف: إن علم الله هو الله، فجعل الله تعالى علمًا وألزم، فقيل له: إذا قلت إن علم لله هو الله فقل: يا علم الله اغفر لي وارحمني، فأبى ذلك فلزمه المناقضة".

وتلك هي عبـارة الأشـعري الـذي كثـيرًا ما يربط بين حقيقة مـوقفي المعتزلة والجهمية في نفيهم صـفات الله تعـالى.. ولا ننسى أن الأشـعري كـان في إحـدى مراحل حياته معتزليًا بل ظل كـذلك أربعين عامًـا، فهو - من ثم- أدرى وأعلم بما كان عليه القوم.

وقد أداهم الحـديث عن علاقة الصـفات بالـذات على هـذا النحو المفضي إلى الكيف، أداهم إلى التفصيل في نعوت السلب.. ومما ذكروه في هـذا ونقله عنهم الإمام الأشـعري في المقـالات ص155 قـولهم: "أن الله واحـد.. ليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صـورة ولا لحم ولا دم ولا شـخص ولا جـوهر ولا عـرض ولا بـذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا محسة ولا بذي حـرارة ولا بـرودة.. ولا يوصف بشـيء من صفات الخلق الدالة على حـدثهم.. لا تـراه العيـون ولا تدركه الأبصـار.. عـالم قادر حيٌّ لا كالعلماء القادرين الأحياء..إلخ"، فعطـلوا بنفيهم المُفصَّـل هـذا، رؤية الله وسائر صفاته وأسمائه وأفعاله، وعلى ما سبق عقب الأشعري بقولـه: "فهذه جملة قـولهم في التوحيد وقد شـاركهم في هـذه الجملة الخـوارج وطوائف من المرجئة وطوائف من الشـيعة وإن كانـوا للملة الـتي يظهرونها ناقضـين ولها تاركين".




فإن قالوا: هذا يوجب أن يكـون كـلُّ معلـوم مقـدورًا.. **قيل لهم:** ولو كـان معـنى: (سـميع وبصـير) معـنى: (عـالم) لكـان كل معلوم مسموعًا، وإذا لم يجز ذلك بطل قولكم.

الباب السابع
الكلام في الإرادة والرد على المعتزلة في ذلك

مسـألة:

يقال لهم: ألسـتم تزعمـون أن الله تعـالى لم يـزل عالمًـا؟ **فمن قـــولهم:** نعم.. **قيل لهم:** فلمَ لا قلتم: إنّ مَن لم يــزل عالمًا أنه يكون في وقت من الأوقات، لم يزل مريدًا أن يكـون في ذلك الـوقت، وما لم يـزل عالمًا أنه لا يكـون فلم يـزل مريـدًا أن لا يكون، وأنه لم يزل مريدًا أن يكون ما علم كما علم؟.

فإن قـالوا: لا نقـول إن الله لم يـزل مريـدًا؛ لأن الله تعـالى مريــدٌ بــإرادة مخلوقــة.. **قيل لهم:** فلم زعمتم أن الله عز وجل مريد بـإرادة مخلوقـة، وما الفصل بينكم وبين الجهمية في زعمهم أن الله عـــالم بعلم مخلـــوق؟، وإذا لم يجز أن يكـــون علم الله مخلوقًا، فما أنكرتم أن لا تكون إرادة الله مخلوقة؟.

فإن قالوا: لا يجوز أن يكون علم الله محدَثًا؛ لأن ذلك يقضي أن يكون حَدَث بعلم آخر كذلك لا إلى غاية.. **قيل لهم:** ما أنكرتم أن لا تكـون إرادة الله محدثة مخلوقـة؛ لأن ذلك يقتضي أن تكـون حدثت عن إرادة أخرى، ثم كذلك لا إلى غاية.

فـإن قـالوا: لا يجـوز أن يكـون علم الله محـدثًا؛ لأن من لم يكن عالمًا ثم علِم لحقه النقصان.. **قيل لهم:** ولا يجـوز أن تكـون إرادة الله محدثة مخلوقـــة؛ لأن من لم يكن مريـــدًا ثم أراد؛ لَحِقه النقصـان، وكما لا يجـوز أن تكـون إرادته تعـالى محدثة مخلوقـة، كذلك لا يجوز أن يكون كلامه محدثًا مخلوقًا.

مسـألة أخرى:

ويقال لهم: إذا زعمتم أنه قد كان في سلطان الله عز وجل الكفر والعصيان، وهو لا يريده، وأراد أن يُؤْمِن الخلق أجمعون، فلمْ يؤمنـوا فقد وجب على قـولكم أن أكثر ما شـاء الله أن يكـون، لم يكن، وأكثر ما شاء الله أن لا يكون، كان؛ لأن الكفر الذي كان وهو لا يشاؤه عندكم، أكثر من الإيمان الذي كان وهو يشـاؤه، وأكـثر ما شاء الله أن يكون، لم يكن.. وهذا جَحْدٌ لما أجمع عليه المسـلمون من أن ما شاء الله أن يكون كان، وما لا يشاء لا يكون.

ويقال لهم: من قولكم: إن كثـيرًا ما شـاء أن يكـون إبليس، كـان؛ لأن الكفر أكـثر من الإيمـان، وأكـثر ما كـان هو شـاءه، فقد جعلتم مشـيئة إبليس أنفذ من مشـيئة رب العـالمين – جل ثنـاؤه وتقدست أسماؤه، ولا إله غيره – لأن أكثر ما شاءه([1]) كان، وأكـثر ما كان فقد شاءه.. وفي هـذا إيجـاب أنكم قد جعلتم لإبليس مرتبة في المشيئة ليست لرب العـالمين.. تعـالى الله عز وجل عن قـول الظالمين علوًّا كبيرًا.

مسألة أخرى:

ويقال لهم: أيهما أولى بصفة الاقتدار: مَن إذا شاء أن يكون الشيء كان لا محالـة، وإذا لم يـرده لم يكن، أو مَن يريد أن يكـون ما لا يكون، ويكون مالا يريد؟

فإن قالوا: من لا يكون أكثر ما يريـده أولى بصـفة الاقتـدار، كابروا، **وقيل لهم:** إن جاز لكم ما قلتمـوه جـاز لقائل أن يقـول: مَن يكون مالا يعلمه، أولى بالعلم ممن لا يكون إلا ما يعلمه.

وإن رجعوا عن هذه المكـابرة، وزعمـوا أن مَن إذا أراد أمـرًا كـان وإذا لم يـرده لا يكـون أولى بصـفة الاقتـدار، لـزمهم على مـذاهبهم أن يكـون إبليس - لعنه الله - أولى بالاقتـدار من الله تعـالى؛ لأن أكـثر ما أراده كـان، وأكـثر ما كـان، قد أراده.. **وقيل لهم:** إذا كـان مَن إذا أراد أمـرًا كـان، وإذا لم يـرده لم يكن أولى بصفة الاقتدار، فيلزمكم أن يكون الله تعالى إذا أراد أمرًا كان، وإذا لم يرده لم يكن؛ لأنه أولى بصفة الاقتدار.

ويقال لهم: أيهما أولى بالإلهية والسـلطان؟ مَن لا يكـون إلا ما يعلمه ولا يغيب عن علمه شـيء ولا يجـوز ذلك عليـه، أو مَن يكون مالا يعلمه ويعزب عن علمه، أكثر الأشياء؟.

فـإن قـالوا: من لا يكـون إلا ما يعلمه ولا يعـزب عن علمه شـيء أولى بصـفة الإلهيـة.. **قيل لهم**: فكـذلك من لا يريد كـون شيء إلا ما كان، ولا يكون إلا ما يريده، ولا يعزب عن إرادته شـيء أولى بصفة الإلهية كما قلتم ذلك في (العلم)، وإذا قالوا ذلك تركوا قولهم ورجعوا عنه، وأثبتوا الله عز وجل مريدًا لكل كائن، وأوجبـوا أنه لا يريد أن يكون إلا ما يكون.

ويقال لهم: إذا قلتم أنه يكون في سلطانه تعالى ما لا يريد، فقد كـان إذًا في سـلطانه ما كرهـه؛ فلا بد من نعم.. **يقال لهم:** فإذا كان في سلطانه ما يكرهه فما أنكرتم أن يكـون في سـلطانه ما يأبى كونه؟.

---

[1] أي: إبليس

فـإن أجـابوا إلى ذلـك.. **قيل لهم:** فقد كـانت المعاصي شاء الله أم أبى، وهذه صفة الضعف والفقـر.. تعـالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

مسـألة:

ويقـال لهم: أليس لِمَا فعل العبـاد ما يسـخطه تعـالى، وما يغضب عليهم إذا فعلوه فقد أغضبوه وأسـخطوه؟؛ فلا بد من نعم.. يقـال لهم: فلو فعل العبـاد ما لا يريد وما يكرهه لكـانوا أكرهـوه، وهذه صفة القهر، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ويقال لهم: أليس قد قـال الله تعـالى: ﴿**فعـال لما يريد**﴾ [هود :107، البـروج :16]؟؛ فلا بد من نعم.. قيل لهم: فمن زعم أن الله تعالى فعل ما لا يريد، وأراد أن يكون من فعله ما لا يكـون، لزمه أن يكـون قد وقع ذلك وهو سـاهٍ غافـلٍ عنـه، أو أن الضـعف والتقصـير عن بلـوغ ما يريـده لحقـه؛ فلا بد من نعم.. قيل لهم: فكذلك من زعم أنه يكون في سـلطان الله تعـالى ما لا يريـده من عبيده؛ لزمه أحد أمرين:

إما أن يـزعم أن ذلك كـان عن سـهو وغفلـة.. أو أن يـزعم أن الضعف والتقصير عن بلوغ ما يريده، لَحِقه.

ويقال لهم: أليس من زعم أن الله تعـالى فعل مـالا يعلمـه؛ قد نسب الله - سبحانه - إلى ما لا يليق به من الجهـل؟ فلا بد من نعم.. قيل لهم: وكـذلك يلـزم من زعم أن الله فعل ما لا يريـده؛ لزمه أن ينسب الله تعالى إلى السهو والتقصير عن بلوغ ما يريده.

فإذا قالوا: نعم.. **قيل لهم:** وكذلك يلزم من زعم أن العباد يفعلـون ما لا يعلم الله نسب الله تعـالى إلى الجهـل.. فلا بد من نعم؛ يقـال لهم: فكـذلك إذا كـان في كـون فعلٍ فعله اللـه، وهو لا يريده: إيجاب سهو أو ضعف أو تقصير عن بلوغ ما يريده.

وكذلك إذا كان من غيره مالا يريده وجب إثبات سهو وغفلة، أو ضعف وتقصير عن بلوغ ما يريد، لا فـرق في ذلك بين ما كـان منه وما كان من غيره.

ويقال لهم: إذا كان في سلطان الله مالا يريده وهو يعلمـه، ولا يلحقه الضـعف والتقصـير عن بلـوغ ما يريـده، فما أنكـرتم أن يكون في سلطانه مالا يعلمه ولا يلحقه النقصان؟، فإن لم يجز هذا لم يجز ما قلتموه.

مسـألة:

إن قال قائـل: لِم قلتم: إن الله مريد لكل كـائن أن يكـون، ولكل مالا يكون أن لا يكون؟

قيل لـه: الـدليل على ذلـك: أن الحجة قد وضـحت أن الله تعـالى خلق الكفر والمعاصـي، وسـنبين ذلك بعد هـذا الموضع من كتابنا.. وإذا وجب أن إلله - سـبحانه - خـالق لـذلك، فقد وجب أنه مريد له؛ لأنه لا يجوز أن يخلق مالا يريده.

وجواب آخر:

إنه لا يجوز أن يكون في سلطان الله تعالى من اكتساب العباد مـالا يريـده، كما لا يجـوز أن يكـون مِن فعله المُجْمَع على أنه فعل مالا يريده؛ لأنه لو وقع من فعله مـالا يعلمـه، لكـان في ذلك إثبـات النقصـان، وكـذلك القصد لو وقع من عبـاده مـالا يعلمه فكـذلك لا يجوز أن يقع من عباده مالا يريده؛ لأن ذلك يوجب أن يقع عن سهو وغفلة، أو عن ضعف وتقصير عن بلوغ ما يريـده، كما يجب ذلك لو وقع من فعله المجتمَع على أنه فعل ما لا يريده.

وأيضًا فلو كانت المعاصي وهو لا يشاء أن تكون، لكان قد كره أن تكون وأبى أن تكون، وهذا يوجب أن تكون المعاصي كائنة شاء الله أم أبى، وهذا صفة الضعف؛ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وقد أوضـحنا أن الله - سـبحانه - لم يـزل مريـدًا على حقيقته الـتي عِلْمُه عليهـا، فـإذا كـان الكفر مما يكـون، وقد علم ذلك فقد أراد أن يكون.

يقـال لهم: إذا كـان الله ِ علم أن الكفر يكـون، وأراد أن لا يكـون، فقد أراد أن يكـون ما علم على خلاف ما علم، وإذا لم يجز ذلك فقد أراد أن يكون ما علم كما علم.

ويقال لهم: لم أبيتم أن يريد الله الكفر الذي علم أنه يكون، أن يكون قبيحًا فاسدًا متناقضًا خلافًا للإيمان؟.

فـإن قـالوا: لأن مريد السـفه سـفيه.. **قيل لهم:** ولمَ قلتم ذلك، أو ليس قد أخبر الله تعالى عن ابن آدم أنه قال لأخيه: ﴿**لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخـاف الله رب العـالمين. إني أريد ان تبـوء بـإثمي وإثمك فتكون من أصـحاب النـار وذلك جـزاء الظـالمين**﴾ [المائدة :28ـ 29]، فـأراد أن لا يقتل أخـاه لئلا يُعـذب، وأن يقتله أخوه حتى يبوء بـإثم قتله لـه، وإثم سـائر آثامه الـتي كـانت عليـه؛ فيكون من أصحاب النار، فأراد قتل أخيه الـذي هو سـفه، ولم يكن

بذلك سفيهًا، فلم زعمتم أن الله تعـالى إذا أراد سـفه العبـاد وجب أن ينسب ذلك إليه؟.

ويقــال لهم: قد قــال يوسف عليه الســلام: ﴿**قــال رب السجن أحب إلي مما يـدعونني إليه**﴾ [يوسف :33]، وكـان سجنهم إياه معصـية، فـأراد المعصـية الـتي هي سـجنهم إيـاه دون فعل ما يدعونه إليه، ولم يكن سفيها فما أنكرتم من أن لا يجب إذا أراد البـاري - سـبحانه - سـفه العبـاد أن يكـون قبيحًا منهم، خلافًا للطاعة: أن يكون سفيهًا.

مسألة أخرى:

ويقال لهم: أليس من يرى منا جرم المسلمين كان سـفيهًا، والله تعالى يراهم ولا يُنسب إلى السفه؟.. فلا بد من نعم.

يقال لهم: فما أنكرتم أن من أراد السـفه منا فكـان سـفيهًا، والله - سـبحانه - يريد سـفه السـفهاء ولا ينسب إلى الله تعـالى سفه؛ تعالى الله عن ذلك.

ويقال لهم: السفيه منا إنما كان سفيهًا لمّا أراد السفه؛ لأنه نُهي عن ذلــك، ولأنه تحت شــريعة من هو فوقــه، ومن يَحــدُّ له الحدود، وتُرسم له الرسوم فلما أتى ما نُهي عنه كان سفيهًا، ورب العـالمين - جل ثنـاؤه وتقدست أسـماؤه - ليس تحت شـريعة، ولا فوقه من يَحـدُّ له الحــدود ويَرسم له الرســوم، ولا فوقه مــبيح ولا حاظر، ولا آمر ولا زِاجر، فلمَ يجب إذا أراد ذلك أن يكــون قبيحًا أن ينسب إلى السفه .

ويقال لهم: أليس من خَلّى بين عبيــده وبين إمائه منّا يــزني بعضـهم ببعض وهو لا يعجز عن التفريق بينهم يكـون سـفيهًا؟ ورب العـالمين عز وجل قد خلى بين عبيــده وإمائه يـزني بعضـهم ببعض وهو يقدر على التفريق بينهم وليس سفيهًا، وكذلك من أراد السفهَ منا كان سفيهًا، ورب العالمين عز وجل يريد السفه وليس سفيهًا.

ويقال لهم: من أراد طاعة الله منا كـان مطيعًـا، كما أن من أراد السفه كان سفيهًا، ورب العالمين عز وجل يريد الطاعة وليس مطيعًا، فكذلك يريد السفه وليس سفيهًا.

مسألة أخرى:

ويقال لهم: قال الله تعالى: ﴿**ولو شاء الله ما اقتتلــوا**﴾ [البقرة :253] فأخبر أنه لو شـاء أن لا يقتتلـوا ما اقتتلـوا.. وقـال: ﴿**ولكن الله يفعل ما يريد**﴾ [البقــرة :253] من القتــال، فــإذا وقع القتــال فقد شــاءه.. كما أنه قــال: ﴿**ولو رُدُّوا لعــادوا لما نُهوا عنه**﴾ [الأنعام :28] فأوجب أن الرد لو كان إلى الدنيا لعادوا

إلى الكفـر، وأنهم إذا لم يـردّهم إلى الـدنيا لم يعـودوا، فكـذلك لو شاء الله أن لا يقتتلوا لما اقتتلوا، وإذا اقتتلوا فقد شاء أن يقتتلوا.

ويقال لهم: قال الله تعالى: ﴿**ولو شـئنا لآتينا كل نفس هــداها ولكن حق القــول مــني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين**﴾ [السجدة :13] وإذا حق القول بذلك فما شاء أن تـؤتي كل نفس هـداها؛ لأنه إذا لم يؤتها هـداها لما حق القـول بتعذيب الكافرين، وإذا لم يُرِد ذلك فقد شاء ضلالتها.

فـإن قـالوا: معـنى ذلك لو شـئنا لأجبرنـاهم على الهـدى واضـــطررناهم إليــه.. **قيل لهم**: فـــإذا أجـــبرهم على الهـــدى واضطرهم إليه أيكونون مهتدين؟.

فإن قالوا: نعم.. **قيل لهم:** فإذا كـان إذا فعل الهـدى كـانوا مهتدين، فما أنكـرتم لو فعل كفر الكـافرين فكـانوا كـافرين، وهـذا هدمُ قولهم؛ لأنهم زعموا أنه لا يفعل الكفر إلا كافر.

ويقال لهم أيضًا: على أي وجه يؤتيهم الهدى، لو آتاهم إيـاه وشاء ذلك لهم؟.

إن قالوا: على الإلجاء.. **قيل لهم:** وإذا ألجأهم إلى ذلك هل ينفعهم ما يفعلونه على طريق الإلجاء؟ فمن قـولهم: لا.. قيل لهم: فإذا أخبر أنه لو شاء لآتـاهم الهـدى لـولا ما حق منه من القـول أنه يملأ جهنم.

وإذا كان لو ألجأهم لم يكن نافعًا لهم ولا مـزيلًا للعـذاب عنهم، كما لم ينفع فرعون قوله الذي قاله عند الغرق والإلجاء، فلا معـنى لقولكم، لأنه لولا ما حق من القول لأوتيت كل نفس هداها، وإتيـان الهدى على الوجه الذي قلتموه لا يزيل العذاب.

مسألة أخرى:

ويقـال لهم: قـال الله تعـالى: ﴿**ولو بسط الله الـرزق لعباده لبغوا في الأرض**﴾ [الشورى :27]، وقال تعالى: ﴿**ولولا ان يكـون النـاس أمة واحـدة لجعلنا لمن يكفر بـالرحمن لــبيوتهم ســقفًا من فضة ومعــارج عليها يظهــرون**﴾ [الزخـرف :32] مخـبرًا أنه لـولا أن يكـون النـاس مجتمعين على الكفر لم يبسط لهم الرزق ولم يجعل للكـافرين سُـقفًا من فضـة، فما أنكرتم من أنه تعـالى لو لم يُـرد أن يكفر الكـافرين، ما خلقهم مع علمه بأنه إذا خلقهم كـانوا كـافرين، كما أنه لو أراد أن لا يكـون النــاس على الكفر مجتمعين لم يجعل للكــافرين سُـقفًا من فضة ومعارج عليها يظهرون؛ لئلا يكونوا جميعًا على الكفر متطابقين، إذا




كـــان في معلومه أنه لو لم يفعل ذلك لكـــانوا جميعًا على الكفر مُطْبقِين.







الباب الثامن
الكلام في تقدير أعمال العباد والاستطاعة والتعديل والتجوير

يقـال للقدرية([1]): هل يجـوز أن يُعْلِم الله عز وجل عبـاده شيئًا لا يعلمه؟.

فإن قالوا: لا يُعلم الله عبـاده شـيئًا إلا وهو به عـالم.. **قيل لهم**: فكذلك لا يُقْدرهم على شـيء إلا وهو عليه قـادر، فلا بد من الإجابة إلى ذلك.

قيل لهم: فإذا أقدرهم على الكفر، فهو قـادر أن يخلق الكفر لهم، وإذا قـدر على خلق الكفر لهم؛ فلم أبيتم أن يخلق كفـرهم فاسدًا متناقضًا باطلًا، وقد قال تعالى: ﴿**فعـال لما يريد**﴾ [هـود : 107]؟.. وإذا كان الكفر مما أراد فقد فعله وقدَّره.

ويُرَدّ عليهم في اللُّطـف.. **يقـال لهم:** أليس الله ¸ قـادرًا أن يفعل بخلقه من بسط الـرزق ما لو فعله بهم لبغـوا في الأرض؟ وأن يفعل بهم ما لو فعله بالكفـار لكفـروا؛ كما قـال تعـالى: ﴿**ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض**﴾ [الشـورى :27]، وكما قال: ﴿**ولولا أن يكـون النـاس أمة واحـدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفًا من فضة**﴾ [الزخرف :32]؟.. فلا بد من نعم.

يقـال لهم: فما أنكـرتم من أنه قـادر أن يفعل بهم لطفًا لو فعله بهم لآمنوا أجمعين، كما أنه قـادر أن يفعل بهم أمـرًا لو فعله بهم لكفروا كلُّهم.

مسـألة:

ويقال لهم: أليس قد قال الله تعـالى: ﴿**ولـولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلًا**﴾ [النسـاء :83] ، وقال: ﴿**ولـولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد أبـدًا**﴾ [النـور :21]، وقـال: ﴿**فـاطلع فـرآه في سـواء الجحيم**﴾ [الصافات :55] يعني: في وسط الجحيم، وقال: ﴿**قـال تالله لقد كـدت لـتردين. ولـولا نعمة ربي لكنتُ من المحضـرين**﴾ [الصـافات :56ــ 57].. فما الفضل الـذي فعله

([1]) الـذين سـموا بـذلك لاعتقـادهم أن العبـاد – من دون الله – هم من يَخْلُقـون ويُقدِّرون أفعال أنفسهم ويريدونها، وأن الله لا يعلم الأشياء قبل كونها حتى تقـع.. فكان هذا رد الأشعري على ترهاتهم.

بـالمؤمنين، الـذي لو لم يفعله لاتبعـوا الشـيطان، ولو لم يفعله ما زكى منهم من أحد أبدًا؟؛ وما النعمة الـتي لو لم يفعلها لكـانوا من المحضـــرين؟؛ وهل ذلك شـــيء لم يفعله بالكـــافرين وخص به المؤمنين؟.

فإن قالوا: نعم.. فقد تركـوا قـولهم، وأثبتـوا لله تعـالى نِعَمًا وفضـــلًا على المؤمـــنين ابتـــدأهم بجميعـــه، ولم يُنعم بمثله على الكافرين، وصاروا إلى القول بالحق.

وإن قـــالوا: قد فعل الله ذلك أجمع بالكـــافرين كما فعله بـــالمؤمنين، فقل لهم: فـــإذا كـــان الله تعـــالى قد فعل ذلك أجمع بالكـافرين فلمَ لم يكونـوا زاكين، وكـانوا للشـيطان متبعين، وفي النار محضرين؟.

وهل يجـوز أن يقـول للمؤمـنين: لـولا أني خلقت لكم أيـدي وأرجل لكنتم للشـــيطان متبعين، وهو قد خلق الأيـــدي والأرجل للكافرين وكانوا للشيطان متبعين؟.

فـإن قـالوا: لا يجـوز ذلـك.. **قيل لهم:** وكـذلك لا يجـوز ما قلتموه.

وهذا يـبين أن الله تعـالى اختص المؤمـنين من النعم والتوفيق والتسديد بما لم يعطِ الكافرين، وفضّل عليهم المؤمنين[1].

---

[1] (?) مســألة الهداية والضــلال مما اختل فيها مــيزان الحق بعض الشـــيء لـــدى الأشاعرة، وعنها لدى أهل السنة يقول ابن القيم في شفاء العليل 2/ 449: "قد اتفقت رسـلُ الله من أولهم إلى آخـرهم، وكتبُه المنزلة عليهم، أنه سـبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضـلل فلا هـادي لـه، وأن الهـدى والإضـلال بيـده لا بيد العبـد، وأن العبد هو الضـال أو المهتـدي، فالهداية أو الإضلال فعله سبحانه وقدَره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه".

والتوفيق عند أهل السنة مرتبة من مراتب الهداية، لأن الهداية عندهم نوعان: (هداية دلالة وإرشاد) يتم بموجبها معرفة ما ينفع العبد في الدنيا والآخـرة، وهـذه يؤتيها الله من يشـاء من رسـله وعبـاده فيهـدون النـاس لطريق الحـق، و(هداية توفيق وإلهـــام) يوفِّق الله العبد بموجبها لفعل الطاعة وصـــرف الســـوء عنـــه، والهـدايتان لهما تعلق بالقضـاء والقـدر وأفعـال العبـاد، والأشـاعرة على أن الله يخلق قـــدرة في العبد للطاعة لا يســـتطيع معها فعل المعصـــية، وكـــذا العكس، فيكون التوفيق هو: إقدار الله للعبد على الطاعة، والخذلان: عدم إقدار الله العبد على الطاعة، والأشاعرة بهـذا الكلام يـردون على المعتزلة الـذين يقولـون بخلق الله للُطفٍ في العبد يؤمن عنـده، وذلك بـإلزامهم ألا يتّصف الله سـبحانه بقـدرة على توفيق جميع العباد على قولهم [ينظر الإرشاد لأبي المعالي ابن الجويني ص 105].

بيد أن رد أهل الســـنة على المعتزلة - الـــذين يـــرون أن الهداية هي فقط هداية (دلالة وإرشاد) بناء على أصلهم الذي أصلوه في وجـوب فعل (الصـلاح والأصـلح) على الله تعالى- مبني على أن القدرة تأتي على قسمين:

مسألة في الاستطاعة:

ويقال لهم: أليست استطاعة الإيمان نعمة من الله تعالى وفضلاً وإحسانًا؟.

فإذا قالوا: نعم.. **قيل لهم:** فما أنكرتم أن يكون توفيقًا وتسديدًا؟.. فلا بد من الإجابة إلى ذلك.

يقال لهم: فإذا كان الكافرون قادرين على الإيمان، فما أنكرتم من أن يكونوا موفَّقين للإيمان؟، ولو كانوا موفَّقين مسدَّدين لكانوا ممدوحين؛ وإذ لم يجز ذلك لم يجز أن يكونوا على

الأولى: قدرة واستطاعة بمعنى الصحة والسلامة من الآفات، وهذه تكون قبل الفعل، ومنها قوله تعالى: ﴿**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً**﴾[آل عمران :97]، فلو لم تكن هذه الاستطاعة إلا مع الفعل، لما وجب الحج إلا على من حجٍّ، ولا عَصَى أحدٌ بترك الحج دون عذر، وهذه هي القدرة الشرعية التي هي مناط الأمر والنهي، والمعلومة في عرف الناس وكلام الفقهاء، فلو أن الأشاعرة أرادوا بالقدرة على الطاعة هذا المعنى فهذا غير صحيح.

والثانية: قدرة واستطاعة مقرونة للفعل موجبة له، ومنها قوله تعالى: ﴿**ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون**﴾ [هود :20]، وهذه هي القدرة الكونية التي هي مناط القضاء والقدر وبها يتحقق وجود الفعل، فلو كان الأشاعرة يريدون بالقدرة هذا المعنى فهو صحيح موافق لما دلت عليه الأدلة [على ما أفاده ابن تيمية بمجموع الفتاوى 8/ 129 ودرء التعارض 1/ 61].

وعليه: فالمعنى الصحيح للتوفيق لدى أهل السنة هو: إعانة خاصة من الله للعبد، بها يَضْعُف أثر النفس والشيطان وتَقوى الرغبة في العبادة، والخذلان: هو سلب العبد الإعانة التي تُقوِّيه على نفسه والشيطان، فالله تعالى قد هيأ للعبد أسباب التوفيق وأسباب الخذلان، فإن هو أخذ بأسباب التوفيق هُدِي، وإن أخذ بأسباب الخذلان خُذل، فهو تعالى جعل في العبد قدرة على الأخذ بهذا أو هذا، وهو معنى زائد على القدرة، لا أن العبد إذا تهيأت له أسباب التوفيق وأخذ بها أنه لا يُتصور معه عصيان هذا الأمر.

فمذهب الأشاعرة في هذا موافق للجبرية، وما سبق هو رد أهل السنة عليه وعلى المعتزلة، ودليهم الواضح في هذا قوله تعالى: ﴿**وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى عن الهدى**﴾ [فصلت :17]، وقوله: ﴿**وما كان الله ليضل قومًا بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون**﴾ [التوبة :115]، فهؤلاء وأولئك هداهم الله إلى بيان الحق ومعرفته، وهي (هداية الدلالة والإرشاد) التي كان نبيهم يملكها، لكن لم يهتدوا إليها عملاً وأخذًا بها، وقد خلق الله لهم قدرة ومشيئة أن يعملوا بما دُلُّوا عليه من الحق فيزول عن قلوبهم العمى والعناد كما قال تعالى:﴿**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًّا**﴾ [النمل : 14].

وفي بيان ذلك يقول ابن القيم: "ومما ينبغي أن يُعلم: أنه لا يمتنع مع الطبع والختم والقفل حصول الإيمان، بأن ينفك الذي خُتم على القلب وطُبع وضُرب عليه القفل، ذلك الختم والطابع والقفل، ويهديه بعد ضلاله ويُعَلِّمه بعد جهله، ويرشده بعد غيه، ويفتح قلبه بمفاتيح توفيقه التي هي بيده، حتى لو كتب على

الإيمـان قـادرين، ووجب أن يكـون الله تعـالى اختص بالقـدرة على الإيمان للمؤمنين.

ويقال لهم: لو كانت القدرة على الكفر قدرة على الإيمــان، فقد رُغِب إليه في أن يُقدِره على الكفـــر، فلما رأينا المؤمـــنين يرغبـون إلى الله تعـالى في قـدرة الإيمـان، ويزهـدون في قـدرة الكفر؛ علمنا أن الذي رغِبوا فيه غير الذي زهدوا فيه.

مسألة أخرى:
ويقال لهم: أخبرونا عن قوة الإيمـان، أليست فضـلًا من الله تعالى؟ فلا بد من نعم.
يقال لهم: فالتفضل، أليس هو ما للمُتفضِّل أن لا يَتفضَّـل به وله أن يَتفضّل به، فلا بد من الإجابة إلى ذلـك؛ لأن ذلك هو الفـرق بين الفضل وبين الاستحقاق.
فيقال لهم: وللمتفضِّل إذا أمر بالإيمان أن يرفع التفضُّلَ ولا يتفضل به فيأمرهم بإيمانٍ وإن لم يعطهم قـدرة الإيمـان وخـذلهم، وهذا هو قولنا ومذهبنا.
ويقـال لهم: هل يقـدر الله على توفيـقٍ يُوفِّق به الكـافرين حتى يكونوا مؤمنين؟ـ
فإن قالوا: لا.. نطقـوا بتعجـيز اللـه، تعـالى عن ذلك علـوًّا كبـيرًا.. **وإن قـالوا:** نعم يقـدر على ذلـك، ولو فعل بهم التوفيق لآمنوا، تركوا قولهم، وقالوا بالحق.
مســألة:
وإن ســألوا عن قـــول الله تعـــالى: ﴿**وما الله يريد ظلمًا للعبـــاد**﴾ [غـــافر :31]، وعن قولـــه: ﴿**وما الله يريد ظلمًا للعالمين**﴾ [آل عمران :108].

قيل لهم: معـــنى ذلـــك: أنه لا يريد أن يظلمهم؛ لأنه قـــال: ﴿**وما الله يريد ظلمًا لهم**﴾، ولم يقـــل: (لا يريد ظلم بعضـــهم لبعض)، فلم يرد أن يظلمهم وإن كان أراد أن يتظالموا.

وإن ســألوا عن قـــول الله تعـــالى: ﴿**ما تـــرى في خلق الرحمن من تفاوت**﴾ [الملك :3]، قالوا: والكفر متفاوت، فكيف يكون من خلق الله؟.
والجواب عن ذلك: أن الله تعالى قال: ﴿**الذي خلق ســبع ســماوات طباقًا ما تــرى في خلق الــرحمن من تفـاوت فارجع البصر هل ترى من فطور. ثم ارجع البصر كـرتين ينقلب إليك البصر وهو حسير**﴾ [الملك :3ـ 4]، فإنما عنى ما

جبينه الشقاوة والكفر لم يمتنع أن يمحوها، ويُكتب عليه السعادة والإيمـان" إ.هــ من شفاء العليل 2/ 614 وينظر عقيدة الأشاعرة للرديعان ص292- 296.

ترى في السماوات من فطور؛ لأنه ذكر خلق السماوات، ولم يذكر الكفر، وإذا كان هذا على ما قلنـاه بطل ما قـالوه، والحمد لله رب العالمين.

ويقــال لهم: هل تعرفـــون لله عز وجل نعمة على أبي بكر الصديق رضي الله عنه خُصَّ بها دون أبي جهل ابتداء؟؛ فإن قـالوا: لا، فحُش قولهم.. وإن قالوا: نعم، تركوا مذاهبهم؛ لأنهم لا يقولـون إن الله خَصّ المؤمنين في الابتداء بما لم يخص به الكافرين.

وإن سألوا عن قوله تعـالى: ﴿**ما خلقنا السـماء والأرض وما بينهما باطلًا**﴾ [ص :27]، فقـالوا: هـذه الآية تـدل على أن الله عز وجل لم يخلق الباطل.

والجــواب عن ذلك: أن الله عز وجل أراد إكــذاب المشــركين الـذين قـالوا: لا حشر ولا نشـور ولا إعـادة، فكأنه قـال تعـالى: ما خلقت ذلك، وأنا لا أثيب من أطـاعني ولا أعـاقب من عصـاني، كما ظن الكـافرون أنه لا حشر ولا نشر ولا ثـواب ولا عقـاب، ألا تـراه قـال: ﴿**ذلك ظن الـذين كفـروا فويل للـذين كفـروا من النـار**﴾ [ص :27]، وبيَّن ذلك بقولـه: ﴿**أم نجعل الـذين آمنـوا وعملــوا الصــالحات كالمفســدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجــار**﴾ [ص :28]، أي: لا نســوِّي بينهم في أن نُفنيهم أجمعين ولا نُعيدهم، فيكون سبيلهم سبيلًا واحدًا.

مسألـــــة:

وسـألوا عن قوله تعـالى: **ما أصـابك من حسـنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك** [النساء :79].

والجـواب عن ذلـك: أن الله تعـالى قـال: **وإن تصـبهم سيئة** يعني: الخصب والخير، **يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة** يعني: الجدب والقحط والمصائب، (قالوا هذه من عندك) أي: بشؤمك، قال الله تعالى: يا محمد **قل كـلٌّ من عند الله فمـال هـؤلاء القـوم لا يكـادون يفقهـون حـديثًا** [النساء:78]، يعني: في قـولهم: **ما أصابك من حسـنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك** فحـذف قـولَهم، لأن ما تقدم من الكلام يدل عليه؛ لأن القـرآن لا يتنـاقض، ولا يجـوز أن يقول في آية: (إن الكل من عند اللـه)، ثم يقـول في الآية الأخـرى التي تليها: (إن الكل ليس من عند الله)، على أن ما أصاب النـاس هو غير ما أصـابوه، وهـذا يـبين بطلان تعلقهم بهـذه الآيـة، ويـوجب عليهم الحجة.

مسألة في التكليف:

وإن ســـألوا عن قـــول الله تعـــالى: **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** [الذاريات :56].

فالجواب عن ذلك: أن الله تعـالى إنما عـنى المؤمـنين دون الكافرين؛ لأنه أخبرنا أنه ذرأ لجهنم كثيرًا من خلقه، فالـذين خلقهم لجهنم، وأحصـــاهم، وعـــدّهم، وكتبهم بأســـمائهم وأســـماء آبـــائهم وأمهاتهم؛ غير الذين خلقهم لعبادته.

ويقــــال لهم: أليس قد كلف الله عز وجل الكـــــافرين أن يسمعوا الحق ويقبلوه ويؤمنوا بالله؟.. فلا بد من نعم.

فيقال لهم: فقد قال الله تعـالى: **ما كانوا يسـتطيعون السمع** [هود :20]، وقال: **وكانوا لا يسـتطيعون سـمعًا** [الكهف :101]، وقد كلفهم استماع الحق.

ويقال لهم: أليس قد قـال الله تعـالى: **يـوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون** [القلم: 42]؟، أليس قد أمرهم الله تعالى بالسجود في الآخرة؟.

وجاء في الخـبر: (أن المنـافقين يجعل في أصـلابهم كالصـفائح فلا يستطيعون السجود)، وفي هـذا تثـبيت ما نقوله من أنه لا يجب لهم على الله تعـــالى إذا أمـــرهم أن يُقـــدرهم، وهو بطلان قـــول القدرية؟.

مسألة في إيلام الأطفال:

ويقال لهم: أليس قد آلم الله تعالى الأطفال في الدنيا بآلام أوصلها إليهم، كنحو: الجذام الذي يُقَطِّع أيديهم وأرجلهم وغـير ذلك - أعاذنا الله من ذلك - مما يؤلمهم به، وكان ذلك سائغًا جائزًا؟.

فإذا قالوا: نعم.. **قيل لهم:** فإذا كان هذا عدلًا، فما أنكـرتم أن يؤلمهم في الآخرة، ويكون ذلك منه عدلًا؟.

فإن قـالوا: آلمهم في الـدنيا ليعتـبر بهم الآباء.. **قيل لهم:** فإذا فعل بهم ذلك في الدنيا ليعتبر بهم الآباء، وكـان ذلك منه عـدلًا فلم لا يـؤلم أطفـال الكـافرين في الآخـرة ليغيظ بـذلك آبـاءهم، ويكون ذلك منه عدلًا؟.. وقد قيل في الخبر: (إن أطفال المشركين تُؤَجّجُ لهم نار يوم القيامـة، ثم يقـال لهم: اقتحموهـا، فمن اقتحمها أدخله الجنـــــــة، ومن لم يقتحمها أدخله النـــــــار) وقد قيل في الأطفـــال[1]، كما رُوي عن النـــبي ﷺ قولـــه: (إن شـــئت أســـمعتك ضغاءهم في النار)؟[2].

مســـــــألة:

ويقـال لهم - قدرية المعتزلة -: أليس قد قـال الله سـبحانه وتعـالى: ﴿**تبت يـدا أبي لهب وتب. ما أغـنى عنه ماله وما كسـب. سيصـلى نـارًا ذات لهب**﴾ [المسد :1-ـ 3] وأمـره مع ذلك بالإيمـان، فـأوجب عليه أن يعلم أنه لا يـؤمن، وأن الله صـادق

---

[1] (?) الأحاديث التي استدل بها القائلون بدخول أطفال المشـركين النـار، يشـوبها الضـعف والـوهن ومما لا تقـام بها حجة ولا تَقْطع بحكم، وما صح منها قيـل: إن النـبي ﷺ قاله قبل أن يُـوحى إليه بشـأنهم، وما قيل بحق الغلام الـذي قتله الخضر وأنه في علم الله المسبق سيكون كافرًا، ليس فيه ما يدل على أن مصيره النار.

وتجدر الإشارة إلى أن كلمة أهل السنة وإجماع الأمة على أن الموتى من أطفـال المسـلمين في الجنـة، واختلفـوا في أطفـال المشـركين بين قائل بـأن مصـيرهم النـار، وبين متوقف في مصـيرهم، وبين قائل بـأن مصـيرهم الجنـة.. والـرأي الأخـير هو الـراجح وعليه جمهـور أهل العلم، حيث إن أولاد أهل الكتـاب وغـيرهم من أهل الشـرك والمِلل المختلفة - فضـلًا عن أطفـال المسـلمين - مشمولون بقوله ﷺ :(كل مولود يولد على الفطرة..)، فهم في الجنة إذا ماتوا قبل البلوغ لأنهم مـاتوا قبل التكليف الشـرعي، وقد قـال تعـالى: ﴿**وما كنا معذبين حـتى نبعث رسـولًا**﴾ [الإسـراء :15]، وقـال ﷺ :(رفع القلم عن ثلاث): وذكـر: (الصبي حتى يبلغ).

وفي هذا حجة على أن ما قال به الأشعري من أنهم يمتحنون يوم القيامة اتكـاء على ما ذكـره من أدلـة؛ مرجـوح ومنـافٍ لما سـبق من أدلة صـريحة، بل ولصحيح ما جاء في حديثي البخاري (1386، 7047) من أن النـبي ﷺ رأى الخليل في الجنة وحوله كل مولود ولد على الفطـرة من أولاد النـاس، فقيـل: يا رسـول الله؛ وأولاد المشركين؟؛ فقال: (وأولاد المشركين)

[2] (?) ضـعيف.. رواه أحمد (6/ـ 208) بلفـظ: (أسـمعتك تضـاغيهم).. وفي سـنده ضعيف ومجهولة لا تعرف، وقال عنه الألباني في الضعيفة (3898): موضوع.

في إخبـاره عنه أنه لا يـؤمن، وأمـره مع ذلك أن يـؤمن، ولا يجتمع الإيمان والعلم بأنه لا يكون ولا يقْدِر على أن يؤمن، وأن يعلم أنه لا يؤمن.. وإذا كان هذا هكذا، فقد أمر الله - سبحانه - أبا لهب بما لا يقدر عليه؛ لأنه أمره أن يؤمن، وأنه يعلم أنه لا يؤمن.

ويقال لهم: أليس أمرُ الله عز وجل بالإيمــان مِن عِلْم أنه لا يؤمن؟؛ فمن قولهم نعم.. يقال لهم: فـأنتم قـادرون على الإيمـان، ويتأتى لكم ذلك.

فـإن قـالوا: لا، وافقونـا.. وإن قـالوا: نعم، زعمـوا أن العبـاد يقدرون على الخروج من علم الله؛ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

الرد على المعتزلة:

ويقال لهم: أليس المجـوس أثبتـوا أن الشـيطان يَقْـدر على الشر الذي لا يقدر الله عز وجل عليه، فكانوا بقولهم هذا كافرين؟؛ فلا بد من نعم.

يقـال لهم: فـإذا زعمتم أن الكـافرين يقـدرون على الكفـر، والله تعــالى لا يقــدر عليه فقد زدتم على المجــوس في قــولكم؛ لأنكم تقولون معهم: إن الشيطان يقـدر على الشـر، والله لا يقـدر عليه، وهذا ما بيّنه الخبر عن الرسول ، وأن القدرية مجوس هـذه الأمة[1]، وإنما صــاروا مجــوس هــذه الأمــة؛ لأنهم قــالوا بقــول المجوس.

مســــألة:

وزعمت القدرية أنا نســتحق اسم القَــدَر؛ لأنا نقــول إن الله تعالى قدَّر الشر والكفر، فمن يُثبت القـدر كـان قـدريًّا دون من لم يثبته.

يقال لهم: القدَري، هـو: من يُثبت القـدر لنفسه دون ربه عز وجل، وأنه - القــدري - يُقَدِّر أفعاله دون خالقــه، وكـــذلك هو في اللغة؛ لأن الصائغ: هو من زعم أنه يصوغ دون من يـزعم أنه يُصاغ له، والنجّـار: هو من يضـيف النجـارة إلى نفسه دون من يـزعم أنه يُنجرُ له.

فلما كنتم تزعمــــون أنكم تقـــدِّرون أعمـــالكم وتفعلونها دون ربكم، وجب أن تكونوا (قدرية)، ولم نكن نحن قدرية؛ لأنا لم نضف الأعمال إلى أنفسـنا دون ربنا ، ولم نقل إنا نقـدِّرها دونـه، وقلنـا: إنها تُقدّر لنا.

ويقـال لهم: إذا كـان من أثبت التقـدير لله عز ودل قـدريًّا، فيلزمكم إذا زعمتم أن الله تعالى قـدّر السـماوات والأرض، وقـدّر

[1] (?) سبق تخريجه.

الطاعات أن تكونوا (قدريـة)، فـإذا لم يلـزم هـذا فقد بطل قـولكم وانتقض كلامكم.

مسألة في الختـم:

يقـــال لهم: أليس قد قـــال الله تعـــالى: **﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾** [البقـرة : 7]، وقـال تعـالى: **﴿فمن يـرد اله ان يهديه يشـرح صـدره للإسـلام ومن يـرد ان يضـله يجعل صـدره ضـيقًا حرجًا﴾** [الأنعـام :125]، فخبِّرونا عن الـذين ختم الله على قلـوبهم وعلى سمعهم، أتزعمون أنه هداهم وشرح للإسلام صدورهم وأضلهم؟.

فإن قـالوا: نعم، تنـاقض قـولهم.. **وقيل لهم:** كيف تكـون الصدور مشروحة للإيمان، وهي ضيقة حرجة مختـوم عليهـا، وكيف يجتمع الفعل الـــذي قـــال الله عز وجل: **﴿أم على قلـــوب أقفالها﴾** [محمد :47] مع الشـرح، والضـيق مع السـعة، والهـدى مع الضلال؟.

إن كـان هـذا، جـاز أن يجتمع التوحيد والإلحـاد الـذي هو ضد التوحيد، والكفر والإيمان معًا في قلبٍ واحـد، وإن لم يجز هـذا، لم يجز ما قلتموه.

فـإن قـالوا: الختم والضـيق والضـلال لا يجـوز أن يجتمع مع شرح الله الصدر.. **قيل لهم**: وكذلك الهـدى لا يجتمع مع الضـلال، وإذا كان هذا هكذا فما شرح الله صدور الكافرين للإيمـان، بل ختم الله على قلوبهم وأقفلها عن الحق، وشدّ عليهـا، كما دعا نـبي الله موسى عليه الســـلام على قومه فقـــال: **﴿ربنا اطمس على أمـوالهم واشـدد على قلـوبهم فلا يؤمنـوا حـتى يـروا العذاب الأليم﴾** [يونس :88]؛ وقد قال الله تعالى: **﴿قد أجيبت دعوتكما﴾** [يـونس :89]، وقـال يخـبر عن الكـافرين إنهم قـالوا: **﴿قلوبنا في أكنة مما تـــدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجـاب﴾** [فصـلت :5]، فــإذا خلق الله الأكنّة في قلوبهم والقفـل؛ والزيغ لأن الله تعـالى قـال: **﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلـوبهم﴾** [الصف :5] والختم وضـيق الصـدر، ثم أمـرهم بالإيمان الـذي عَلِم أنه لا يكـون، فقد أمـرهم بما لا يقـدرون عليـه، وإذا خلق الله في قلـوبهم ما ذكرنا من الضـيق عن الإيمـان، فهل الضيق عن الإيمان إلا الكفر الذي في قلـوبهم؟ وهـذا يـبين أن الله خلق كفرهم ومعاصيهم.

مســألة:

ويقـال لهم: قـال الله تعـالى لنبيه ﷺ : **﴿ولـولا أن ثبتنـاك لقد كـدت تـركن إليهم شـيئًا قليلًا﴾** [الإسـراء :74]، وقـال

تعالى يخـبر عن يوسف عليه السـلام: ﴿ولقد همت به وهم بها لـولا أن رأى برهـان ربه﴾ [يوسف :24]، فحـدِّثونا عن ذلك التثــبيت والبرهـــان، هل فعله الله عز وجل بالكـــافرين، أو ما هو مثله؟.

فإن قالوا: (لا)؛ تَركـوا القـول بالقـدر.. **وإن قـالوا:** (نعم) قيل لهم: فإذا كان لم يركن إليهم من أجل التثبيت، فيجب لو كـان فعل ذلك بالكـافرين أن لا يثبتـوا على الكفـر، وإذا لم يكونـوا عن الكفر مفترقين فقد بطل أن يكون فعل بهم مثل ما فعله بـالنبي ﷺ من التثبيت الذي لمّا فعله الله به لم يركن إلى الكافرين.

مسألة في الاستثناء:

ويقال لهم: خبِّرونا عن مطالبة رجل بحق فقـال لـه: (والله لأعطينك ذلك غدا إن شاء الله تعـالى)، أليس الله شـائيًا أن يعطيه حقه؟.

فمن قـولهم: نعم.. **يقـال لهم**: أفـرأيتم إن جـاء الغد فلم يعطه حقه، أليس لا يحنث؟ فلا بد من نعم.

يقـال لهم: فلو كـان الله شـاء أن يعطيه حقه لحنث إذا لم يعطـه، كما لو قـال: (والله لأعطينك حقك إذا طلع الفجر غـدًا)، ثم طلع ولم يعطه أنه يكون حانثًا.

مسألة في الآجال:

يقال لهم: أليس قد قال الله تعالى: ﴿فإذا جـاء أجلهم لا يستأخرون سـاعة ولا يسـتقدمون﴾ [الأعـراف :34]، وقـال تعالى: ﴿ولن يؤخر الله نفسًـا إذا جـاء أجلها﴾ [المنـافقون : 11]؟؛ فلا بد من نعم.

يقال لهم: خبرونا عمن قتله قاتـلٌ ظلمًـا، أتزعمـون أنه قتل في أجَلِه أو بِأجَله؟.

فإن قالوا: نعم، وافقوا وقالوا بالحق وتَركِ القدر.

وإن قالوا: لا.. **قيل لهم:** فمـتى أجل هـذا المقتـول؟ فـإن قالوا: الوقت الـذي عَلِم الله أنه لو لم يقتل لـتزوج امـرأة علِم أنها امرأته، وإن لم يبلغ إلى أن يتزوجهـا، وإذا كـان في معلـوم الله أنه لو لم يقتل وبقي لكفر أن تكون النار داره.

وإذا لم يجز هذا لم يجز أن يكون الوقت الذي لم يبلغ إليه أجلًا له، على أن هذا القولَ مقيِّدٌ لقول الله تعالى: ﴿فإذا جـاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ [الأعراف :34].

مسألة أخرى:

ويقال لهم: إذا كان القاتل عندكم قادرًا على أن لا يقتل هذا المقتول فيعيش، فهو قادر على قطع أجله وتقديمه قبل أجله، وهو قادر على تأخيره إلى أجله، فالإنسـان على قـولكم يَقْـدر أن يقـدم





آجـال العبـاد ويؤخرهـا، ويقـدر أن يُبقي العبـاد ويُبلِّغهم ويُخـرج أرواحهم، وهذا إلحاد في الدين.

مسألة في الأرزاق:

ويقـال لهم: خبِّرونا عمن اغتصب طعامًا فأكله حرامًـا، هل رزقه الله ذلك الحرام؟

فإن قـالوا: نعم، تركـوا القـدر.. وإن قـالوا: لا.. قيل لهم: فمن أكل جميع عمره الحرام، فما رزقه الله شيئًا اغتذى به جسمه.

ويقال لهم: فإذا كان غيره يغتصب له ذلك الطعـام ويُطعمه إياه إلى أن مات، فرازق هذا الإنسان عنـدكم غـير اللـه، وفي هـذا إقرار منهم أن للخلق رازقين: أحدهما يـرزق الحلال، والآخر يـرزق الحرام، وأن الناس تنبت لحومهم وتشتدّ عظامهم، والله غير رازق لهم ما اغتذوا به.

وإذا قلتم: إن الله لم يرزقه الحـرام، لـزمكم أن الله لم يغذِّه به، ولا جعله قَوَامًا لجسمه، وأن لحمه وجسمه قـام وعظمه اشـتد بغـير الله عز وجل وهو ممن رزقه الحـرام، وهـذا كفر عظيم إن احتملوا[1].

ويقال لهم: لمَ أبيتم أن يَرزق الله الحرام؟ فـإن قـالوا: لأنه لو رَزَق الحرام لمَلَك الحرام.. يقـال لهم: خبرونا عن الطفل الـذي يتغـذى من لبن أمـه، وعن البهيمة الـتي تـرعى الحشـيش، من يرزقهما ذلـك؟ فـإن قـالوا: الله تعـالى.. قيل لهم: فمن ملّكهمـا؟ وهل للبهيمة مِلـك؟؛ فـإن قـالوا: لا.. قيل لهم: فلم زعمتم أنه لو رَزَق الحرام لمَلك الحرام، وقد يرزق الله الشيء ولا يُمَلِّكه؟.

ويقال لهم: هل أقدر الله العبد علي الحرام ولم يملِّكْه إياه؟ فمن قولهم: نعم.. يقال لهم: فما أنكرتم أن يرزقه الحرام، وإن لم يملِّكه إياه.

مسألة أخرى:

يقـال لهم: إذا كـان توفيق المؤمـنين باللـه، فما أنكـرتم أن يكون خذلان الكافرين من قِبَل الله تعالى، وإلا فإن زعمتم أن الله وفّق الكافرين للإيمان فقولوا عصمهم من الكفـر، وكيف يعصـمهم من الكفر وقد وقع الكفر منهم؟.

فإن أثبتـوا أن الله خـذلهم، قيل لهم: فالخـذلان من الله أليس هو الكفر الذي خلقه فيهم؟ فإن قالوا: نعم، وافقوا.

---

[1](?) يعني: عدُّوا ذلك أمر محتملًا وواردًا

وإن قـالوا: لا.. قيل لهم: فما ذلك الخـذلان الـذي خلقـه؟ فـإن قالوا: تخليته إياهم والكفر.. قيل لهم: أو ليس من قــولكم: إن الله ﻷ خلّى بين المؤمنين وبين الكفر؟.

فمن قـولهم: نعم.. قيل لهم: فـإذا كـان الخـذلان التخلية بينهم وبين الكفر، فقد لزمكم أن يكـون خـذل المؤمـنين؛ لأنه خلّى بينهم وبين الكفــر، وهــذا خــروج عن الــدين، فلا بد لهم أن يثبتــوا لهم الخذلان الكفر الذي خلقه فيتركوا القول بالقدر.

مسألة أخرى:

إن سـأل سـائل مِن أهل القـدر، فقـال: هل يخلو العبد من أن يكــون بين نعمة يجب عليه أن يشــكر الله عليهــا، أو بليَّة يجب عليه الصبر عليها؟.

قيل له: العبد لا يخلو من نعمة وبليّـــة، والنعمة يجب على العبد أن يشكر الله عليها، والبلايا على ضربين: منها ما يجب الصبر عليها كـالأمراض والأسـقام وما أشـبه ذلـك.. ومنها ما يجب عليه الإقلاع عنها كالكفر والمعاصي.

مسألة: وإن سألوا فقالوا: أيهما خيرٌ، الخيرُ أو مَن الخير منه؟؛ قيل لهم: من كان الخير متفضَّلًا به فهو خير من الخير.
فإن قالوا: فأيهما شرٌّ، الشرُ أو مَن الشر منه؟.. **قيل لهم:** من كان الشرُّ منه جائزًا به فهو أشرّ من الشر، والله تعـالى يكـون منه الشر خلقًا، وهو عادل به، ولـذلك لا يلزمنا ما سـألتم عنه على أنكم ناقضون لأصولكم؛ لأنه إن كـان مَن كـان الشر منه فهو أشـرّ من الشــر، وقد خلق الله تعـالى إبليس الـذي هو أشـرّ من الشـرّ الذي يكون منه، فقد خلق ما هو أشر من الشرور كلها، وهذا نقض دينكم وفساد مذهبكم.

مسألة في الهدى:

يقـــال للمعتزلة: أليس قد قـــال الله تعـــالى: ﴿**الم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين**﴾ [البقـرة :1-2] فـأخبر أن القرآن هدى للمتقين؟ فلا بد من نعم.

يقـــال لهم: أو ليس قد ذكر الله عز وجل القـــرآن فقـــال: ﴿**والــذين لا يؤمنــون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى**﴾ [فصـلت :44] فأخبر أن القــرآن على الكـافرين عمى؟ فلا بد من نعم.

يقـال لهم: فهل يجـوز أن يكـون مَن أخـبر الله عز وجل أن القرآن له هدى وهو عليه عمى؟ فلا بد من لا.

يقـال لهم: فكما لا يجـوز أن يكـون القـرآن عمى على من أخبر الله تعالى أنه له هدى، كذلك لا يجوز أن يكـون القـرآن هـدى لمن أخبر الله أنه عليه عمى.

ثم يقال لهم: إذا جاز أن يكون دعـاء الله إلى الإيمـان هـدى لمن قَبِل ولمن لم يقبل، فما أنكرتم دعاء إبليس إلى الكفر إضـلالًا لمن قبل ولمن لم يقبل، فـإن كـان دعـاء إبليس إلى الكفر إضـلالًا للكافرين الذين قبِلوا عنه، دون المؤمنين الذين لم يقبلوا عنـه، فما

أنكرتم أن دعاء الله تعالى إلى الإيمان هدى للمؤمنين الـذين قَبِلـوا عنه، دون الكافرين الذين لم يقبلـوا عنـه، وإلا فما الفـرق بين هـذا وذلك؟

ويقــال لهم: أليس قــال الله تعــالى: ﴿**يضل به كثــيرًا ويهـدي به كثـيرًا**﴾ [البقـرة :26] فهل يـدل قولـه: ﴿**يضل به كثـيرًا**﴾على أنه لم يضل الكـلّ؛ لأنه لو أراد الكـلَّ لقـال: يضل به الكلَّ، فلما قال: ﴿**يضل به كثيرًا**﴾علمنا أنه لم يضلّ الكــلَّ؟.. فلا بد من نعم.

يقال لهم: فما أنكرتم أن قوله تعالى: ﴿**ويهدي به كثيرًا**﴾ دليل على أنه لم يُـرد الكــل؛ لأنه لو أراد الكل لقــال: ويهــدي به الكـلَّ، فلما قـال تعـالى: ﴿**ويهـدي به كثـيرًا**﴾ علمنا أنه لم يهد الكلَّ، وفي هذا إبطال قولكم: إن الله هدى الخلق أجمعين.

ويقـــال لهم: إذا قلتم إن دعـــاء الله إلى الإيمـــان هـــدى للكافرين الذين لم يَقبلوا عن الله أمره، فما أنكرتم أن يكون دعاء الله إلى الإيمان نفعًا وصلاحًا وتسـديدًا للكـافرين الـذين لم يقبلـوا عن الله أمره، وما أنكرتم أن يكـون عصـمة لهم من الكفر وإن لم يكونــوا من الكفر معتصــمين، وأن يكــون توفيقًا للإيمــان وإن لم يُوَفَّقوا للإيمان، وفي هذا ما يجب أن الله سدّد الكافرين وأصلحهم وعصمهم ووفقهم للإيمان وإن كانوا كافرين، وهذا ما لا يجــوز؛ لأن الكافرين مخذولون.

وكيف يكونون مُوَفَّقِين للإيمان وهم مخذولون؟

فإن جاز أن يكون الكافر موفَّقًا للإيمان، فما أنكـرتم أن يكـون الإيمان له متفقًا؟، فـإن اسـتحال هـذا، فما أنكـرتم أن يسـتحيل ما قلتموه؟.

مسألة في الضلال:

يقـال لهم: أضل الله تعـالى الكـافرين عن الإيمـان، أو عن الكفر؟

فـإن قـالوا: عن الكفـر.. قيل لهم: فكيف يكونـون ضـالين عن الكفر ذاهبين عنه، وهم كافرون؟.. وإن قالوا: أضلهم عن الإيمــان، تركوا قولهم.

وإن قالوا: نقول: إن الله أضلهم، ولم يضلهم عن شــيء.. قيل لهم: ما الفرق بينكم وبين من قال: إن الله هـدى المؤمـنين لا إلى شيء؟؛ فإن استحال أن يهدي المؤمنين لا إلى الإيمان، فما أنكرتم من أنه محال أن يضل الكافرين لا إلى الإيمان؟.

ويقــال لهم: ما معــنى قــول الله تعــالى: ﴿**ويضل الله الظالمين**﴾ [إبراهيم :27]؟ فإن قـالوا: معـنى ذلك أنه يسـميهم ضالين، ويحكم عليهم بالضلال.

قيل لهم: أليس خـاطب الله العـرب بلغتهم فقـال: ﴿**بلسـان عــربي مــبين**﴾ [الشــعراء :195] وقــال: ﴿**وما أرســلنا من رسول إلا بلسان قومه**﴾ [إبراهيم :4].. فلا بد من نعم.

يقال لهم: وإذا كان الله عز وجل أنزل القرآن بلسـان العـرب، فمن أين وجدتم في لغة العرب أن يقال: أضل فلان فلانًا أي سمّاه ضالًا؟.

فإن قالوا وجدنا القائل يقول: إذا قال رجل لرجل ضـالٍّ قد ضللتَ.. **قيل لهم**: قد وجدنا القائل: ضلّل فلان فلانًا أنه سماه ضالًا، ولم نجدهم يقولون: أضل فلان فلانا بهذا المعـنى، فلما قـال الله تعالى: ﴿**ويضل الله الظالمين**﴾ [إبــراهيم :27] لم يجز أن يكــون معــنى ذلك الاسم، والحكم إذا لم يجز في لغة العــرب أن يقـال: (أضل فلان فلانًـا، بـأن سـماه ضـالًا) بطل تـأويلكم، إذ كـان خلاف لسان العرب.

ويقال لهم: إذا قلتم: إن الله أضل الكـافرين بـأن سـماهم: (ضــالّين)، وليس ذلك في اللغة على ما ادعيتمــوه، فيلــزمكم إذا سمى النبي ﷺ قومًا ضالين فاسدين، بأن يكون قد أضلهم وأفسدهم بـأن سـماهم: ضـالين فاسـدين، وإذا لم يجز هـذا بطل أن يكـون معـنى: ﴿**ويضل الله الظالمين**﴾ [إبــراهيم :27] الاسم والحكم كما ادعيتم.

ويقال لهم: أليس قد قال الله تعالى: ﴿**من يهدِ الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا**﴾ [الكهف: 17]، وقال تعـالى: ﴿**كيف يهـدي الله قومًا كفـروا بعد إيمـانهم**﴾ [آل عمران :86] فـذكر أنه يهـديهم، وقـال تعـالى: ﴿**والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشـاء إلى صـراط مسـتقيم**﴾ [يــونس :25] فجعل الـدعاء عامًا والهـدى خاصًـا، وقـال تعـالى: ﴿**والله لا يهدي القوم الكافرين**﴾ [البقـرة :264] فـإذا أخـبر الله عز وجل أنه لا يهـدي القـوم الكـافرين، فكيف يجـوز لقائل أن يقول: إنه هدى الكافرين مع إخباره أنه لا يهديهم، ومع قوله تعالى: ﴿**إنك لا تهــدي من أحببت ولكن الله يهــدي من يشــاء**﴾ [القصص :56]، ومع قوله تعـالى: ﴿**ليس عليك هـداهم ولكن الله يهدي من يشاء**﴾ [البقـرة :272]، ومع قوله تعـالى: ﴿**ولا شئنا لآتينا كل نفس هداها**﴾ [السجدة :13]؟.

وإن جاز هـذا جـاز أن يقـال: أضل المؤمـنين، مع قوله تعـالى: ﴿ومن يهد الله فهو المهتد﴾ [الإســـراء :97]، ومع قولـــه: ﴿هدى للمتقين﴾ [البقرة :2]، فإن لم يكن ذلك، فما أنكرتم أنه لا يجــوز أن يهــدي الكــافرين مع قوله تعــالى:﴿والله لا يهــدي القــوم الكــافرين﴾ [البقــرة :264] ومع ســائر الآيــات الــتي طالبناكم بها.

ويقال لهم: أليس قد قال الله تعالى: ﴿**أفـرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سـمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة**﴾ [الجاثية :23]؟.. فلا بد من نعم.

يقـال لهم: فأضـلهم ليَضـلوا أو ليهتـدوا؟ فـإن قـالوا: أضـلهم ليهتدوا.. قيل لهم: وكيف يجوز أن يضـلهم ليهتـدوا.. وإن جـاز هـذا جاز أن يهديهم ليضلوا، وإذا لم يجز أن يهدي المؤمنين ليضلوا، فما أنكرتم من أنه لا يجوز أن يضل الكافرين ليهتدوا.

ويقال لهم: إذا زعمتم أن الله هـدى الكـافرين فلم يهتـدوا، فما أنكــرتم أن ينفعهم فلا ينتفعــون، وأن يصــلحهم فلا ينصــلحون، وإذا جاز أن ينفع من لا ينتفع بنفعه؛ فما أنكــرتم من أن يضر من لا تلحقه المضـرة، فـإن كـان لا يضر إلا من يلحقه الضـرر فكـذلك لا ينفع إلا منتفعًا، ولو جاز أن ينفع من ليس منتفعًا، ويهــدي من ليس مهتديًا؛ جاز أن يُقدِر مَن ليس مقتـدرًا، وإذا اسـتحال ذلك اسـتحال أن ينفع من ليس منتفعًا، ويهدي من ليس مهتديًا.

مسألة يسألون عنها:

يقولون: أليس قد قال الله تعالى: ﴿**شـهر رمضـان الـذي أنــزل فيه القــرآن هــدى للنــاس وبينــات من الهــدى والفرقان**﴾ [البقــرة :185] فما أنكــرتم أن يكــون القــرآن هـدى للكافرين والمؤمنين؟.

قيل لهم: الآية خاصـة؛ لأن الله تعـالى قد بين لنا أنه (هـدى للمتقين) [البقـرة: 2]، وأخبرنا أنه (لا يهـدي الكـافرين) [إبـراهيم: 107]، والقــرآن لا يتنــاقض، فــوجب أن يكــون قولــه: ﴿**هــدى للناس**﴾ [البقرة :185] أراد: المؤمنين دون الكافرين.

فإن قال قائل: أليس قد قال الله تعــالى: ﴿**إنما تنذر من اتبع الـذكر**﴾ [يس :11]، وقـال تعـالى: ﴿**إنما أنت منـذر من يخشاها**﴾ [النازعات :45]، وقد أنذر النـبي ﷺ من اتبع الـذكر ومن لم يتبع، ومن خشي ومن لم يخش؟.. قيل له: نعم.

فــإن قــالوا: فما أنكــرتم أن يكــون قوله تعــالى: ﴿**هــدى للمتقين**﴾ [البقــرة :2] أراد به: هـدى لهم ولغـيرهم؟.. قيل لهم:




إن معنى قول الله تعـالى: ﴿إنما تنـذر من اتبع الـذكر﴾ [يس : 11] إنما أراد به: ينتفع بإنذارك من اتبع الذكر، وقوله تعالى: ﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾ [النازعـات :45] أراد: أن الإنـذار يَنتفِعُ به من يخشى الساعة ويخاف العقوبة فيها، على أن الله تعـالى قد أخـبر في موضع آخر من القـرآن أنه أنـذر الكـافرين، فقـال: ﴿إن الـذين كفـروا سـواء عليهم أأنـذرتهم أم لم تنـذرهم لا يؤمنون﴾ [البقرة :6] وهذا هو خـبر عن الكـافرين، وقـال تعـالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشـعراء :214]، وقـال تعـالى: ﴿أنـذرتكم صـاعقة مثل صـاعقة عـاد وثمـود﴾ [فصـلت : 13] وهذا خطاب للكافرين.

فلما أخبر الله تعالى في آيات من القـرآن أنه أنـذر الكـافرين، كما أخبر في آيات من القرآن أنه أنذر من يخشـاها، وأنـذر من اتبع الـذكر؛ وجب بـالقرآن أن الله قد أنـذر المؤمـنين والكـافرين، فلما أخبرنا الله أنه هـدىً للمتقين وعمىً على الكـافرين، وأخبرنا أنه لا يهـدي الكـافرين؛ وجب أن يكـون القـرآن هـدى للمتقين دون الكافرين.

مسألة:

وإن سـأل سـائل عن قـول الله تعـالى: ﴿وأما ثمـود فهـديناهم فاسـتحبوا العمى على الهـدى﴾ [فصـلت : 17] فقـال: أليس ثمـود كـانوا كـافرين وقد أخـبر الله تعـالى أنه هداهم.

قيل له: ليس الأمر كما ظننت.. والجواب في هـذه الآية على وجهين:

أحدهما: أن ثمود كانوا فريقين كـافرين ومؤمـنين وهم الـذين أخـبر الله أنه نجـاهم مع صـالح عليه السـلام بقوله تعـالى: ﴿نجينا صالحًا والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ [هود :66] فالذين عنى الله عز وجل من ثمود أنه هـداهم، هم: المؤمنـون دون الكـافرين؛ لأن الله تعـالى قد بيّن لنا في القـرآن أنه لا يهـدى الكـافرين، والقرآن لا يتناقض، بل يصـدِّقُ بعضه بعضًـا، فـإذا أخبرنا في موضع أنه لا يهدي الكافرين، ثم أخبر في موضع آخر أنه هَدى ثمود، علِمنا أنه إنما أراد المؤمنين من ثمود دون الكافرين.

والوجه الآخـر: أن الله عز وجل عـنى قومًا من ثمـود كـانوا مؤمنين ثم ارتدوا، فأخبر أنه تعـالى هـداهم، فاسـتحبوا بعد الهداية الكفر على الإيمان، وكانوا في حال ما هداهم مؤمنين.

فإن قال قائل معترضًا في الجواب الأول: كيف يجوز أن يقول: (فهديناهم) ويعني: المؤمنين من ثمود، ويقول: (فاستحبوا) يعني: الكافرين منهم وهم غير مؤمنين؟ يقال له: هذا جائز في اللغة التي ورد بها القرآن أن يقول: (فهديناهم) ويعني المؤمنين من ثمود، ويقول: (فاستحبوا) ويعني: الكافرين منهم، وقد ورد القران بمثل هذا، قال الله تعالى: **﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾** [الأنفال: 33] يعني: الكافرين، ثم قال تعالى: **﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾** [الأنفال: 33] يعني: المؤمنين، ثم قال تعالى: **﴿وما لهم ألا يعذبهم الله﴾** [الأنفال :34] يعني: الكافرين، ولا خلاف عند أهل اللغة في جواز الخطاب بهذا، أن يكون ظاهره لجنس، والمراد به: جنسان، فبطل ما اعترض به المعترض ودل على جهله.



الباب التاسع
ذكر الروايات في القَدَر

روَى معاوية بن عمـرو، ثنا زائـدة، قـال: ثنا سـليمان الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسـعود رضي الله عنه، قـال: أخبرنا رسـول الله ﷺ - وهو الصـادق المصدوق -: (إنّ خَلْق أحـدِكم يُجمع في بطن أمه أربعين ليلة، ثم يكون علَقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث اللهُ المَلَكَ، قـال: فيـؤمر بـأربع كلمـات، يقال: اكتب أجلـه، ورزقـه، وعملـه، وشـقي أو سـعيد، ثم ينفخ فيه الروح.. قـال: فـإن أحـدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حـتى ما يكـون بينه وبينها إلا ذراع، فيسـبق عليه الكتـاب فيعمل بعمل أهل النـار فيـدخلها، وإن أحـدكم ليعمل بعمل أهل النـار حـتى ما يكـون بينه وبينها إلا ذراع، فيســبق عليه الكتــــاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)[1]، لا حرمنا الله منها.

وروى معاوية بن عمرو قـال: ثنا زائـدة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريـرة رضي الله عنه عن النـبي ﷺ قـال: (احتج آدمُ وموسى -صلوات الله وسلامه عليهما-؛ فقال موسى عليه السلام: يا آدم أنت الـذي خلقك الله بيـده ونفخ فيك من روحـه، أغـويتَ النـاس وأخـرجتَهم من الجنـة، قـال: فقـال آدمُ عليه السـلام: أنت موسى الـذي اصـطفاك الله بكلماتـه، تلومـني على عمل كتبه الله عليَّ قبل أن يخلق الله السـماوات، قـال: فحج آدم موسـى)[2].. وروى حديث (حج آدم موسـى) مالك عن أبي الزنـاد، عن الأعـرج، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ[3].

وهذا يدل على بطلان قـول القدرية الـذين يقولـون: (إن الله تعالى لا يعلم الشيء حتى يكون)؛ لأن الله تعـالى إذا كتب ذلك وأمر بـــأن يُكتب فلا يُكتب شــيء لا يعلمه - جلّ عن ذلك وتقدَّس - وقال تعالى: ﴿**وما تسـقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين**﴾ [الأنعام :59]، وقال تعـالى: ﴿**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كلٌّ في كتاب مبين**﴾ [هود :6]، وقال تعـالى: ﴿**أحصاه الله ونسـوه**﴾

[1] (?) متفق عليه.. رواه البخاري (3208، 3332، 6594، 7454) ومسلم (2643)

[2] (?) متفق عليه.. أخرجه البخاري (3409، 4736، 4738، 7515) ومسلم (2652)

[3] (?) بسند صحيح.. ينظر الموطأ (2/ 898)





[المجادلة :6]، وقـال تعـالى: ﴿**لقد أحصـاهم وعـدهم عـدًّا**﴾ [مريم :94]، وقال تعالى: ﴿**أحاط بكل شيء علمًا**﴾ [الطلاق : 12] وقـال تعـالى: ﴿**وأحصى كل شـيء عـددًا**﴾ [الجن :28]، وقال تعالى: ﴿**وهو بكل شيء عليم**﴾ [البقرة :29]، فذلك يبين أنه يعلم الأشياء كلها.

وقد أخـــبر الله تعـالى أن الخلق يُبعثـــون ويُحشـــرون، وأن الكـافرين في النـار يُخلّـدون، وأن الأنبيـاء والمؤمـنين في الجنـان يخلّدون، وأن القيامة تقوم ولم تقم القيامة بعـدُ، فـذلك يـدل على أن الله تعالى يعلم ما يكون قبل أن يكون، وقد قال تعالى في أهل النـار: ﴿**ولو رُدُّوا لعادوا لما نهو عنه**﴾ [الأنعـام :28]، فـأخبر عما لا يكـون أنه لو كـان كيف يكـون، وقـال تعـالى: ﴿**فما بـال القـرون الأولى. قـال علمها عند ربي لا يضـلُّ ربي ولا ينسى**﴾ [طه :51ـ 52]، ومن لا يعلم الشيء قبل كونـه، لا يعلم بعد تقضِّيه، تعالى الله عن قول الظالمين علوًّا كبيرًا.

وروى معاوية بن عمرو، قال: ثنا زائدة، عن سـليمان الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن عبد الله بن ربيعـة، قـال: (كنا عند عبد اللـه، قـال: فـذكروا رجلًا فـذكروا من خُلقِـه، فقـال القـوم: أما له مَن يأخذ على يديـه؟ قـال عبد اللـه: أرأيتم لو قُطع رأسه كنتم تسـتطيعون أن تجعلـوا له رأسًـا؟ قـالوا: لا.. قـال عبد اللـه: إن النطفة إذا وقعت في المـرأة مكثت أربعين يومًا، ثم انحدرت دمًـا، ثم تكـون علقة مثل ذلـك، ثم تكـون مضغة مثل ذلك، ثم يُبعثُ مَلَكٌ فيقول: اكتب أجله، وعمله، ورزقه، وأثره، وخلقه، وشقي أو سعيد، وأنكم لن تستطيعوا أن تغيروا خَلْقه حـتى تغيروا خُلُقه)[1].

وروى معاوية بن عمرو، قال: ثنا زائـدة، عن سـعيد بن عبيـدة، عن أبي عبد الرحمن، عن علي رضي الله عنه، قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فـأتى النـبيَّ ﷺ فقعد ونحن حولـه، ومعه مَخْصَـرة فنكت بها ورفع رأســه، فقـــال: (ما منكم من نفس منفوسة إلا قد كُتِبَ مكانُها من الجنة والنـــار، وإلا قد كُتِبَتْ شـــقية أو ســـعيدة) ، فقـال رجل من القـوم: يا رسـول الله أفلا نمكث على كتابنا ونـدع العمـل، فمن كـان منا من أهل السـعادة فسيصـير إلى السـعادة، ومن كـان من أهل الشـقاوة فسيصـير إلى الشـقاوة؟ فقـال ﷺ : (اعملوا فكلٌّ ميسر لما خلق له؛ أما أهل الشقاوة فمُيَسّرون لعمل الشـقاوة، وأما أهل السـعادة فمُيَسّـرون لعمل السـعادة)، ثم قـرأ

[1](?) صـحيح موقـوف أخرجه البخـاري في الأدب المفـرد (283) والطـبراني (9/ 178ـ 8884) ورجاله ثقـات، وهو في الصـحيحين بـدون قصة الـذي ذكـروا مِن خُلقه.

قول الله تعـــــالى: ﴿**فأما من أعطى واتقى. وصـــدق بالحسنى. فسنيسره لليسـرى. وأما من بخل واسـتغنى. وكذب بالحسنى. فسنيسره للعسرى**﴾ [الليل :5- 10][1].

وروى موسى بن إسماعيل قال: ثنا حمـاد، قـال: ثنا هشـام بن عـــروة، عن عـــروة، عن عائشة رضي الله عنها وعن أبويها أن رسول الله ﷺ قال: (إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، وإنه مكتوب في الكتاب من أهل النـار، فـإذا كـان قبل موته تَحـول فعمل بعمل أهل النار، فمات فـدخل النـار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النـار، وأنه مكتـوب في الكتـاب أنه من أهل الجنـة، فـإذا كـان قبل موته تَحول فعمل بعمل أهل الجنة، فمات فدخل الجنة)[2].

وهذه الأحـاديث تـدل على أن الله تعـالى علم ما يكـون أنه يكون وكتبـه، وأنه قد كتب أهل الجنة وأهل النـار، وخلقهم فـريقين فريقًا في الجنة وفريقًا في السـعير، وبـذلك نطق كتابه العزيـز؛ إذ يقول: ﴿**فريقًا هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة**﴾ [الأعــراف :30]، وقال تعـالى: ﴿**فريق في الجنة وفريق في السعير**﴾ [الشورى :7]، وقال تعالى: ﴿**فمنهم شقي وسعيد**﴾ [هود :105] فَخَلَق الله الأشـقياء للشـقاء، والسـعداء للسـعادة،وقـال تعـالى: ﴿**ولقد ذرأنا لجهنم كثــيرًا من الجن والإنس**﴾ [الأعـــراف : 179].. ورُوي عن النبي ﷺ : (إن الله عز وجل جعل للجنة أهلًا وللنار أهلًا)[3]؛ أعاذنا الله منها.

دليل آخــر في القدر: ومما يـدل على بطلان قـول القدريـة: قــول الله تعــالى: ﴿**وإذ أخذ ربك من بــني آدم من ظهــورهم ذريتهم**﴾ [الأعراف :172].

وجــاءت الرواية عن رسـول الله ﷺ : (أن الله عز وجل مسح ظهر آدم فأخرج ذريته من ظهره كأمثـال الـذر، ثم قـرَّرهم بوحدانيته وأقـام الحجة عليهم[4]؛ لأنه قال تعالى: ﴿**وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قـالوا بلى شـهدنا**﴾، قـال الله تعـالى: ﴿**أن تقولـوا يـوم القيامة إنا كنا عن هـــذا غـــافلين**﴾ [الأعـــراف :172].. فجعل تقريرهم بوحدانيته لمّا أخـرجهم من ظهر آدم عليه السـلام حجة عليهم

---

[1] (?) الحديث متفق عليه.. رواه البخاري (1362، 4945- 4948، 6217، 6605، 7552) ومسلم (2647)

[2] (?) صـحيح.. رواه أحمد (6/ـ 107-ـ 108).. وإسـناده صـحيح ورجاله رجـال الصحيح.. وهو بمعناه في البخاري (2643، 6594)

[3] (?) صـحيح رواه مسـلم (2662) وأبو داود (4713) والنسـائي (1946) وابن ماجة في المقدمة

[4] (?) منقطع وله شـواهد.. رواه الترمـذي (3077) والحـاكم (1/ـ 27) وأحمد (1/ 272)، وذكره ابن كثير في تفسير سورة الأعراف ورجح وقفه على ابن عباس

إذا أنكروا في الدنيا ما كانوا عرفوه في الذر الأول، ثم من بعد الإقــرار جحدوه.

وروي عن النبي أنه قال: (إنه سبحانه وتعالى قبض قبضة للجنـة، وقبض قبضة للنار)[1]، فميّز بعضها من بعض، وغلبت الشقوة على أهل الشقوة، والسعادة على أهل السعادة.

قال الله تعالى مخبرًا عن أهل النار - أعاذنا الله منها - أنهم قـالوا: **ربنا غلبت علينا شـــقوتنا وكنا قومًا ضـــالين** [المؤمنـــون : 106].

فكل ذلك أمر قد سـبق في علم الله تعـالى، ونفـذت فيه إرادتـه، وتقدمت فيه مشيئته.

وروى معاوية بن عمرو قال: ثنا زائدة، قال: حدثنا طلحة بن يحـيى القرشـي، قـال: حـدثتني عائشة بنت طلحـة، عن عائشة أم المؤمـنين رضي الله عنها وعن أبويها أن النـــــبي دُعي إلى جِنـــــازةِ غلامٍ من الأنصـار ليصـليَ عليـه، فقـالت عائشة رضي الله عنها: طـوبى لهـذا يا رسـول اللـه، عُصـفورٌ من عصـافير الجنة لم يعمل سـوءًا ولم يدركـه، قال: (أو غير ذلك يا عائشة، إن الله تعالى قد جعل للجنة أهلًا وهم في أصلاب آبائهم، وللنار أهلا جعلهم لها وهم في أصلاب آبائهم)[2].

وهذا يبيِّن أن السعادة قد سبقت لأهلها، والشقاء قد سـبق لأهلـه.. وقال النبي : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)[3].

دليل آخـــــر: وقد قـــال الله تعـــالى: **من يهد الله فهو المهتد ومن يضـــلل فلن تجد له وليًّا مرشـــدًا** [الكهف :17]، وقـال تعـالى: **يضل به كثـيرًا ويهـدي به كثـيرًا** [البقـرة :26]، فأخبر تعالى أنه يضل ويهدي، وقال تعـالى: **ويضل الله الظـالمين ويفعل الله ما يشــاء** [إبـــراهيم :27]، فأخبرنا أنه **فعـال لما يريد** [البروج :16].

وإذا كـان الكفر مما أراده فقد فعلـه، وقـدّره، وأحدثـه، وأنشـأه، واخترعه، وقد تبين ذلك بقوله تعـالى: **قال أتعبـدون ما تنحتـون. والله خلقكم وما تعملون** [الصافات :95- 96] فلو كانت عبادتهم للأصنام من أعمالهم؛ لكان ذلك مخلوقًا لله تعالى، وقد قـال - سـبحانه -: **جــزاء بما كــانوا يعملــون** [الأحقــاف :14] يريد أنه تعــالى يجــازيهم على أعمــالهم، فكـذلك إذا ذكر عبـادَتهم للأصـنام وكفـرَهم بالرحمن، ولو كان مما قدَّروه وفعلوه لأنفسهم لكانوا قد فعلوا وقـدّروا ما خرج عن تقدير ربهم وفعله، وكيف يجـوز أن يكـون لهم من التقـدير

---

[1] (?) صحيح لغيره.. أخرجه وبنحوه أبو يعلى (3422) وابن بطة في الإبانة (240) وابن خزيمة في التوحيد (8).
[2] (?) متفق عليه.. رواه البخاري (1362) ومسلم (2662).
[3] (?) سبق تخريجه.

والفعل والقدرة ما ليس لربهم؟ فمن زعم ذلك فقد عجَّز الله.. تعـالى الله عن قول المعجِّزين له علوًّا كبيرًا.

ألا تـرى أن من زعم أن العبـاد يعلمـون مـالا يعلمه الله عز وجل، لكـان قد أعطـاهم من العلم ما لم يُدخله في علم اللـه، وجعلهم لله نظـراء، فكـذلك من زعم أن العبـاد يفعلـون ويُقـدِّرون ما لم يقـدِّره، ويَقدِرون على ما لم يَقدِر عليـه، فقد جعل لهم من السـلطان والقـدرة والتمكن ما لم يجعله للـرحمن؛ تعـالى عن قـول أهل الـزور والبهتـان، والإفك والطغيان علوًّا كبيرًا.

ويقال لهم: هل فعل الكافر الكفر فاسـدًا بـاطلًا متناقضًـا؟ فـإن قالوا: نعم.

قيل لهم: وكيف يفعله فاسـدًا متناقضًـا قبيحًـا، وهو يعتقـده حسـنًا صحيحًا أفضل الأديان؟ وإذا لم يَجُز ذلـك؛ لأن الفعل لا يكـون فعلًا على حقيقته إلا ممن عَلِمه على ما هو عليه من حقيقتـــه، كما لا يجـــوز أن يكون فعلًا ممن لم يعلمه فعلًا، فقد وجب أن الله تعالى هو الـذي قـدّر الكفر وخلقه كفرًا فاسدًا باطلًا متناقضًا، خلافًا للحق والسداد.

الباب العاشر
الكلام في الشفاعة والخروج من النار

ويقال لهم: قد أجمع المسلمون أن لرسول الله ﷺ شفاعة، فلمن الشفاعة أهي للمذنبين المرتكـبين للكبـــائر، أم للمؤمـنين المخلصين؟.. فإن قالوا: للمذنبين المرتكبين للكبائر وافقوا.

وإن قالوا: للمؤمنين المبشـرين بالجنة الموعـودين بهـا.. قيل لهم: فـإذا كـانوا موعـودين بالجنة وبها مبشَّـرين، والله تعـالى لا يخلف وعـده؛ فما معـنى الشـفاعة لقـوم لا يجـوز عنـدكم أن لا يُـدخلهم الله جناتـه؟[1].. وما معـنى قـولكم أنهم قد اسـتحقوها على الله عز وجل واسـتوجبوها عليــه؟، وإذا كـان الله تعــالى لا يَظلم مثقـال ذرة وكـان تـأخيرهم عن الجنة ظلمًـا، فإنما يشـفع

[1] فالمعتزلة، على: ان مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، وانتقاض التوبة بعودة المذنب للذنب، وإنكـار شـفاعة النـبي ﷺ فيمن اسـتحق النـار أن لا يـدخلها، وفيمن دخلها ألا يخـــرج منهـــا.. ينظر شـــرح الـــبيجوري ص227 ،29.. وقد رد الأشعري كل ذلك بالحجة والبرهان

الشـفعاء إلى الله تعـالى في أنٍ لا يُظلم على مـذاهبكم، تعـالى الله عن افترائكم عليه علوا كبيرًا.

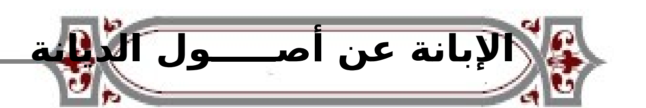
فإن قالوا: يشـفع النـبي إلى الله تعـالى في أن يزيـدهم من فضله، لا في أن يدخلهم جنلته؛ قيل لهم: أو ليس قد وعـدهم الله عز وجل ذلك فقـال تعـالى: ﴿**فيـوفيهم أجـورهم ويزيـدهم من فضـله**﴾ [النسـاء :173] والله تعـالى لا يخلف وعده، فإنما يشفع إلى الله تعالى عندكم في أن لا يُخلِف وعده.

وهـذا جهل منكم، وإنما الشـفاعة المعقولة فيمن اسـتحقه[1] عقابًا: أن يُوضع عنه عقابـه، أو في من لم يَعِـدْه شـيئًا أن يتفضل عليه به، فأما إذا كان للوعد بالتفضل سابقًا فلا وجه لهذا.

مسـألة:

فإن سألوا عن قول الله تعالى: ﴿**ولا يشـفعون إلا لمن ارتضى**﴾ [الأنبياء :28].

[1] (?) أي: الوعد، وهو يعني به هنا: الوعيد.

فالجواب عن ذلك: إلا لمن ارتضى لمن يشفعون له، وقد روي أن شفاعة النبي لأهل الكبائر[1]، وروي عن النبي : (أن المذنبين يخرجون من النار)[2].

الباب الحادي عشر
الكلام في الحوض

[1] (?) صحيح.. أخرجه أبو داود (4739) وأحمد (3/ 213) والحاكم (1/ 139، 140) والبيهقي (10/ 190) والترمذي (2435) وابن حبان (6468) عن أنس مرفوعًا: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

وبنحوٍ مما أجاب الأشعري به هنا في الشفاعة وذكر الحوض والصراط وعذاب القبرِ ونحو ذلك، أجاب في (مقالات الإسلاميين) حيث حكا عن (جماعة أهل السنة وأصحاب الحديث):

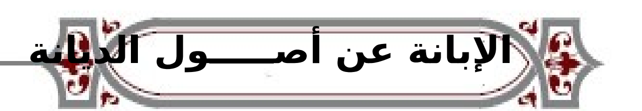
أنهم "لا يُكَفِّرون أحدًا من أهل القبلة بذنب يرتكبه.. وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر، والإيمان عندهم هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وما أصابهم لم يكن ليخطئهم، والإسلام هو أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأنهم يقرُّون بأن الله مقلب القلوب، ويقرُّون بشفاعة الرسول وأنها لأهل الكبائر من أمته، وبعذاب القبر، وأن الحوض والصراط والبعث حق، والمحاسبة من الله للعباد حق، والوقوف بين يديه حق.. ويقرون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار، ويقولون: أمرُهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، ويؤمنون بأنه سبحانه يُخرج قومًا من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات".

ونقل إجماعهم أيضًا في (رسالة أهل الثغر)، فقال في الإجماع التاسع والثلاثين وحتى الإجماع الثالث والأربعين ما نصه: "وأجمعوا على أن عذاب القبر حق، وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يَحْيَون فيها ويُسألون، فيثبِّت الله من أحب تثبيته، وأنهم لا يذوقون ألم الموت كما قال تعالى: **لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى** [الدخان :56].. وأن الصراط جسر ممدود على جهم يجوز عليه العباد بقدر أعمالهم، وأنهم يتفاوتون في السرعة والإبطاء على قدر ذلك.. وعلى أن الله يُخرج من النار مَن في قلبه شيء من الإيمان بعد الانتقام منه.. وعلى أن شفاعة النبي لأهل الكبائر من أمته، وعلى أنه يُخرج من النار قومًا من أمته بعدما صاروا حممًا، فيُطرحون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، وعلى أن لرسول الله حوضًا يوم القيامة تَرِدُه أمته لا يظمأ مَن شرب منه، ويُذاد عنه من بدّل وغيّر بعده" إ.هـ.

وإنما تأتي أهمية كل ذلك في الرد على من فُتنوا في زماننا بفتنة أهل البدع وعلى رأسهم فرقة الخوارج، كجماعة الإخوان وما يتفرع منها ويخرج من تحت عباءتها من الدواعش وشباب محمد والقاعدة والنُصرة وما شابه ممن يسفكون الدماء المعصومة لأسباب تفوق في فظاعتها ما ادعاه الخوارج من التكفير







وأنكرت المعتزلة الحوض، وقد روي عن النبي من وجوه كثيرة، وروي عن أصحابه رضي الله عنهم أجمعين بلا خلاف.

ورَوَي عفان، قال: ثنا حماد بن مسـلمة، عن علي بن زيـد، عن الحســن، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه ذُكر الحـــوض عند عُبيد الله بن زياد فأنكره، فبلغ أنَسًا ¢ فقـال: لا جـرم والله لأفعلن بــه، قــال: فأتــاه فقــال: ما ذكــرتم من الحــوض، ما أنكــرتم من الحوض، قال عبيد الله: هل سمعت النبي يـذكره؟ قـال: سـمعت النبي أكثر من كذا مرة وكذا مـرة يقـول: (ما بين طرفيه - يعـني الحوض - ما بين أيلة ومكة، أو ما بين صنعاء ومكة، وأن آنيته أكـثر من نجوم السماء)[1].. اللهم اسقنا منه شربة لا نظمأ بعدها أبدًا.

وروى أحمد بن عبد الله بن يونس قال: ثنا ابن زائـدة، عن عبد الملك بن عمير عن جندب بن سفيان، قال: سـمعت رسـول الله يقول: (أنا فرطكم على الحوض) في أخبار كثيرة[2].

بالمعصية، والمعتزلة بجعل العصـاة في منزلة بين المنزلـتين، وليس ثمة عنـدهم سوى إهلاك الحرث والنسل وقتل الموحدين وتخـريب ديـار الإسـلام.. واللهم هل بلغنا اللهم فاشهد.

[2] **(?)** وذلك قوله : (إن الله عز وجل يُخرج قوما من النار بعد أن امْتَحَشُـوا فيها وصاروا حممًا).. متفق عليه رواه البخاري (6573) ومسلم (182).

[1] (?) صحيح.. أخرجه أحمد (3/ـ 230) وأبو يعلى (2761) عن أنس مرفوعًـا، وله شاهد من حديث جابر أخرجه الآجري في الشريعة (1/ـ 363)، وآخر من حـديث ثوبـان أخرجه عبد الـرزاق (20852)، وأصـله في الصـحيحين: البخـاري (658) ومسلم (2300، 2303)

[2] (?) اشــتهرت أحــاديث الحــوض وكــثر ذكرها في الصــحيحين وغيرهمــا.. ينظر البخـاري (6575، 6583، 6584، 6589، 6593، 7050، 7051) ومسـلم (2289، 2290، 2297، 2303)




الباب الثاني عشر
الكلام في عذاب القبر

وأنكرت المعتزلة عذاب القبر أعاذنا منه.

وقد روي عن النـبي من وجـوه كثـيرة، وروي عن أصـحابه رضي الله عنهم أجمعين، وما روي عن أحد منهم أنه أنكـره ونفـاه وجحده، فوجب أن يكون إجماعًا من أصحاب النبي .

فقد رَوى أبو بكر بن أبي شـــــيبة قـــــال: ثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن أبي صـالح، عن أبي هريـرة رضي الله عنهه، قـال: قال رسول الله : (تعوذوا بالله من عذاب القبر)[1].

وروى أحمد بن إسحاق الحضـرمي، قـال: ثنا وهيب، قـال: ثنا موسى بن عقبة قـــال: حـــدثتني أم خالد بنت خالد بن ســـعيد بن القاضي ~ أنها سمعت رسول الله : (يتعـوذ من عـذاب القـبر)[2] أعاذنا الله منـــه.. وروى أنس بن مالك رضي الله عنه عن النـبي أنه قـال: (لـولا أن تـدافنوا لسألت الله عز وجل أن يُسـمعَكم من عذاب القبر ما أسمعني)[3].

ومما يبين عذاب الكافرين في القبور: قول الله تعالى: **النار يُعرضـون عليها غـدوًّا وعشـيًّا ويم تقـوم السـاعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** [غافر :46].. فجعل عـذابهم يوم تقوم الساعة بعد عرضهم على النار في الـدنيا غـدوًّا وعشـيًّا.. وقال تعالى: **سنعذبهم مرتين** [التوبة :101] مـرة بالسـيف، ومرة في قبورهم، ثم يردون إلى عذاب غليظ في الآخرة.

وأخـبر الله تعـالى أن الشـهداء في الـدنيا يُرزقـون ويَفرحـون بفضل الله تعالى، قال الله تعـالى: **ولا تحسبن الـذين قتلـوا في ســبيل الله أمواتًا بل أحيـــاء عند ربهم يرزقـــون. فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالـذين لم يلحقوا بهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون** [آل عمران : 169ـ 170] وهذا لا يكون إلا في الدنيا؛ لأن الذين لم يلحقـوا بهم أحياء لم يموتوا ولا قتلوا.

---

[1] (?) صحيح.. وأصله في البخاري (832، 6368، 6375ـ 6377) ومسلم (132، 2867)

[2] (?) صحيح.. وأصله في البخـاري (1376، 6364) ومسـلم (588)، وأحمد (6/ 364، 365)

[3] (?) رواه مسلم (2867، 2868





الباب الثالث عشر
الكلام في إمامة أبي بكر
الصديق رضي الله عنه

قـال الله سـبحانه وتعـالى: **وعد الله الـذين آمنـوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الـذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الـذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونني لا يشـركون بي شـيئًا** [النـور :55]، وقـال تعـالى: **الـذين إن مكنـاهم في الأرض أقـاموا الصـلاة وآتـوا الزكـاة وأمـروا بـالمعروف ونهوا عن المنكر** [الحج :41].

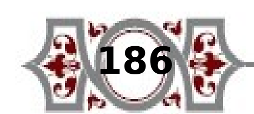
وأثـنى الله تعـالى على المهـاجرين والأنصـار والسـابقين إلى الإسلام، وعلى أهل بيعة الرضوان، ونطق القرآن بمدح المهـاجرين والأنصـار رضي الله عنهم أجمعين في مواضع كثـيرة.. وأثـنى على أهل بيعة الرضـــــوان فقـــــال تعـــــالى: **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** [الفتح :18] الآية.

وقد أجمع هـؤلاء الـذين أثـنى الله عليهم ومـدحهم على إمامة أبي بكر الصـــديق رضي الله عنه وســـموه خليفة رســـول الله وبايعوه وانقادوا له، وأقـروا له بالفضـل، وكـان أفضل الجماعة في جميع الخصـال الـتي يسـتحق بها الإمامة من العلم والزهد وقـوة الرأي، وسياسة الأمة وغير ذلك[1].

دليل آخر من القـرآن على إمامة أبي بكر الصـديق رضي الله عنه:

وقد دلَّ الله تعالى على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في ســورة بــراءة، فقــال تعــالى للقاعــدين عن نصــرة نبيه والمتخلفين عن الخـروج معـه: **فقل لن تخرجـوا معي أبـدًا ولن تقاتلوا معي عدوًّا**[التوبة :83].. وقال تعـالى في سـورة أخـــرى: **ســيقول المخلفــون إذا انطلقتم إلى مغــانم لتأخــذوها ذرون نتبعكم يريــدون ان يبــدلوا كلام الله**

[1] (?) وهذه كلها أمور لا يجحدها إلا كذّاب أشِـر، هو للكفر – بعد إقامة الحجة عليه وإنكارها – أقرب منه للإيمان، كونه على دين غير دين محمد ، وعلى عقيدة غير عقيدة المسلمين.





[الفتح :15] يعني: قوله: ﴿**لن تخرجوا معي أبدًا**﴾ [التوبة :83]، ثم قال تعالى: ﴿**كـذلكم قـال الله من قبـلُ فسـيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلًا**﴾ [الفتح :15].

وقال تعالى: ﴿**قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولوا بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرًا حسنًا وإن تتولوا**﴾ يعـني: تُعرِضـوا عن إجابة الداعي لكم إلى قتالهم ﴿**كما توليتم من قبل يعـذبكم عـذابًا أليمًا**﴾ [الفتح :16].. والداعي لهم إلى ذلك غير النبي ﷺ الذي قـال الله عز وجل له: ﴿**لن تخرجـوا معي أبـدًا ولن تقـاتلوا معي عدوًّا**﴾ [التوبة :83][1].

وقـال تعـالى في سـورة الفتح: ﴿**يريـدون ان يبـدلوا كلام الله**﴾ [الفتح :15] فمنعهم الخـروج مع نبيه ﷺ وجعل خـروجهم معه تبديلًا لكلامه، فوجب بذلك أن الداعي الـذي يـدعوهم إلى القتـال:: داع يدعوهم بعد نبيه ﷺ.

وقد قـال النـاس: هم أهل فـارس، وقـالوا: أهل اليمامـة، فـإن كانوا أهل اليمامة فقد قاتلهم بعد نبيه ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه وإن كـانوا الـروم فقد قـاتلهم الصـديق أيضًـا، وإن كـانوا أهل فارس فقد قوتلـوا في أيـام أبي بكر رضي الله عنه، وقـاتلهم عمر رضي الله عنه من بعده وفرغ منهم.

وإذا وجبت إمامة عمر رضي الله عنـــه، وجبت إمامة أبي بكر رضي الله عنه كما وجبت إمامة عمـر، لأنه العاقد له الإمامـة، فقد دل القـرآن على إمامة الصـديق رضي الله عنه ¢ والفـاروق رضي الله عنه.

وإذا وجبت إمامة أبي بكر رضي الله عنه بعد رســـــول الله ﷺ وجب أنه أفضل المسلمين.

دليل آخر من الإجمـاع على إمامة أبي بكـر: ومما يـدل على إمامة الصـــديق رضي الله عنه أن المســلمين جميعًا بــايعوه وانقـــادوا لإمامته، وقالوا له: (يا خليفة رسـول الله ﷺ).. ورأينا عليا والعبـاس رضي الله عنهما بايعاه رضي الله عنه وأقرا له بالإمامة.

وإذا كـــــانت الرافضة يقولـــــون: إن عليًّا رضي الله عنه هو المنصوص على إمامتـه، والراوندية تقـول: العبـاس هو المنصـوص على إمامته، لم يكن للناس في الإمامة إلا ثلاثة أقوال:

---

[1](?) يعـني: وأبو بكر لم يكن كـذلك البتـة، فلـزم اسـتحقاقه - بضـميمة ما ذكر – للإمامة.

1) من قــال منهم: إن النــبي ﷺ نَصّ على إمامة أبي بكر الصــديق رضي الله عنه، وهو الإمام بعد رسول الله ﷺ.
2) وقول من قال: نص على إمامة علي رضي الله عنه.
3) وقول من قال: الإمام بعده العباس.

وقول من قال: هو أبو بكر الصـديق رضي الله عنه هو بإجمـاع المســـلمين والشـــهادة له بـــذلك.. ثم رأينا عليًّا رضي الله عنه والعباس رضي الله عنه قد بايعاه وأجمعا على إمامتـه، فـوجب أن يكون إمامًا بعد النبي ﷺ بإجماع المسلمين.

ولا يجــوز لقائل أن يقــول كــان بــاطن عليٍّ والعبــاس خلاف ظاهرهمـا، ولو جـاز هـذا لمدعيه لم يصح إجمـاع، وجـاز لقائل أن يقول ذلك في كل إجماع للمسلمين.

وهــذا يُســقط حجة الإجمــاع؛ لأن الله تعــالى لم يتعبــدنا في الإجماع بباطن الناس، وإنما تعبدنا بظاهرهم، وإذا كـان كـذلك فقد حصل الإجمــاع والاتفــاق على إمامة أبي بكر الصــديق رضي الله عنه.

وإذا ثبتت إمامة الصديق رضي الله عنه، ثبتت إمامة الفــاروق؛ لأن الصـــديق رضي الله عنه نص عليه وعقد له الإمامة واختـــاره لها،وكان أفضلهم بعد أبي بكر.

وثبتت إمامة عثمـــان رضي الله عنه بعد عمر رضي الله عنه بعقدِ من عُقِد له الإمامة من أصـحاب الشـورى؛ الـذين نص عليهم عمر رضي الله عنه فاختاروه ورضوا بإمامته، وأجمعوا على فضـله وعدله.

وتثبت إمامة علي رضي الله عنه بعد عثمـــان رضي الله عنه، بعقد من عقـــدها له من الصـــحابة رضي الله عنهم من أهل الحل والعقـد، ولأنه لم يـدَّعِها أحد من أهل الشـورى غـيره في وقته[1]، وقد أجمع على فضله وعدلـه، وأن امتناعه عن دعـوى الأمر لنفسه في وقت الخلفاء قبله كان حقًّا؛ لِعِلمه أن ذلك ليس بـوقت قيامـه، وأنه قلما كـان لنفسه في وقت الخلفـاء قبلـه، ثم لما صـار الأمر، أظهر وأعلن ولم يُقَصِّــر حــتى مضى على السـداد والرشـاد، كما مضى من قبله من الخلفــاء، وأئمة العــدل من الســداد والرشــاد متبعين لكتاب ربهم وسنة نبيهم.

[1](?) أي: لم ينازعه فيها أحد منهم وهم المختــارون من صــفوة الصــحابة، وفي بعض النسخ المخطوطة: (لم يُدعَ أحد.. إلخ)، كونه محل إجماع من أهل الشورى ومن ثم كان الأولى بها دون سواه ک جميعًا.




هـــــؤلاء هم الأئمة الأربعة المجمع على عـــــدلهم وفضلهم رضي الله عنهم أجمعين.

وقد روى شريح بن النعمان قال: ثنا حشرج بن نباته عن سعيد بن جمهان، قال ثني سفينة([1]) قـال: قـال رسـول الله ﷺ : (الخلافة في أمـتي ثلاثـون سـنة، ثم ملك بعد ذلـك)، ثم قـال لي سـفينة: (أمسِـــك خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمـــان، ثم أمسك خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، قال: فوجـدتها ثلاثين سنة)([2]).. فـــــدل ذلك على إمامة الأئمة الأربعة رضي الله عنهم أجمعين.

فأما ما جــــرى من علي والزبـــير وعائشة رضي الله عنهم أجمعين، فإنما كـان على تأويل واجتهـاد، وعليٌّ الإمـام، وكلهم من أهل الاجتهـاد، وقد شـهد لهم النـبي ﷺ بالجنة والشـهادة، فـدل على أنهم كلهم كانوا على حق في اجتهادهم، وكذلك ما جرى بين سيدنا علي ومعاوية رضي الله عنهم، فـــدل على أنه كـــان عن تأويل واجتهاد.

وكل الصحابة أئمة مأمونون غير متهمين في الـدين، وقد أثـنى الله ورسوله على جميعهم، وتُعُبِّدنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم، والتـبري مِن كل مَن يَنتقص أحـدًا منهم رضي الله عنهم أجمعين.. وقد قلنا في الأبرار قولًا وجيزًا، والحمد الله أولًا وآخرًا.

تم كتاب (الإبانة عن أصول الديانة)، ولله الحمد.

وتم تحقيقه على يد العبد الفقـير إلى الله محمد بن محمد بن عبد العليم الدسوقي في صـبيحة يـوم الجمعة في الثـــامن من ذي القعـــدة ســـنة اثنـــتين وأربعين وأربعمائة وألـف، الموافق للثـامن عشر من يونيه لسـنة إحدى وعشرين وألفين

[1]) هو أبو عبد الرحمن وقيل أبو البختري مولى أم سـلمة، وقيـل: مـولى رسـول الله، اختلف في اسمه، فقيل: طهران وقيل: رومان وقيل: عبس

[2] (?) صحيح.. رواه الترمذي (2226، 2227) والنسائي في الكبرى (8155) وأبو داود (4646، 4647) وأحمد (5/ 221)

ثبت بأهم مراجع التحقيق

1) الإبانة لأبي الحسن تحقيق د. فوقية حسين محمود ط1/ 1397 - 1977 دار الأنصار بالقاهرة.
2) الأسماء والصفات للبيهقي ت.فؤاد سراج عبد الغفــار المكتبة التوفيقية بالقاهرة. بدون.
3) الأشــاعرة في مــيزان أهل الســنة لفيصل بن قــزار الجاسم (المبرة الخيرية لعلوم القرآن والسنة) بالكويت ط1، 1428، 2007
4) الإكليل في المتشـابه والتأويل لابن تيميـة. مكتبة أنصـار السـنة المحمدية بالقاهرة ط2/ 1366.
5) تبــيين كــذب المفــتري فيما نسب إلى الإمــام الأشــعري لابن عساكر ط2/ 1391 دار الفكر. دمشق.
6) تفسير القرآن العظيم لابن كثـير مكتبة مصر للطباعة والنشــر. بدون
7) تفنيد أهل السنة والجماعة لمذهب الأشاعرة للسـيد بن أحمد أبو سيف مكتبة السنة ط1/ 1430، 2009
8) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسـانيد لابن عبد الـبر ت شهاب الدين أبو عمرو ط1/ 1423.
9) التوحيد وإثبات صفات الــرب عز وجل لابن خزيمة ت. د. عبد العزيز الشهوان دار الرشد للنشر بالرياض ط1، 1408.
10) الجامع الفريد في متون العقيدة والتوحيد أعداد إسـلام محمد هيبة ط ا مكتبة أولاد الشيخ
11) جمهرة عقائد أئمة السلف جمع محمد محب الدين أبو زيد ط 1/ 1436- 215
12) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل الســنة للأصـبهاني ت. محمد بن محمــــود أبو رحيم دار الراية بالريـــــاض ط2/ 1419، 1999
13) خلق أفعــال العبــاد والــرد على الجهمية وأصـحاب التعطيل للبخـاري ت. سـالم بن عبد الهـادي ومحمد الإبيـاني ط مكتبة التراث الإسلامي
14) الــذب عن أبي الحسن الأشــعري لابن دربـــاس ت. د/ نصر فقيهي، ط1 2006م، دار الإمام أحمد بمصر.
15) رســـالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن الأشـــعري ت. د. عبد الله شاكر ط2/ 1422- 2002 مكتبة العلوم والحكم.
16) الرسالة التدمرية في تحقيق الإثبات لأسماء الله وصفاته لابن تيمية المطبعة السلفية ط4/ 1405.
17) (رسالة الجويني في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الصوت والحرف في القرآن)، ضمن (مجموعة الرسائل المنيريـة)، 1/





176-ـ 184 المجلد الأول.. دار إحيـاء الـتراث العـربي بـيروت 1970.
18) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكـائي ت. نشـأت المصري دار البصيرة ط1/ 2002.
19) شــرح الــبيجوري على الجــوهرة المســمى تحفة المريد على جـــوهرة التوحيد لإبــراهيم اللقـــاني ط الهيئة العامة لشـــئون المطابع الخيرية 1390- 1971.
20) شرح السنة لأبي محمد الحسن بن علي البربهاري ت. نشأت المصري ط1. 1426 مكتبة العلوم والحكم بالقاهرة.
21) شرح صحيح مسلم للإمام النووي ت د. طه عبد الرؤوف سـعد – دار البيان العربي والمكتبة التوفيقية.
22) شرح العقيدة السفارينية لمحمد بين أحمد بشرح ابن عثيمين مكتبة الصفا بمصر ط1/ 1429، 2008.
23) شـرح العقيـدة الطحاوية لابن أبي العز ت. الألبـاني وابن بـاز وشاكر والفوزان. دار الهيثم بالقاهرة ط1/ 1426، 2005.
24) شرح العقيدة الواسـطية للعـثيمين ت.محمد محمد عـامر دار الدعوة الإسلامية ط1/ 1422، 2001
25) الشريعة للمحدث أبي بكر محمد بن الحسـين الآجـري ط.دار البصيرة بالإسكندرية
26) شـذرات الـذهب في إخبـار من ذهب لابن العمـاد دار الفكر للطباعة والنشر بدون
27) صـــــحيح معتقد أبي الحسن الأشـــــعري لمحمد عبد العليم الدسوقي ط/ 2 دار اليسر.
28) طبقات الشافعية للحافظ ابن كثير ت. عبد الحفيظ منصور دار المد الإسلامي بيروت ط1/ 2004
29) عقائد الأشاعرة لمصطفى باحو ط1/ 1433، 2012 المكتبة الإسلامية
30) عقائد الســلف للأئمة أحمد والبخــاري وابن قتيبة وعثمـــان الـــدارمي، جمع د/ النشـــار ط 1971 منشـــأة المعـــارف بالإسكندرية.
31) عقيـــدة الأشـــاعرة دراسة نقدية لمنظومة جـــوهرة التوحيد للقـاني على ضـوء عقيـدة أهل السـنة لحسـان بن إبـراهيم الرديعان ط1/ 1434، 2013 دار التوحيد للنشر بالرياض
32) عقيدة أصحاب السـلف وأصـحاب الحـديث لشـيخ الإسـلام أبي عثمان إسماعيل الصابوني ضمن المجموعة المنيرية. دار إحيـاء التراث العربي بيروت 1970.
33) عقيدة السلف وأصحاب الحـديث لشـيخ الإسـلام أبي عثمـان إسماعيل الصـابوني ت.أبو اليمين المنصـوري دار المنهـاج ط 1/ 1423، 2003.





34) العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمها للحافظ الذهبي تعبد الرحمن محمد عثمان – المكتبة السلفية لمحمد الكتبي بالمدينة المنورة – ط2/ 1388
35) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ت.محب الدين الخطيب دار الريان والمكتبة السلفية ط3/ 1407
36) فتح رب البرية بتلخيص الحموية لابن عثيمين¬ دار الصفوة بالقاهرة ط/ 1 1406.
37) الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية ط3/ـ 1398 المطبعة السلفية.
38) قرائن اللغة والنقل والعقل في حمل صفات الله الخبرية والفعلية على ظاهرها دون المجاز لمحمد عبد العليم الدسوقي ط. دار اليسر.
39) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد إمام الحرمين ابن الجويني ت.زكريا عميرات ط1/ 1416، 1995 دار الكتب العلمية.
40) كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للإمام البيهقي ت. د. السيد الجميلي ط. 1/ـ 1408ـ 1988 دار الكتاب العربي بيروت.
41) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد ت.مصطفى عبد الجواد عمران المكتبة المحمودية ط3/ 1388، 1968م.
42) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، بشرح الشيخ ابن عثيمين ت/ هاني الحاج ط1، 1423 مكتبة العلم.
43) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – ط وزارة الشئون الإسلامية بالمملكة السعودية – ط 1425- 2004
44) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، المسمى (استعجال الصواعق المرسلة) لمحمد بن الموصلي مكتبة المتنبي بالقاهرة ط2/ 1400.
45) مختصر العلو للعلي الغفار للشيخ الألباني – المكتب الإسلامي – ط1/ 1401- 1981
46) مصادر التلقي عند الأشاعرة د؟ زياد بن عبد الله الحمام دار الهدى النبوي ودار الفضيلة ط 1/ 1436- 2015
47) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ت.هلموت ريتر ط4/ 1421- 200 الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر.





48) مناظرة أهل البدع في القرآن العظيم وكلام الله القديم لموفق الـــــدين ابن قدامة المقدسي تربيع بن زكريا ط 1/ـــــ 1433- 2012 مكتبة ابن عباس
49) موافقة صـريح المعقـول لصـريح المنقـول لابن تيمية ت. محمد رشاد ط1/ 1981.
50) موقف السـلف من المجـاز في الصـفات د. محمد عبد العليم الدسوقي ط1/ 1430- 2009 دار اليسر.



فهرس الموضوعــــــــات

كتب للمؤلف

1. (التصـوير البيـاني في كتـاب فتح البـاري بشـرح صـحيح البخـاري.. دراسة ومقارنـة)، رسـالة (العالمية الـدكتوراه).. ط. دار الحرم للتراث.
2. (المشـاكلة.. دلالتها ومواقعها في القـرآن الكـريم)، رسـالة (التخصص الماجستير).. ط. دار الحرم للتراث.
3. (موروثنا البلاغي والأسلوبية الحديثة: دراسة وموازنـة).. ط. دار الحرم للتراث.
4. (سـيرًا على خُطا الأشـعري.. أئمة الخلف يـتراجعون إلى ما تراجع إليه).. ط. دار الحرم للتراث.
5. (موقف السلف من المجاز في الصفات)، ط. دار اليسر.
6. (موقف السلف من تفويض الصفات).. ط. دار اليسر.
7. (ومضـات على موقف السـلف من التفـويض والتجـوز في الصفات) وقد جمع بين سابقَيه..
8. (من بلاغة الوقف في القرآن الكريم).
9. (أثر الوقف على حروف المعاني والبدء بها في إثراء المعنى واتساعه).
10. (واو المعانقة في آي التنزيل بين العطف والاســـتئناف: دراسة بلاغية)..
11. (أثر الوقف على القيود والبد بها في إثراء المعنى واتساعه)
12. (كلا: دلالتها ومواقعها في القرآن الكريم).
13. (التضمين في الأفعال بين النحاة وأهل البيان).
14. (من بلاغة القـرآن في التعبـير بالغـدو والآصـال والعشي والإبكـار).. وقد جُمعت هـذه السـبعة كتب في مؤلف تحت عنوان: (من طرائق الاتساع في معاني الـذكر الحكيم).. ط. دار الحرم للتراث.
15. (دور الخيـال الشـعري في النهـوض بالصـورة البيانية بين الأصالة والحداثة).. ط. دار الحرم للتراث.




16. (شـرح لامية البحـتري في مـدح محمد بن علي بن عيسـى).. ط. دار الحرم للتراث.
17. (قـرائن اللغة والعقل والنقل في حمل صـفات الله الخبرية والفعلية على ظاهرها دون المجاز)، ويقع في مجلـدين.. ط. دار اليسر.
18. (كشف الحجاب في تـرجيح أدلة القـائلين بفرضـية النقـاب).. ط. دار اليسر.
19. (مجمل معتقد أبي الحسن الأشــعري في توحيد الصــفات).. ط. المكتبة الإسلامية.
20. (تحفة الإخــوان في صــفات الــرحمن.. إطلالة على رســالة العقائد ومنهج جماعة الإخوان في توحيد الأسماء والصفات).
21. (بـراءة الحـافظين.. النـووي وابن حجر من عقائد الأشـعرية والمتكلمين).
22. (الغـارة على العـالم الإسـلامي)، منشـور ضـمن كتب أخـرى على موقع صيد الفوائد.
23. (الخفــاض: ﴿صــبغة الله ومن أحسن من الله صــبغة ونحن له عابدون﴾
24. (التماس القدوة في خـاتم النبـيين وإمـام المرسـلين).. وقد جمعت هـذه الخمس الأخـيرة في كتـاب بعنـوان (دراسـات في الفكر الإسلامي المعاصر)
25. (معارج القبول.. سؤال وجواب).. قيد الإعداد
26. (حقائق حول عدم أحقية اليهود في أرض فلسطين.. بمـوجب ما جــاء في التــوراة والإنجيل وفي آي التنزيــل).. ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
27. (تقـريب الإيضـاح في: البلاغة وعلاقتها بالفصـاحة – أحـوال الإسـناد الخـبري ومكوناتـه).. وهو شـرح ممـزوج بمتن الإيضـاح للخطيب القزويني جزء أول.. دار الحرم
28. (الإيجـــــاز.. في أدلة حمل صـــــفات الله على ظواهرها دون المجــاز).. وهو مجمل لما جــاء في (قــرائن حمل صــفات الله

الخبرية والفعلية على ظاهرها دون المجــاز) نشــرت على هيئة حلقات بمجلة التوحيد التابعة لجمعية أنصار السنة المحمدية

29. (القول المبين في حكم التوسل بالموتى والمغيبين).. مفقود
30. (إماطة اللثــام عما تمس الحاجة لمعرفته من عقائد ووقــائع وأحكام).. ط. دار ابن عباس
31. (ولايات المسلمين المعاصرة.. في ضـوء معتقد أهل السـنة وسلف الأمة).. ط. دار ابن عباس.
32. (جدلية ورود المجـــــاز في القــــرآن وحسم اللغط الحاصل حولها).. ط.دار الحرم للتراث
33. (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم).. قيد الطبع
34. (الإبانة في أصــول الديانــة).. تحقيــق. أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي.. دار زهران
35. (هذا معتقد أبي الحسن الأشعري.. فاتبعوه إن كنتم صادقين)
36. (النقــاب ضــرورة اجتماعية وفريضة شــرعية.. وتلك أدلتــه) طبعة مزيدة لما جاء في (كشف الحجاب)
37. (قضية الفهم عن الله وعمن نأخذ ديننا؟)
38. اتبعوا ولا تبتدعوا فد كفيتم) قيد الإعداد

